كتاب الجمهورية

الكبرياء

أيام سعد الدين الشاذلى

سمير الجمل

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

كتاب الجمهورية

نوفمبر ٢٠١٢

www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة

د. مصطفى هديب

رئيس التحرير

إبراهيم أبو كيلة

الكبرياء

أيام سعد الدين الشاذلى

سمير الجمل

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس

ت: ٢٥٧٨٣٣٣٣

أعضاء مجلس التحرير

محمــــــد فــــــودة
محمـــــد العــــزبى
ناجـــى قمحـــــة
محمـــــد جبـــريل
محمـــــد إســماعيل
عثمــــان الدلنجــاوى

نوفمبــر ٢٠١٢

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	٣٠٠ ل.س
لبنان	١٢٠٠ ل.ل
الأردن	٤٫٥ دينار
الكويت	٣ دنانير
السعودية	٣٠ ريالاً
البحرين	٣ دنانير
قطر	٣٠ ريالاً
الإمارات	٣٠ درهماً
سلطنة عُمان	٣ ريالات
تونس	٦ دنانير
المغرب	٩٠ درهماً
اليمن	٩٠٠ ريالاً
فلسطين	٦ دولارات
لندن	٦ جك
أمريكا	١٥ دولاراً
استراليا	١٥دولاراً استرالياً
سويسرا	١٥فرنكاً سويسرياً

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
١٨٠ جنيهًا
الدول العربية ٩٠ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا
١١٥ دولارا أمريكيًا
أمريكا وكندا
١٣٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
١٧٥ دولارا أمريكيًا

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨٣٣٣٣ ٢٥٧٨١٠١٠

http://www.eltahrir.net

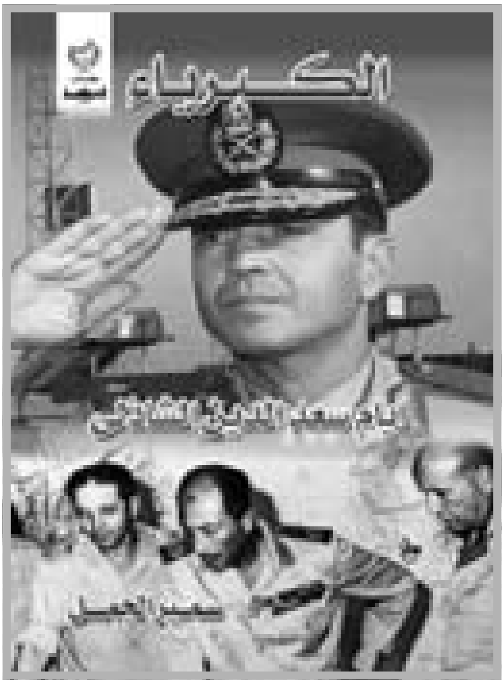

تصميم الغلاف الفنان : صــالح صــالح

الاشراف الفنى

ســيد عبد الحفيظ

الاخراج الفنى

شــريف فــاروق
هبــــة راغـــب

حقوق النشر محفوظة لـ (كتاب الجمهورية)

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن سلسلة (كتاب الجمهورية)، بل هى مسئولية أصحابها.
ولا يجوز نهائياً نشر أو اقتباس أو اختزال أو نقل أى جزء من الكتاب دون الحصول على إذن من الناشر.

الكبرياء

أيام سعد الدين الشاذلى

سمير الجمل

إلى

أبطال المستقبل

عمر.. و«فريدو»

وما يستجد من أحفاد

(جدو)

منـــــاورة

لماذا قصة الفريق سعدالدين الشاذلى الآن؟!.. لأن فيها الكثير من الأسرار والحكايات كانت محجوبة ومستورة بفعل فاعل، وسنجد أن عنوانها المناسب والوحيد هو «الكبرياء».

ماذا يهم القارئ العربى من المحيط إلى الخليج فى مثل هذه القصة..؟

الحقيقة.. يهمه الكثير وسيكتشف فيها ما لم يعرفه من قبل، لأن حكاية الشاذلى - كبطل مصرى - لا تخصه فقط ، لأن عروبته هى سر نجاحه وعنوان تميزه، وقد دفع ثمن إيمانه العميق بالبعد العربى فى أحرج الأوقات، خاصة بعد اتفاقية «كامب ديفيد» عندما وقعت القطيعة، وبسبب هذا الموقف ابتعد عن العمل الدبلوماسى، وارتضى لنفسه أن يعيش منفياً فى الجزائر لمدة ١٤ عاماً، فكانت له مع أهلها وقادتها عشرات القصص السياسية والإنسانية، وله مع دول الخليج «حواديت»، ومع اليمن، والعراق، والسودان، والمغرب، وفلسطين.. حكايات تلخص مسيرة الفريق أول سعدالدين الشاذلى، وكل الحروب العربية، ولسنا هنا بصدد حكاية بطل ظلمه نظام مبارك ومن قبله السادات، وتم سجنه ونفيه عمداً مع سبق الإصرار، وهو الذى طالب بمحاكمة تاريخية علنية لمعرفة من الجانى والمجنى عليه فى ثغرة الدفرسوار التى وقعت أيام حرب أكتوبر وغيرت موازين القوى.. هذه ليست حكاية مقاتل مصرى وعربى، لكنها بانوراما

لتاريخ عسكرى عريض، وأوراق يتم الكشف عنها لأول مرة حول حرب فلسطين ١٩٤٨، وثورة ١٩٥٢، وتنظيم الضباط الأحرار، فى هذا الكتاب نغوص فى تواريخ وأحداث وحروب وأسرار ووثائق وشهادات أبطال كبار وزعماء وقادة العسكرية فى مصر خلال عدة عصور. وفيها نقول كلمة حق، أو هكذا نسعى، لتعرف الأجيال الجديدة أن حرب ٧٣ لم تكن مصرية فقط، بل كانت بامتياز شهادة رائعة فى التكاتف العربى الذى يستطيع أن يقهر المستحيل إن أراد العرب!!

(سمير)

1

مولود فى البدلة الميرى

منذ اليوم الأول لميلاده فى أول أبريل عام ١٩٢٢، كانت أسرته التى تمتلك الكثير من الأراضى فى زمام قرية شبراتنا التابعة لمركز بسيون، بمحافظة الغربية التى تبعد عن القاهرة على طريق الإسكندرية بنحو ١٣٠ كيلومتراً.

.. كانت تعرف أنها بهذا المولود تضيف إلى رصيدها العسكرى اسمًا جديدًا

كان جده قائداً حربياً شارك فى ثورة عرابى، وكذلك خاله وبعض أعمامه وأبناء عمومته.

الوالد هو الحاج الحسينى الشاذلى، وكان الاسم تكريماً للزعيم سعد زغلول، وكان وقتها هو القدوة والرمز.. الأسرة تضم تسعة أبناء غير أشقاء، بالإضافة إلى شقيق كان طياراً مدنياً وأختين، هذه الأسرة كان فيها الأزهرى مثل محمد الحسينى الأخ غير الشقيق، وفيها العسكرى والتاجر والمزارع، وجذورها تمتد إلى الشيخ المتصوف «سيدى أبوالحسن الشاذلى» الذى يمتد نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.. فى هذا البيت اجتمعت الروحانية مع العسكرية مع التجارة مع الزراعة مع العلم.

واسم القرية معناه «الحديقة الغناء»، لذلك انتشر هذا الاسم فى أرجاء مصر لمدن وقرى عديدة، منها: شبرا الخيمة وشبرا خيت وشبرا مصر وشبرا النملة.. والقرية تقترب من كفر الشيخ وتطل عن قرب على النيل ومحافظة البحيرة، واستمدت خصوصيتها من هذا الموقع الفريد.

ومن هنا، فإن الشاذلى بشكل أو بآخر كان يحن إلى مسقط رأس جده الأكبر الذى تقول كتب التاريخ إنه ينتمى إلى مدينة فاس المغربية، ومنها أيضاً العارف بالله (السيد البدوى) الذى استقر به المقام فى طنطا بمحافظة الغربية، بينما استقر الأمر بالجد الأكبر المتصوف أبى الحسن الشاذلى فى منطقة «حميثرة» ناحية البحر الأحمر، وهذا ما يربطه بالمغرب قلباً وجذوراً، حيث جاء الجد.

كان يقطع الطريق كل صباح إلى مدرسته الابتدائية فى المركز الذى يبعد عن

القرية بنحو ٦ كيلومترات أحياناً مشياً على الأقدام مع زملاء الدراسة، وفى أوقات أخرى راكباً (الحمار)، لكنه كان يفضل المشى مع رفاقه، وفى ظروف الشتاء والمطر بدأ الفتى خطواته الأولى فى مدرسة الرجولة، وبعد الابتدائية انتقلت الأسرة إلى القاهرة فى حياة مختلفة ومناخ غير الذى اعتاده الغلام.

التحق الشاذلى بالكلية الحربية فى فبراير ١٩٣٩ وكان عمره وقتها ١٧ سنة، وتخرج برتبة ملازم فى يوليو ١٩٤٠، وكان يهتم فى ذلك الوقت بقراءة مقالات أحمد حسين وإحسان عبدالقدوس، وقد حظى بشهرته للمرة الأولى خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية فى الصحراء الغربية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب. ظل الملازم الشاذلى فى مكانه ليدمر المعدات الثقيلة المتبقية فى وجه القوات الألمانية المتقدمة، ثم انتدب للخدمة فى القصر الملكى من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٩، ومن خلال خدمته بالحرس الملكى المسمى بالحديدى، عرف الشاذلى كيفية إدارة أمور الحكم ودسائس القصر، وصراع الملك، والأحزاب السياسية، وقد شارك فى حرب فلسطين ١٩٤٨ضمن سرية ملكية مرسلة من قبل القصر.

لقد شاهد الشاذلى العصابات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين، وهى تستهل جرائمها هناك بارتكاب مذابح ترويع وإرهاب ضد السكان العرب، لإجبارهم على بيع أراضيهم أو الهجرة منها، وفى عام ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكانت الدول العربية أخذت قرارا بالقتال فى مايو ١٩٤٨، وكان قوام جيوشها ٤٠ ألف شخص لمقاتلة ١٠٠ ألف صهيونى، وحينها سخر العقيد حلمى عبدالرحمن، قائد الحرس الملكى، من تطوع الشاذلى لحرب الصهاينة، قائلاً: إن عاقلاً لا يترك حياة القصور والتشريفات الملكية ليلقى بنفسه فى أتون معركة حامية على أرض خارج الوطن، لكن الملك فاروق قرر مشاركة فرقة من الحرس الملكى فى الحرب كنوع من الاستعراض السياسى، وبالفعل تطوع سعد للقتال فى فلسطين، وقال الشاذلى فى مذكراته: إن هذه الحرب كشفت عن مدى ضعف التعليم العسكرى فى ذلك الوقت، حتى أنهم اشتروا من السوق السوداء أسلحة ولم يستطيعوا تشغيلها فأشيع أنها فاسدة، وقال: إن بريطانيا تصدت للحيلولة

دون انتصار العرب فى حرب ١٩٤٨ مما أدى بهم لهزيمة ظالمة، حيث اعتبر الشاذلى أن الجيوش العربية استطاعت حماية قرى فلسطينية كثيرة من الإبادة.

وانضم الشاذلى إلى الضباط الأحرار عام ١٩٥١، وللشاذلى تاريخ عسكرى مشرف، حيث أسس أول فرقة للمظلات فى الجيش المصرى عام ١٩٥٤، واستمر فى قيادتها حتى عام ١٩٥٩، كما شكل مجموعة من القوات الخاصة عرفت فيما بعد بـ«مجموعة الشاذلى» عام ١٩٦٧.

الجدير بالذكر أن العبقرية العسكرية للشاذلى برزت فى حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧، عندما مُنى الجيش المصرى بهزيمة نكراء، إلا أن الرجل الذى كان يقود وحدة من القوات المصرية الخاصة المعروفة بـ«مجموعة الشاذلى» ومجموع أفرادها نحو ١٥٠٠، فى مهمة لحراسة وسط سيناء، اتخذ قراراً جريئاً بعبور قواته الحدود الدولية قبل غروب يوم ٥ يونيو، وتمركز بقواته داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة بنحو ٥ كيلومترات، وبقى هناك يومين إلى أن اتصل بالقيادة العامة للجيش المصرى فى القاهرة التى أمرته بالانسحاب فوراً، فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلاً، وقبل غروب شمس ٨ يونيو فى ظروف غاية فى الصعوبة، فقد كان يسير فى أرض يسيطر العدو تماماً عليها، ومن دون أى دعم جوى، وبالحدود الدنيا من المؤن، استطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضى سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربى لقناة السويس (نحو ٢٠٠كيلو متر)، وقد نجح فى العودة بقواته ومعداته إلى الجيش المصرى سالماً، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة تتراوح بين ١٠٪ و٢٠٪ لينفذ الأمر ويعود بقواته ومعداته، متفادياً النيران الإسرائيلية، وكان آخر قائد مصرى ينسحب بقواته من سيناء، هذه الحادثة تحديداً أكسبت الشاذلى سمعة كبيرة فى صفوف الجيش المصرى، فتم تعيينه قائداً للقوات الخاصة بالصاعقة والمظلات، وقد كانت أول وآخر مرة فى التاريخ المصرى يتم فيها ضم قوات المظلات وقوات الصاعقة إلى قوة موحدة هى القوات الخاصة، فى ١٦ مايو ١٩٧١، وبعد يوم واحد من إطاحة الرئيس السادات بأقطاب النظام الناصرى، فيما سمى وقتها بـ «ثورة التصحيح» بعدما تصاعدت الصراعات

بين الرئيس السادات ومراكز القوى بسبب تأييده لفكرة «اتحاد الجمهوريات العربية»، اختار السادات محمد صادق وزيراً للحربية، وبعد انقلاب مايو استدعى السادات الشاذلى لاستلام منصبه الجديد (رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة) وتخطى ٥٠ ضابطاً يسبقونه فى الأقدمية، عين الشاذلى رئيساً للأركان ، لا شىء إلا لأنه لم يكن يدين بالولاء إلا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبًا على أى من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك.

وعقب تعيينه كرئيس للأركان، دب الخلاف بين الشاذلى والفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك حول خطة العمليات الخاصة بتحرير سيناء، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصرى يتعين عليه ألا يقوم بأى عملية هجومية، إلا إذا وصل إلى مرحلة تفوق على العدو فى المعدات والكفاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها.. ووجد الفريق الشاذلى أن هذا الكلام لا يتماشى مع الإمكانيات الفعلية للجيش، ولذلك طالب بأن يقوم بعملية هجومية فى حدود إمكانياته، تقضى باسترداد من ١٠ إلى ١٢ كيلو مترًا فى عمق سيناء، وبنى الفريق الشاذلى رأيه ذلك على أنه من المهم أن تُفَصِّل الاستراتيجية الحربية على إمكانياتك، وطبقاً لإمكانيات العدو.. وسأل الشاذلى الفريق صادق: هل لديك القوات التى تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟ فقال له: لا.. فقال له الشاذلى: على أى أساس إذن نضع خطة وليست لدينا الإمكانيات اللازمة لتنفيذها؟

أقال الرئيس السادات الفريق صادق، وعين المشير أحمد إسماعيل على وزيراً للحربية وكان بينه وبين الفريق الشاذلى خلافات قديمة أما قصة خلافه الشهيرة مع أحمد إسماعيل، فيقول عنها الفريق الشاذلى: لم أكن قط على علاقة طيبة مع المشير أحمد إسماعيل على.. لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماماً لا يمكن لهما أن تتفقا وقد نشب أول خلاف بيننا عندما كنت أقود الكتيبة العربية التى كانت ضمن قوات الأمم المتحدة فى الكونغو عام ١٩٦٠م.

كان العميد أحمد إسماعيل قد جاء على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لمصر أن تقدمه للنهوض بالجيش الكونغولى، وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة لومومبا التى كانت تؤيدها مصر بعد نجاح انقلاب عسكرى،

وقد تعارضت ميول الحكومة الجديدة تماماً مع الخط الذى كانت تنتهجه مصر، وهكذا وجدت البعثة نفسها دون أى عمل منذ اليوم الأول لحضورها، وبدلاً من أن تعود البعثة إلى مصر أخذ أحمد إسماعيل يخلق لنفسه مبرراً للبقاء فى ليوبولدفيل على أساس أن يقوم بإعداد تقرير عن الموقف، وتحت ستار هذا العمل بقى مع اللجنة ما يزيد على الشهرين.

وفى تلك الفترة حاول أن يفرض سلطته على باعتبار أنه ضابط برتبة عميد، بينما كنت وقتئذ برتبة عقيد، وبالتالى تصور أن من حقه أن يصدر التعليمات والتوجيهات.. ورفضت هذا المنطق رفضاً باتاً وقلت له إننى لا أعترف له بأى سلطة علىّ أو على قواتى، وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدى.. وبعد أن علمت القاهرة بذلك استدعت اللجنة وانتهى الصراع، ولكن آثاره بقيت فى أعماق كل منا.

ومن الأشياء التى قد لا يعرفها كثيرون أن الشاذلى كان مفتوناً بشخصية جمال عبدالناصر ويدافع باستماتة عن جميع أفعاله، وقال إنه اعتذر عام ١٩٥٣ عن عدم قبول عرض عبدالناصر الانضمام إلى جهاز المخابرات بعد إعادة تنظيمه، مفضلاً الاستمرار فى الخدمة العسكرية، وحينما عاد من الولايات المتحدة كلفه عبدالناصر بإنشاء أول فرقة مظلات فى مصر أثناء العدوان الثلاثى على مصر، لتدمير القوات الجوية المصرية وقتها، وعندما أرسله عبدالناصر للقاء لومومبا رئيس الكونغو والحفاظ على وحدة الأراضى هناك، قام بتوزيع المصاحف على أفراد الشعب الكونغولى، مما أدخل بعضهم فى الإسلام، وحينما اغتيل لومومبا، وتولى موبوتو الحكم، وكان يناصب مصر وعبدالناصر العداء ويصفهم بالمستعمرين، قرر الشاذلى بشكل منفرد تسريب جنوده من مواقعهم، كما أمَّن تهريب أبناء (لومومبا) إلى مصر قبل انسحاب الكتيبة المصرية، وكانت القوت الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا تخشي وجود مصر فى (الكونغو) باعتباره شكلا من الهيمنة على أفريقيا، وبينما كان الكثير من الساسة والمؤرخين والمحللين يرون أن حرب اليمن هى أكبر ورطة تعرض لها عبدالناصر، وكان الشاذلي على النقيض من ذلك يري أن المكاسب السياسية التى تحققت من حرب اليمن تمثلت فى سقوط نظام رجعى متخلف، وقيام نظام تقدمى حديث يتواكب مع القرن العشرين ويندمج فى

النسيج العربى، والمكسب الثانى هو استقلال عدن، فلولا القوات المصرية لما استقلت، فكانت مصر تبعث للثوار بالأسلحة والذخيرة، وحاول الشاذلى التهوين من حجم خسائر مصر فى اليمن التى شارك فيها الشاذلى وكان مثالاً للجرأة والتضحية، ألم أقل لكم إن الشاذلى كان مفتوناً بشخصية جمال عبدالناصر ويدافع باستماتة عن جميع أفعاله، وفي قصة الشاذلي سوف نعرف الكثير من الأسرار.

وأخطر ما قاله الشاذلى فى مذكراته : إنه لم تكن هناك خطة هجوم حتى عام ١٩٧١، بخلاف ما ذكره محمد فوزى وزير الحربية خلال الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١، وبعد أن تولى الشاذلى رئاسة الأركان وضع خطة أطلق عليها «المآذن العالية»، كأول خطة هجومية، وكان تنفيذها يتطلب موافقة الاتحاد السوفييتى على توفير السلاح اللازم بأسرع وقت، وذكر الشاذلى أن خطته تطورت حتى وصلت إلى الشكل النهائى الذى جرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأطلق عليها خطة «بدر».

يقول الشاذلى عن خطته للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التى سماها «المآذن العالية»: إن ضعف قواتنا الجوية وضعف إمكاناتنا فى الدفاع الجوى ذاتى الحركة يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن فى استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف، ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومتراً شرق القناة..».

كانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول: هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرًا لقلة عدد أفرادها.. المقتل الثانى: هو إطالة مدة الحرب، فهى فى كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التى تنتهى خلال أربعة أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨ فى المائة من الشعب الإسرائيلى وهذه نسبة عالية جداً.. ثم إن الحالة الاقتصادية تتوقف تمامًا فى إسرائيل؛ يتوقف التعليم والزراعة والصناعة كذلك ؛ لأن معظم الذين يعملون فى هذه المؤسسات فى النهاية ضباط وجنود فى القوات المسلحة؛ ولذلك كانت خطة الشاذلى تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

إذاً كانت هذه المقدمة بمثابة الموجز لحكاية الشاذلى فهل لك أن تتصور كيف

تكون تفاصيلها، والأسماء الكبيرة التى ارتبط بها، وارتبطت به؛ الملك فاروق، البطل أحمد عبدالعزيز، جمال عبدالناصر، عبدالحكيم عامر، زكريا محيى الدين، أنور السادات، حافظ الأسد، أحمد إسماعيل، عبدالغنى الجمسى، محمد صادق، محمد فوزى، القذافى، الملك فيصل، وغيرهم.. وبخلاف الشخصيات هناك الأحداث، أولها حرب فلسطين ولم تكن آخرها بالطبع.

2

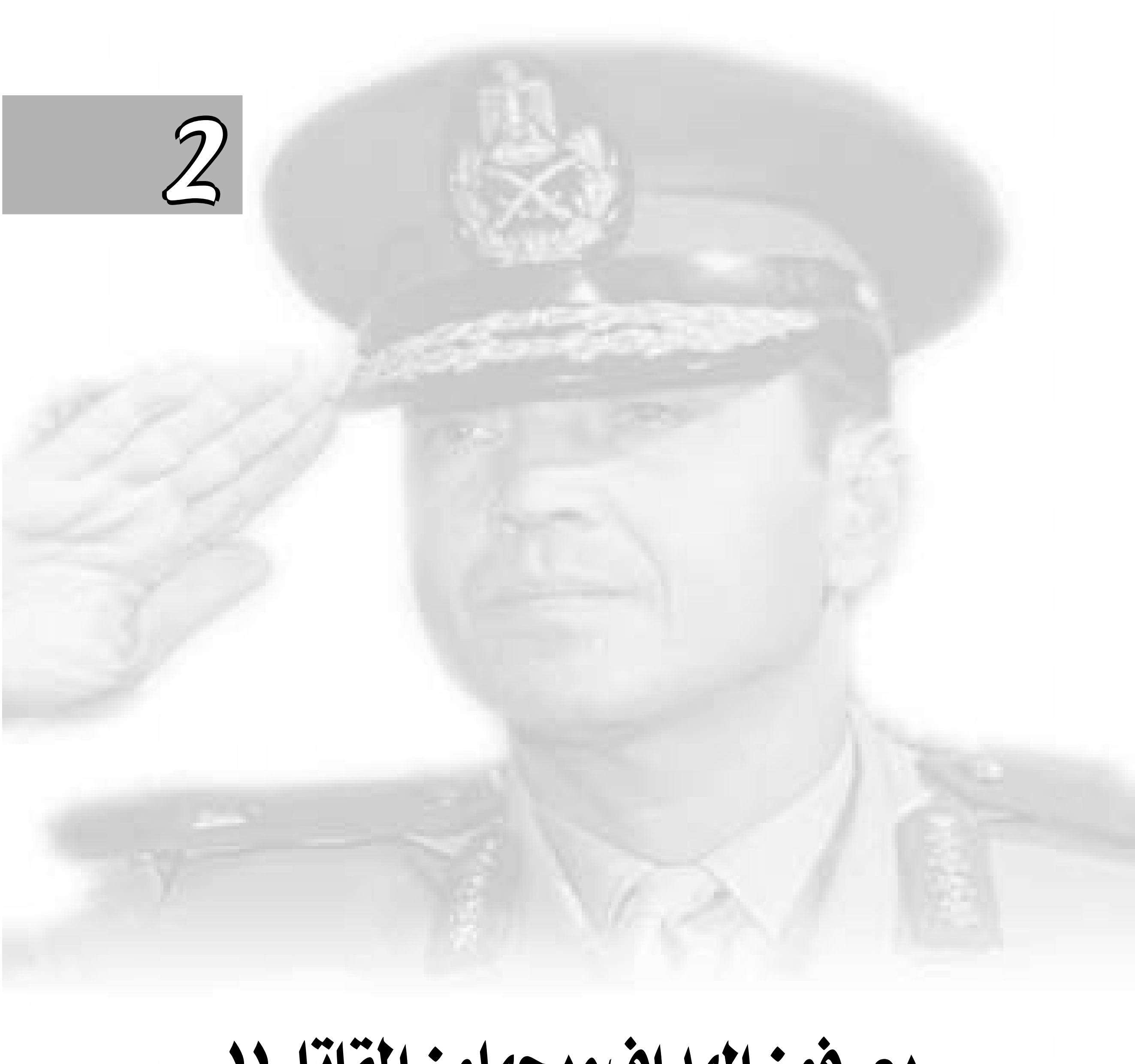

يعرفون الهداف ويجهلون المقاتل!!

سألت شاباً ولد خلال حكم حسنى مبارك الذى استمر ثلاثين عاماً قبل أن تضع ثورة ٢٥ يناير حداً له، عن الفريق سعدالدين الشاذلى فأجاب بكل ثقة: إنه لا يعرف إلا الكابتن الشاذلى هداف مصر الكبير فى كرة القدم والمحلل الرياضى باستاد النيل، ولم يكن يمزح ولا أنا بمندهش.. فالأجيال هذه لم تشهد أمامها سوى مبارك

قال لهم نظامه فى الكتب الدراسية: إنه بطل أكتوبر الوحيد، وإن الحرب يمكن تلخيصها فى ضربة جوية قام بها مبارك، ومن يعملون تحت قيادته.. ولِمَ لا.. والصورة المشهورة فى غرفة العمليات أثناء حرب أكتوبر قد تم تزويرها لإبراز مبارك قائد القوات الجوية علي حساب من يسبقونه والترتيب العسكرى الراسخ أن يتوسط الطاولة القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو رئيس الجمهورية، وعن يمينه ويساره القائد العام وهو وزير الحربية (المشير أحمد إسماعيل) ورئيس الأركان، ثم بعد ذلك يقف رئيس هيئة العمليات وهو المشير الجمسى، ثم بعد ذلك قادة القوات الجوية والبحرية والبرية..

والصورة تم تغييرها حتى فى بانوراما حرب أكتوبر.. وقد يسأل الشاب، وهذا حقه: لماذا بلغت كراهية مبارك للشاذلى درجة التجاهل وإغفال دوره وإهماله وعدم الحديث عنه؟

وسر كراهية مبارك له تلك الشعبية الطاغية والنبوغ الذى كان يتمتع به الشاذلى، وقد خاف مبارك من ذلك، كما أن وجوده يعنى الكشف عن البطل الحقيقى لحرب أكتوبر، وهو عكس ما كان يروج له مبارك ورجاله وقد رفض الشاذلى بناءً على نصيحة بعض المقربين منه أن يكتب التماساً لمبارك من أجل العفو، لأنه لم يرتكب جرماً يستحق العقاب.. وتم تجريده من الأوسمة التى حصل عليها.. وجمدوا ممتلكاته وأمواله، وضيقوا أسباب الحياة حتى على أسرته، ولما قامت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ أعادت للرجل امتيازاته التى يستحقها وأكثر، وقال العقلاء لقد جاء الوقت لكى نرد للبطل الأسطورى ما يليق به ونضعه فى المكانة الحقيقية له.

وقد قالت العدالة الإلهية كلمتها عندما خرجت جنازة الفريق الشاذلى فى ذروة ثورة ٢٥ يناير وقبل ساعات من رحيل مبارك حتى قال القائل: إنها لحظة تاريخية فارقة.. احتشدت الجماهير لوداع (البطل) وتزاحمت وهى تنادى برحيل (الباطل)!

فى اللحظات الحاسمة

قبل ثورة ٢٥ يناير بأسابيع.. أجرى الكاتب نشأت الديهى حواراً مطولاً مع الفريق سعدالدين الشاذلى نشره فى كتاب بعنوان «صح النوم» سرد خلاله يوميات الثورة.. وكان الفريق الذى رحل ١١ فبراير ٢٠١١ ليلة رحيل مبارك عن السلطة.. كان بعيد النظر عندما قال: «الموقف صعب ودقيق جداً فقد عاشت البلاد سنوات من القمع جعلت من المستحيل أن يتم الإصلاح بطرق تقليدية، وقد علمنا التاريخ أن أى ديكتاتور يستمر فى السلطة لفترة طويلة تصعب إزاحته إلا بعملية انقلابية لكى ينطلق الوطن للمستقبل، ولن تؤتى العملية ثمارها ألا إذا بدأت سياسياً ومن أعلى، ولا أمل فى أى محاولات إصلاحية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرهما ما لم يكن ذلك مؤيداً من قيادة سياسية قوية..

وفي اعتقادى أنه حالياً ليست هناك رغبة أكيدة من القيادة السياسية لهذا الإصلاح والقمع مما كرس الخوف فى نفوس الشعب ولابد من تغيير القوانين التى تكبل الحريات، وهنا يبرز سؤال فى غاية الأهمية: ما الذى سيدفع القيادة السياسية أن تقوم بعملية الإصلاح وهى فى السلطة وتسيطر سياسياً واقتصادياً على كل شىء...».

وأضاف الشاذلى: «فى الفترات التى كان الحكم فيها بيد حكومات قوية ومسيطرة على جميع الأوضاع كانت الإصلاحات تتم بسرعة فائقة وعندما تغيب هذه السلطة كما هو فى المرحلة الحالية نجد أن الإصلاحات بسيطة وبطيئة جداً وليس أمامنا إلا أن نقبل الإصلاح البطئ مرحلياً إلى أن يصل بنا إلى الخطوة الجريئة وقد اكتشفت شيئاً غريباً عندما كنت رئيساً لأركان القوات المسلحة أن معظم من يخالفون القانون ويخالفون المصلحة العامة ليسوا على دراية بماهية الخطأ ولا الصواب إنهم غير مدركين لما يرتكبون من أخطاء..».

وكان ميدان العمل المتاح أمامى هو القوات المسلحة ولابد فى الوقت نفسه أن يكون هناك المثل والقدوة حتى تسهل عملية التصحيح والتوجيه والتعليم وحتى يحترمك ويثق بك مرءوسوك لابد وأن تكون قدوة ومثلاً؛ لذلك فكل خطأ يرتكب فى القوات المسلحة كنت أقوم بعمل دراسة لهذا الخطأ وأبدأ فى شرحه من كل الزوايا، وأوضح تأثيره على سائر المتغيرات، وفى النهاية لابد أن أوضح لهم كيف نصحح الخطأ وبالطبع أشرح لهم ما كان يجب فعله حتى لا نقع فى تلك الأخطاء».

ويضرب الفريق الشاذلى المثل بما جرى فى الهند.. لقد تقدمت بالعلم.. وساعد ذلك فى الوصول إلى درجة متقدمة من الديموقراطية.. والبشر عموماً لديهم نقطة ضعف نحو السلطة.. وأى شخص يقبض عليها لا يفرط فيها بسهولة، ويجب أن تسير جميع البرامج فى خطوط متوازية لكن الديموقراطية والتعليم هما الأساس الذى يجب أن نبدأ به فوراً والأهم هو التمسك بالمثل والقيم الأخلاقية ومحاولة إحيائها من جديد ومصر ولادة وبها من الكفاءات ما يكفينا للبدء فوراً فى العملية الإصلاحية المنشودة».

وهكذا تنبأ الفريق الشاذلى ورسم صورة للمستقبل ورحل فى الليلة الأولى لرحيل مبارك وشتان بين رحيل ورحيل.

3

متصوف على رقعة شطرنج!!

فى قصر عابدين حيث توجد قوات الحرس الملكى، كان الضباط الشبان من زملاء الملازم سعدالدين الشاذلى يتندرون فيما بينهم على ذلك الزميل الذى يريد أن يترك العسكرية الفخمة، ويلقى بنفسه إلى البارود والدم.

فقال الأول: هل الشاذلى أكثر وطنية منا جميعاً؟

ردّ الثانى: هناك فئة من الناس تبحث عن التعب، وتسعى إليه أكثر من الراحة، وزميلنا الضابط الشاب من هذا النوع!!

الأول: لأنه من عائلة كبيرة تحب العسكرية.

الثانى: مبروك عليه إذا وافق القائد على إعادته للجيش، ربما نستعيد المسجد الأقصى على يديه!!

وكان أغلب زملائه يسألون أنفسهم كثيراً عن التركيبة الفريدة التى أسهمت فى تشكيل عقلية ووجدان هذا الضابط دون غيره، حيث إن جذور عائلته تنتمى إلى مولانا أبى الحسن الشاذلى الذى جاء من المغرب، وسكن صحراء البحر الأحمر.

وكان المعتاد أن تسلك قوافل الحج المغربية طريقاً يسمى بدروب المغاربة، وكان قريباً من مدن الصعيد (قوص وأسوان وأخميم)، حيث يؤدى إلى ميناء عيذاب (القصير حالياً على ساحل البحر الأحمر).

وقد غير الشاذلى الشيخ اتجاهه من قوص إلى الجنوب، حيث مدينة حميثرة، وهناك أدرك أن نهايته ستكون فيها، وكانت بصيرته ثاقبة، إذ أوصى أتباعه بالمضى على طريق (أبى العباس المرسى) الذى استقر مقامه بالإسكندرية وأصبح من معالمها، وشكل مع الشاذلى والسيد البدوى فى طنطا أضلاع المثلث الصوفى الكبير، يضاف إليهم بعد ذلك سيدى إبراهيم الدسوقى.

هذا عن الجانب الروحانى فى تكوين الضابط الشاب.. فماذا عن الجوانب الأخري لعائلة كبيرة فيها المزارع والتاجر والعسكرى، فقد كان جده قائد الجيوش المصرية فى السودان على أيام الخديو إسماعيل، وكان ممن حاربوا مع القائد أحمد عرابى خلال الثورة العرابية فى معركة التل الكبير، وفوق ذلك تشير المصادر التاريخية إلي أن عمه عبدالسلام باشا الشاذلى كان مديراً لمديرية البحيرة وفى عهده أنشئت دار أوبرا دمنهور التى تقع على بعد ٥٠ كيلو متراً تقريباً من الإسكندرية، ثم عمل بعد ذلك وزيراً للأوقاف، وهكذا نجد أن العم قد جمع بين الإيمان بالأوبرا، والوصول إلى منصب وزير الأوقاف.

وشب الصبى يستمع إلى حوارات غريبة وحكايات مثيرة عن الاحتلال الإنجليزى، وقد ورث عن والده إلى جانب الحكمة والتعقل وحل المشاكل فى المنطقة، ورث حبه للشطرنج وهى لعبة القادة دائماً وأبداً.

هيا إلى فلسطين

فى كتابه «صفحات مجهولة من كتاب الثورة» الذى أعده الرئيس أنور السادات كتب يقول: «بينما كنا نتحرك كضباط أحرار وننظم أنفسنا جاء عام ١٩٤٨، وبدأت أحداث فلسطين تفرض نفسها، وكان علينا. كضباط - أن نولى وجوهنا شطرها، حيث التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح، وقرر الشباب العربى فى مختلف البلاد أن يخوض الحرب المقدسة دفاعاً عن العروبة فى أعز ديارها، وفى الأيام الأولى لهذه الأحداث لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش المصرى المعركة وكانت الحكومة فى موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب من خوض هذه المعركة كمتطوعين، أى أن الإعلان الشعبى للحرب سبق الإعلان الرسمى، وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد أعلنت عن فتح باب التطوع وقررت أن تحارب.. وبدأ الضباط الأحرار الشباب فى الاتصال بقيادة الجماعة، وعقدت عدة اجتماعات فى بيت حسن البنا مؤسس حركة الإخوان حضرها جمال عبدالناصر، وكان إذ ذاك مدرسا فى كلية أركان الحرب ومعه ضابط المدفعية كمال الدين حسين وبعض الضباط ممن كانوا

ينتمون إلى جماعة الإخوان.. وفى الوقت نفسه نشأت صلات بين هؤلاء والحاج أمين الحسين مفتى فلسطين، ودخلت جامعة الدول العربية على الخط.

وكان الهدف من هذه التحركات والاجتماعات تكوين تشكيلات مسلحة، وتدريبها وإعدادها إعداداً كاملاً وإمدادها بكل ما تحتاج إليه من خبرة وسلاح قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة.. وكان الإخوان يقولون إنهم مستعدون إلى أقصى حد، وأنهم لا ينقصهم سوى السماح لهم بالسفر إلى فلسطين، وقد أعلنت الجامعة العربية عن استعدادها لتسليح هؤلاء والإنفاق عليهم.. ولأن الجيش المصرى حتى هذا الوقت لم يكن قد أعلن موقفه رسمياً من الحرب فقد فكر بعض الضباط فى الاستقالة للاشتراك كمتطوعين».

وهكذا نكتشف أن الشاذلى لم يكن وحده الذى فكر فى التطوع، وليس هناك ما يدهشنا فى ذلك، خاصة أن الشاذلى بشكل أو بآخر كان قريباً من الضباط الأحرار، وشاركهم أحلامهم وغضبهم وتواصل معهم، وقد جمعته الصداقة والجيرة فى السكن مع جمال عبدالناصر الذى كان يسبقه فى الرتبة العسكرية والسن، وأدركت الحكومة المصرية أن الغضب الشعبى والعسكرى لن يتركها، وفكرت فى إرسال جماعة من ضباط المهندسين للقيام بأعمال استكشافية، ووجدت أن خير وسيلة لذلك هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من السماح بإحالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالاتهم وتركهم يذهبون إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين، وفوجئ الضباط بإشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان مهدى باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت، ولبى الضباط الإشارة وفى مكتب رئيس الأركان وجدوا البطل الشهيد أحمد عبدالعزيز، وأخبرهم الفريق عثمان بأن طلباتهم قد قُبلت، وأنهم يستطيعون إعداد أنفسهم للتطوع، وكانت الجامعة العربية قد بدأت تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين، وقرروا تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان، على أن تخضع كلها للجنة عسكرية مقرها دمشق، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبدالواحد سبل، وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل، فقد كان الفريق

إبراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش فأقام الضباط له حفل تكريم فى نادى الضباط ليس لتكريمه فعلاً بل تحدياً لإبراهيم عطا الله، وكان مع اللواء سبل ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى، وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى، ولكنه لم يمكث هناك طويلاً فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته، ثم عاد هو ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان، وبدأ الضباط المتطوعون فى تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر ويتدربون، ولما تم تعيين أحمد عبدالعزيز قائداً لقوات المتطوعين ذهبوا إلى منزل اللواء سبل للحصول على معلومات حول جبهة فلسطين، ولم يحصلوا على شىء، وكانت ظروف الإعداد قاسية وأصابت أغلبهم بالإحباط.. فهل لا يزال الشاذلى بعد ذلك على إصراره على السفر إلى فلسطين؟!

4

مع أحمد عبد العزيز.. إلى القدس!

ساعات طويلة قضاها الملازم سعد الشاذلى يستعرض ما يحدث فى فلسطين، وينتظر ردًا للطلب الذى تقدم به إلى قائد الحرس الملكى لكى يسمح له بالتطوع ضمن قوات الجيش التى قررت الذهاب إلى فلسطين لتحريرها

لم يكن الشاذلي يتصور أن تدور الحرب لتحرير الأقصى السليب من أيدى العصابات الصهيونية، وهو هنا يعيش حياة الضابط المرفه المستريح فى البلاط الملكى، وتصل إليه أنباء القائد الضابط أحمد عبدالعزيز، الذى كان يقوم بتدريس مادة التاريخ العسكرى لطلاب الحربية، وكانوا يتلهفون على محاضراته، حيث يقدم لهم وجبة دسمة من المعلومات الشيقة وخلاصاتها المفيدة، وهم ينصتون إليه بانبهار تام، وكانت له لمحات خلال حديثه تؤجج العزيمة، وتحفزهم على التضحية والفداء، وهو صاحب الفضل فى تكوين ما سمى بـ«القوة الخفيفة» التى فتحت باب التطوع للحرب فى فلسطين قبل الإعلان الرسمى لمصر عن الدخول فيها، وقد استشهد فى تلك الحرب بطريقة درامية، حيث أصابته رصاصة طائشة، بينما كان أحد الجنود يقوم بتنظيف سلاحه.

لم يكن البكباشى أحمد عبدالعزيز هو القائد البطل فقط، بل المعلم القدوة الذى اتفقت عليه الأجيال العديدة من الضباط، وسبحان الله لو أمد فى عمر البطل عبدالعزيز لتغيرت خريطة فلسطين كلها، لكنها إرادة الله.

ساعات قليلة، وأطلق البروجى نوبة لجمع الضباط فى قصر عابدين، ومن المؤكد أن هناك ما يستدعى الإعلان عنه.

اصطفوا كالمعتاد كأنهم بنيان مرصوص، وجاء العقيد حلمى عبدالرحمن قائد الحرس الملكى، وأدى الجميع له التحية، وكانت نظراته تتفحص ضباطه حتى استقرت عينه عند سعد الشاذلى، وكأن ما سيقوله يخصه وحده دون غيره.. قال حلمى:

– لقد وافق مولانا الملك فاروق جلالة ملك مصر على فتح باب التطوع للجيش المصرى لحرب فلسطين.

وهكذا تحقق للشاذلى ما تمناه لنفسه ولغيره، رغم أن المشاركة الملكية فى الحرب جرت كنوع من الاستعراض ليس إلا، وكان الشاذلى فى طليعة من سجلوا أنفسهم فى كشف التطوع.

وخرجت الفرقة المسافرة إلى فلسطين بعتادها فى طابور استعراضى، تتقدمه الموسيقى العسكرية من قصر عابدين، مخترقة وسط العاصمة نحو محطة مصر للسكك الحديدية، حيث يركبون القطار الذى يقلهم من القاهرة إلى غزة، وكان القطاع تابعاً لمصر ويربطه بها هذا الخط الحديدى الذى يمر بالعريش.

ويحكى الشاذلى عن تلك الحرب فيقول: «لم تكن رتبتى العسكرية تسمح لى بالإلمام بالموقف العام، وقد كشفت لنا هذه الحرب عن ضعف التعليم العسكرى، وتدهور عمليات القتال، فقد كانت دراستنا فى الكلية الحربية التى استمرت نحو ١٨ شهراً فقط، دراسة نظرية على الورق فقط، عرفنا القنبلة اليدوية على السبورة فى فصول الدراسة، وعندما وجدنا أنفسنا فى ميدان القتال كانت المأساة، اكتشفنا أن الأسلحة تم شراؤها من السوق السوداء، أغلبها معطوب وغير صالح، وقديم ولأن الجندى غير مدرب عليها فكانت النتائج تأتى عكسية أحيانا، فالقنبلة التى تنفجر بعد ٧ ثوان وجدوا أن النوع المستخدم منها ينفجر بعد ٤ ثوان، وهو ما عرف بالأسلحةً الفاسدة، وهى كانت موجودة بالفعل لكنها قليلة، والمعروف أن السوق السوداء كانت تبيع مخلفات السلاح بغير ضمان».

وأضاف الشاذلى: «الأهم من ذلك افتقاد التدريب الجيد، بينما جيوش الصهاينة قد خاضت الحرب العالمية الثانية، واستفادت منها فى الجوانب العسكرية كلها.. كانت القوات العربية قد حشدت ٤٠ ألف جندى، بينما يزيد جيش إسرائيل على ١٠٠ ألف جندي، وكنا نمتلك الطيران، وهنا خرج الطيران البريطانى لكى يتصدى له، وأسقط خمس طائرات مصرية، وكانت بريطانيا هى الضامن الأساسى لعدم انتصار العرب، وهو الدور الذى لعبته أمريكا فيما بعد.. دخلنا الحرب وعندنا قناعة تامة من قادة جيوشنا أن

اليهود ما هم إلا عصابات، وفور دخول الجيوش العربية إلى فلسطين سوف نقضى عليهم فى ساعات قليلة، ثم اتضح عكس ذلك تماماً فهم مدربون تدريباً عالياً، ولديهم أسلحة متفوقة وعمل ونظام فكان يتم تصفيح اللورى، بحيث لا نستطيع تدميره، وكنا نطلق عليه رصاصاً فلا يخترقه».

ومع ذلك يكشف الشاذلى مفاجأة مدوية عندما يقول: «إن ما جرى فى حرب فلسطين ما هو بهزيمة لنا أو انتصار للعدو، ولولا الجيوش العربية لما بقى كثير من الأراضى الفلسطينية بعيداً عن أيدى الصهاينة، وهى الأراضى التى جرى احتلالها بعد ذلك فى يونيو ١٩٦٧».

ونعود إلى أنور السادات الذى يؤكد أن الحكومة المصرية طلبت من ضباطها وجنودها السفر إلى فلسطين عام ١٩٤٨ بالبنادق فقط، واعتبروا ذلك انتحاراً وتراجعا فرفضوه وامتنع بعضهم عن السفر مثل عبدالمنعم عبدالرءوف الذى حل محله اليوزباشى خالد فوزى، وكان لذلك الأثر السيئ فى نفوس الغالبية، وكان اليوزباشى أنور الصيحى قد تقدم متحمساً ليحل محل عبدالرءوف وفى أول معركة استشهد.

وقد جاء الشهيد حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى، وقد حضرا إلى محطة مصر لوداع الضباط والجنود، ويذكر أن بعض الإخوة الليبيين كانوا بين المتطوعين، وقد حضر أيضا عبدالرحمن عزام ـ أمين عام جامعة الدول العربية ـ وتغلب الحماس على اليأس.

واكتشف بعض الضباط أن الأسلحة التى تم رصدها فى كشوف العهدة ليست كاملة، ومع ذلك قام رجال الصيانة فى العريش بفحص العربات المسافرة والذعر والأسى والحزن يخيم عليهم جميعاً، فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء، ومع ذلك عكفوا على إصلاحها وتأهيلها لكى تصلح إلى حد ما للميدان، وكانت الروح العالية تتجاوز كل هذه المعوقات، وسافر المتطوعون مشياً على قضبان السكة الحديد إلى رفح، ومنها إلى خان يونس، وهناك وجدوا الضابط عبدالمنعم عبدالرءوف – الذى قيل سابقاً إنه اعتذر – قد سبقهم إلى الميدان.

لكن فى أرض المعركة وضح تماماً أنها تسير وفق نظام غريب، لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة أو الفاشلة فى العالم بأسره، فالجيش

يحـارب فى فلسطين لكن قيـادته فى القـاهـرة بعيـداً عن أصـول وقـواعـد العسكرية.

واتضح تماماً أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانة الجيش رغم أنهم وعدوا حكومـة النقراشى بمسـاعدة الجيش بـالسـلاح والعتـاد والذخـائر، ولكنهم لم يفعلوا عمداً.

وفى وسط هذا المناخ الضبابى والإحباط وقلة الإمكانيات جاءت الأوامر من القاهرة إلى غزة بإعداد استراحة لجلالة الملك فاروق تسمى «ركن فاروق».

وهناك فى أرض فلسطين أدرك الضباط أن قيادة البلاد يجب أن تتغير، فهى أبداً لم تكن على مستوى الحدث، وكانت تلك هى الشرارة التي أشعلت ثورة ٢٣ يوليو وعجلت بها.

وهنا يرى المؤرخ العسكرى جمال حماد أن الجيوش العربية رغم كل ذلك اقتربت من تل أبيب، لكن تحت سطوة الاستعمار خضعت الحكومات العربية للضغط، وتم قبول الهدنة الأولي فى ١١ يونيو، ثم الهدنة الثانية فى ١٨ يوليو ١٩٤٨، وتحت ستار تلك الهدنة تدفقت الأسلحة والمعدات على إسرائيل فى الوقت الذى تم فيه حرمان العرب منها، وهنا خرقت إسرائيل الهدنة، وفاجأت القوات العربية بالهجوم، واحتلت القسم الأكبر من الأراضى الفلسطينية، والذي يتجاوز ما حصلت عليه بقرار التقسيم الذى صدر فى عام ١٩٤٧.

والخلاصة المؤلمة المحزنة للضابط الشاب الذى خاض معركتين فى «دير زنين» و«ميت سليم» أن الحروب علم وخبرات وتدريب، وليست فقط مجرد حماس، والدرس الأهم عدم التقليل من شأن العدو، وكان هناك ما هو أهم من ذلك!!

5

تحرير فلسطين من القاهرة!!

هى الهزيمة لا شىء غير ذلك، لكنها الدرس العظيم الذى تعلمه الملازم الشاب سعد الشاذلى، وكان له أكبر الأثر عندما تولى رئاسة أركان الجيش المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبدرس الهزيمة أصبح هو مهندس النصر العظيم والمخطط الأول له الذى حسب لكل شىء حساباته الدقيقة، بالعلم والخبرة والتدريب

والأهم من ذلك أن الجيوش العربية لو توحدت لاستطاعت أن تقهر عدوها مهما يتحصن بخبرة ومعدات؛ لأن عقيدة القتال لها مفعول السحر.

وقد استقرت فى وجدان الضابط الشاب حالة عداء دائمة للكيان الصهيونى، الذى أسس دولته على اغتصاب حقوق الأبرياء، واستخدم التصفيات العرقية والإرهاب فى ترويع وتهجير السكان الأصليين، باختصار هى دولة الشر الأولى التى تقوم على الغدر والقهر والسطو، وكما قال جمال عبدالناصر: «إن كفاح الشعوب لا يتوقف ولا يستقر عند نهاية، إنه طريق بعيد المراحل كلما بلغ الشعب منه مرحلة لاحت أمامه باقى مراحله».

وبعد أن انتهت حرب فلسطين وعادت الجيوش منها، وبعد أن أفلت ناصر من حصار الفالوجا، لم يضيع الوقت فقد أدرك أن تحرير فلسطين يجب أن يبدأ أولاً من القاهرة وهو ما آمن به الشاذلى مبكراً أيضاً، وظل مؤمناً به حتى نهاية حياته، ودفع لذلك ثمناً غالياً من التجاهل والنفى والسجن.

فى البيت نفسه الذى يسكنه الشاذلى جرت حركة غير عادية فى الطابق الأعلى الذى يسكنه جمال عبدالناصر، إنها زيارة مفاجئة وغير مرغوب فيها قام بها الفريق عثمان المهدى، رئيس أركان الجيش، ومعه مجموعة من ضباط البوليس الحربى، وكان الهدف القبض على جمال عبدالناصر، وبعد تفتيش بيته لم يجدوا سوى بضع طلقات فقد كان حريصاً للغاية، ومع ذلك تم اصطحابه إلى دولة إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام، ووجهت إليه تهمة التعاون مع (الإخوان)، وتدريب بعض الشبان منهم على السلاح، ولا يعرف جمال كيف كان

صبوراً على هذه المناقشات، وخشى عبدالهادى إن هو أمر باعتقال جمال المحبوب بين زملائه أن يشتعل الموقف، وتأتى الرياح بما لا تشتهى سفينة الحكومة.. فى هذا الوقت بدأت تتضح معالم قيادة الضباط الأحرار، كما يقول السادات، واستثمروا وجودهم بالقاهرة، جمال الذى كان يحمل رتبة الصاغ، ويعمل مدرساً بمدرسة الشئون الإدارية للجيش، وعبدالحكيم عامر بمدرسة المشاة، وزكريا محيى الدين المدرس فى الكلية الحربية، وصلاح سالم زميلهم، وظهرت الملامح الأولى للضباط الأحرار الذين وضعوا لأنفسهم أهدافاً عدة واضحة، منها القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة، وتكوين جيش وطنى، وإقامة حكم نيابى سليم، وكان قانونهم السرية المطلقة، وتخصيص ضابط من كل سلاح يتولى شئون الخلية التى تعمل بعيداً عن الخلايا الأخرى، وتكليف كل ضابط بتقديم تقرير أسبوعى عن مجموعته، ومن هنا اختلطت الأوراق على بعض المؤرخين حول الضباط الأحرار، خاصة قبل الثورة، حيث يلتقى الضابط بزميله فى التنظيم ولا يعرف أحدهما صاحبه، ومن هنا لعبت السرية دورها فى نجاح التنظيم، ولذلك اختلفت الآراء بعد ذلك حول انضمام فلان إلى الضباط الأحرار من عدمه وقد طالب منشورها الأول بضرورة ضم أعضاء جدد كل أسبوع، وهو ما يعنى توسع الأعداد بعد أن بدأت الخلايا خماسية (أى من خمسة أعضاء)، ثم يصبح كل عضو منها نواة لخلية جديدة.

وبدأت تلك الخلايا التحرك لمواجهة القصر ومخابراته الخاصة، وكذلك قيادة الجيش، وتحرك صلاح سالم لكسب ثقة حيدر باشا وزير الحربية، وتحرك السادات، كما يقول، داخل القصر عن طريق الدكتور يوسف رشاد.

وهنا يجب الوقوف عند نقطة مهمة للغاية، فقد هاجم البعض الشاذلى واتهموه بالانضمام إلى الحرس الحديدى الذى أنشئ فى الأربعينيات لخدمة القصر والملك، متذرعين بوجود الشاذلى كضابط بالحرس الملكى، وهنا يكشف الشاذلى عن هذا الأمر بوضوح، ويعترف للإعلامى أحمد منصور فى برنامج «شاهد على العصر» الذى تقدمه قناة الجزيرة حيث قال:

- لم يكن لى علاقة بالحرس الحديدى، بل إنى لم أعلم بأمره إلا بعد قيام

ثورة ٢٣ يوليو، وعندما سأله منصور إن كان الانضمام إلى هذا الحرس جريمة أم أنها خدمة يفخر بها الضابط؟

فقال الشاذلى: عندما كان التنظيم يقوم بتصفية الإنجليز وقتلهم، فإن ذلك أمر مشرف، لكنه عندما يصفى خصوم الملك فإنه لا يشرف!

وقد حدث ذلك مع أمين عثمان وزير المالية فى حكومة الوفد عام ١٩٤٦، وقد كان عثمان مكروها من جانب الجماعات الوطنية المختلفة؛ لأنه وصف علاقة مصر بإنجلترا بأنها زواج كاثوليكى.

وقد لعب يوسف رشاد دوراً بارزاً فى تكوين الحرس الحديدى بمجموعة أصدقاء من صغار ضباط الجيش كانوا يسهرون فى منزله، وقد كلفهم باغتيال مصطفى النحاس وأمين عثمان.

وأحضر أحد أفراد الحرس سيارة مطافئ، وانطلقوا ناحية منزل النحاس، واقتربوا من البيت، وأطلقوا النيران بالفعل، وفشلت المحاولة، و فى مرة أخرى أحضروا سيارة حملوها بالديناميت، وقادها الضابط مصطفى كمال صدقى، وتركوها أمام منزل النحاس، وانفجرت بعد ربع ساعة، ونجا النحاس مرة أخرى رغم أن الشظايا التى تطايرت كسرت زجاج غرفة نومه، واعتبر الناس أن النحاس رجل مبروك، وأكد هذا الكلام جمال عبدالناصر الذى قال لأنور السادات: «يبدو أن النحاس من أولياء الله ومن يظلمه لا يكسب»!

ويكشف المؤلف سعيد جاد فى كتاب «الحرس الحديدى» كيف أن بعض أعضاء هذا الحرس تلونوا وتغيروا بعد ثورة يوليو، ومنهم حسن عبدالمجيد وخالد فوزى، وقد عينا بعد الثورة سفيرين لمصر بالخارج، وأصبح مصطفى كمال صدقى مناصراً متطرفاً للثورة، ثم انقلب عليها وحوكم بتهمة محاولة قلب نظام الحكم وتزوج تحية كاريوكا، ثم مات فى إحدى المصحات النفسية، أما سيد جاد نفسه وهو أحد أعضاء الحرس فقد قبع فى السجن شهوراً عدة، ثم عمل بالمحاماة فترة وجيزة، ولم يحقق نجاحًا فيها.

وهكذا تثبت كل الوثائق والكتب التى تناولت قصص الحرس الحديدى (بما فى ذلك الوثائق البريطانية) أن سعد الشاذلى لم يكن له صلة بهذا الحرس من قريب أو بعيد.

صفحة جديدة

ولأن جمال عبدالناصر بدأ الانشغال بالثورة على القصر والنظام فى فترة تقارب فيها مع الشاذلى عسكرياً وجمعهما السكن الواحد، وكذلك حب الوطن والرغبة الصادقة فى تحريره من الاستعمار، والإيمان المطلق بالقومية العربية، والحب المشترك لكتابات أحمد حسين وإحسان عبدالقدوس، وفى حوارات طويلة جمعت بين الرجلين كان الوطن حاضراً، وبعد ما جرى فى فلسطين، اتجه كثير من الضباط بشكل أو بآخر إلى السياسة، فانضم بعضهم إلى منظمة سرية (حدتو) التى ضمت اليساريين وانضم بعضهم الآخر إلى الإخوان المسلمين، فعلوا ذلك تمرداً على القصر والحكومة والاحتلال.

وعندما أصدر الرئيس أنور السادات قراراً بمنح معاش خاص تكريماً لـ ١٦٨ ضابطاً، كانوا ضمن تنظيم الضباط الأحرار خلت القائمة من اسم الشاذلى، وهو دليل قاطع على أنه انضم فقط لهذا التنظيم بطريقة شفهية، أو أمسك بالعصا من المنتصف خوفاً من كشف التنظيم رغم تعاطفه معه، وهو قول مردود عليه بإجابة بسيطة للغاية، إذا رجعنا إلى تاريخ قرار السادات وهو عام ١٩٧٢ و كان الشاذلى وقتها رئيساً لأركان حرب الجيش المصرى، أى أنه فى الخدمة، وبالتالى لا يحتاج إلى معاش، بدليل أن القائمة خلت من بعض الأسماء الكبيرة المعروفة فى تنظيم الضباط الأحرار ؛ ذلك لأن لهم وضعية سياسية خاصة و كانوا فى غنى عن المعاش.. وعند الشاذلى أدلة أخرى!!

6

الأبطال يدفعون الثمن!

لا يعترف الفريق سعدالدين الشاذلى بالإنسان الكامل.. فهو يستطيع كما يرى المزايا أن يكتشف العيوب وغالبا ما يفعل ذلك بادئاً بنفسه.. وقد يأتى هنا السؤال: كيف كان الشاذلى قريباً من جمال عبدالناصر.. ومع ذلك لم يظهر بين الضابط الأحرار بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وكان من بينهم.. وإذا كانت السرية قد فرضت عليه ذلك فلماذا لم يتم تصعيده ومنحه المناصب مثل غيره؟!

من يسأل هذا السؤال حتما لا يعرف طبيعة الفريق الشاذلى الذى لا يحب أن يزاحم غيره على منصب أو موقع.. لكن يحب أن يأتيه هذا المنصب حيثما كان.. ومن يقرأ سيرته بدقة فسيدرك هذا جيدًا ويدرك كم كلفه الكبرياء الكثير إلى حد المبالغة.. ولكن هذا هو قدر الأبطال الذين أحيانا ما يدفعون الثمن لأنهم رفضوا الاستسلام لمنطق الخضوع للأمر الواقع، وآمنوا بأن النصر لا يتحقق إلا بالاعتراف المر بالهزائم، لكن للسياسة حساباتها التى تصطدم بالعسكرية.

لا أريد أن أكشف عن أوراق القصة المثيرة مبكراً لأنها تمثل الذروة الدرامية فى رواية الكبرياء وبطلها الشاذلى لكنى لن أبتعد عنها كثيرا...

فى الأشهر القليلة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ مباشرة كان الضابط الشاب سعد الشاذلى منتظماً فى دورة دراسية لأركان الحرب، وكان الضابط معروف الخضرى مسئول الخلية التى تضم الشاذلى مع الضباط الأحرار.. يعرف هذا؛ وبالتالى لم يكلفه بشىء لعلمه بانشغاله بتلك الدورة التى تحتاج إلى تفرغ وهى مهمة جدا فى الميدان العسكرى.

يكشف الشاذلى كيف أن جمال عبدالناصر كان هو قائد الثورة ومحركها الأول بعكس ما قيل عن استخدامه للقائد محمد نجيب كستار ثم الانقلاب عليه، ولك أن تسمع القصة من أنور السادات كما رواها فى حلقات نشرتها «الجمهورية» وقت أن كان هو مديرها العام الأول.. يقول السادات: «فى عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلى والخلايا والمخابرات» وبدأنا نفكر فى تحديد ميعاد الثورة.. وقررنا أن أمامنا خمس سنوات على

الأقل لكى تكتمل قوتنا وبما يجعلنا ـ كضباط أحرار. نستطيع أن نتغلب على الملك والاستعمار.. لكن السياسة لا تستقر على حال.. ولذلك عدلنا الفترة الزمنية إلى ثلاث سنوات.. والسبب فى ذلك ما جرى من حزب الوفد، وقد كانت الحسابات تعول عليه دوراً كبيراً لكنه هادن القصر مما تحول إلى صدمة لدى الشعب».

ويعترف السادات بأنه كان يتحرك بصعوبة بعد خروجه من السجن على إثر قضية مقتل أمين عثمان، وفى عام١٩٥١ تم نقل صلاح سالم وعبدالحكيم عامر والسادات إلى سيناء، و نقل جمال سالم إلى العريش وكان لابد من البحث عن رئيس يجمع شتات الضباط وقد تفرقت بهم السبل على هذا النحو، وبالاجماع تم انتخاب جمال عبدالناصر، وفى الاجتماع نفسه تقرر اختيار اللواء أركان حرب محمد نجيب قائداً للحركة يوم تنفيذها فهو من كبار الضباط وشخصية محبوبة.. ولكن هذا القرار ظل سراً لا يعرفه اللواء نجيب.. وكان عبدالحكيم عامر هو الذى عمل معه، ورأينا أن يكون هو همزة الوصل بينه وبين البكباشى جمال عبدالناصر بعد عودته من الفالوجا، وكان عبدالحكيم أيضاً قد تم تكليفه بعمل ما يسمى «تقرير حالة» أو «تقرير موقف» وقد جاء فيه أن الحركة تستطيع أن تنفذ مخططه فى أول فرصة تحين لها».

وكان جمال قد قام بجولة داخل العديد من وحدات الجيش؛ للوقوف بنفسه على ما يحدث، وفى الوقت نفسه جرت اتصالات مع الوفدى الكبير فؤاد سراج الدين، وجاءت انتخابات نادى الضباط لتكون أول اختبار لتحركات الضابط الأحرار، واستشعر القصر ذلك فأعلن تأجيل الانتخابات حتى ضغطت الحركة ونجحت.

وقد أكد الفريق الشاذلى فى أحاديث عدة أن جمال عبدالناصر هو العقل المدبر للثورة قولاً وفعلاً.. لذلك أعلن عن تأييده للثورة.. وكان طبيعياً أن يعرض جمال بعد أشهر قليلة من الثورة على الفريق الشاذلى أن ينضم إلى جهاز المخابرات بعد إعادة تنظيمه لكنه طبقاً لشهادته ثم شهادة زوجته فيما بعد السيدة زينات السحيمى اعتذر عن عدم قبول العرض، مفضلاً الاستمرار فى الخدمة داخل القوات المسلحة.

وهنا يوضح الكاتب مصطفى عبيد هذا الأمر فى كتابه «العسكرى الأبيض» فيقول:

«جهاز المخابرات كان قائماً فى مصر تحت مسميات أخرى، لكنه لم يتحول إلى جهاز حقيقى مهمته الدفاع عن الأمن القومى إلا بعد الثورة، ومن الثابت تاريخياً أن عبدالناصر أوكل مهمة إنشاء الجهاز لزكريا محيى الدين، وفيما بعد شهد الجهاز نهضة كبيرة خلال عهد صلاح نصر الذى حقق من خلاله كثيراً من العمليات الناجحة قبل أن يقال، ويقدم للمحاكمة بتهمة الانحراف بعد نكسة يونيو ١٩٦٧.

ولا شك أن ذلك يدفعنا إلى استنتاج أن قرار الشاذلى بالاعتذار عن عدم العمل فى ذلك الجهاز يرجع إلى أن طبيعة الشاذلى نفسه طبيعة أخلاقية أقرب إلى التدين والالتزام ولا تتوافق مع أفكار ومبادئ الاستغلال والتجسس والوشاية، وانتهاك حقوق الإنسان.

كان الشاذلى عاشقاً للحياة العسكرية ومحباً للعلوم البحرية، وكان يرى أنه يمكن أن يقدم خدمات جليلة للوطن من خلال القوات المسلحة؛ لذا كان عبدالناصر حريصاً على تكريمه وتقديره ومساندته داخل الجيش المصرى الذى بدأت شهرته وقدراته تتسع بعد نجاح مجلس قيادة الثورة فى الاستئثار بجميع شئون الحكم بعد أزمة مارس الشهيرة فى عام ١٩٥٤.

ولنا هنا وقفة مهمة بطلها الدكتور ثروت عكاشة أحد الضباط الأحرار من سلاح الفرسان ورائد الثقافة المصرية فى مستهل الثورة، حيث يرشدنا إلى كتاب «قائد البانزر» للألمانى الجنرال هاينز جوديريان وهو من أبرز القادة وأحد صانعى التاريخ العسكرى من خلال فكره المبتكر فى استخدام المدرعات، وسنجد أن الشاذلى كما لو كان قرأ الكتاب وحفظه حيث يقول الجنرال إن أفضل المزايا التى تخلق القائد العظيم العسكرى، أولها دقة الملاحظة، وعمق التحليل، وسرعة الرد، والثقة بالنفس، والقدرة على مفاجأة الخصم وأن يظل فى حالة اضطراب تنتهى به إلى الشلل، هذا إلى جانب قدرته على تعميق المودة بينه وبين جنده، وتحريك إعجابهم، والتأثير فيهم بما يحفزهم لبذل أقصى جهد ممكن.

ويذكر د. عكاشة أن الجنرال الألمانى كان شديد البراعة فى التحايل على

جعل المستحيل ممكنا، إذ كان واسع الخيال فى الإفادة مما لديه من معدات بإدخال تحسينات على بعض الأسلحة أو تطويرها والإسراع بتجربة ابتكاره وهو الأمر الذى لم يقدم عليه قائد عسكرى من قبل، إذ كان ذلك متروكا للإخصائيين المدنيين والعسكريين.

وأنا أتمنى من القارئ الكريم أن يحتفظ بتلك الأسطر فى ذاكرته لكى يعرف عندما نصل إلى رئاسة الشاذلى لأركان حرب الجيش المصرى كيف انطبقت عليه جميع شروط الجنرال الألمانى بل وزادت.

ويضيف عكاشة: ويندر أن تجد فى التاريخ مبتدع فكرة تسنح له الفرصة كى يضع نظريته موضع التنفيذ والتطبيق، ولقد كان لجوديريان من القدرة على التخيل الإنشائى والطاقة الديناميكية والجسارة فى استغلال الفرص التى تسمح له ما هيأ له أن يخرج على العالم بنتائج فورية فى فن الحرب، وما أثار دهشتى أن وجدت بين ثنايا الكتاب اسم الجنرال مونزل يتكرر فى أكثر من موضع يشار بالثناء عليه من قائده الأعلى فزادنى هذا إعجابا به وعدت أستفسر منه عن تفصيل ما ذكر فى الكتاب عنه مجملا وإذا بى أجدنى مسوقا إلى ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بعد أن وجدت فيه من الدروس ما ينبغى أن يفيد منه كل مقاتل فى قواتنا المدرعة، وقدمته إلى القوات المسلحة التى تولت طبعه ونشره وظهرت طبعته الأولى عام ١٩٦٠ فى جزءين ضخمين مزودين بالخرائط بعنوان «قائد البانزر».

وكنت قد قرأت - والكلام لعكاشة - فيما مضى شيئا عن القائد المغولى (جنكيز خان) مما كتب فى العربية لابن الأثير وابن الفرات ومحمد بن القسوى ثم علاء الدين الحوينى وعبدالله بن فضل الله وقد أصابوا فى شىء وأخطأوا فى أشياء، وفى ظل هذه البحوث الإسلامية نشأت محاولات غربية ما أشك فى أن هذا التراث الشرقى كان مادتها الأساسية فكانت بعض هذه المحاولات ترجمة لما كتب فى العربية وبعضها تأليفا استعين فيه بتلك المادة العربية ورأيت فى جنكيزخان صورة من القوة العارمة التى لا تأبه للشدائد والعنف الصاخب الذى يستهين بالمصاعب.

حالة خاصة

أن تجتمع الثقافة مع روح الانضباط بالأخلاقيات تكون النتيجة دائما قيادة رشيدة وطنية، عرفنا عن جمال عبدالناصر أنه العاشق للقراءة وقد كانت له محاولات عديدة فى الكتابة الأدبية والسياسية منها قصة «ثمن الحرية» وكتاب «فلسفة الثورة» وكان السادات فصيحاً وخطيباً وتولى إدارة مؤسسة دار التحرير (الجمهورية) وله أكثر من كتاب، والفريق الشاذلى كان حريصا فى مستهل حياته على أن يقرأ كل ما يقع تحت يده، وإلى جانب ذلك درس الكثير من العلوم العسكرية فى أمريكا والاتحاد السوفييتى، وكان حريصاً على متابعة كل مستجدات العلوم العسكرية، وله عدة مؤلفات وختم القرآن الكريم مرات عدة فى سجنه الذى فرضه عليه الرئيس السابق مبارك.. وهو أول قائد كان يتواصل مع جنوده بشكل مباشر فلما اتسعت الدائرة وشملت الجيش المصرى كله بعد أن تولى رئاسة الأركان كان يصدر تباعاً كتيبات يخاطب فيها رجال الجيش من ضباط وجنود أولا بأول، ومازال بعضهم يحتفظ بتلك الكتيبات التى كان لها أبلغ الأثر فى رفع الروح المعنوية والعبور من إحباط الهزيمة إلى آفاق النصر.

والآن نسأل: كيف لقائد أن ينفتح على المدرسة الأمريكية العسكرية ثم المدرسة السوفييتية وهى على النقيض منها تماما، ثم يرتد إلى بلاده مصرياً خالصاً!!

7

الله..الوطن..الشرف!

الوطنية لا تباع ولا تشترى، وعندما يكون الولاء الأعظم لله سبحانه وتعالى ثم لتراب وطنك.. وقتها ستأخذ من الشرق أفضل ما فيه.. ومن الغرب أحسن ما عنده.. ثم تتكون لك فى نهاية المطاف وجهة نظرك الخاصة ومنهجك الذى تؤمن به ويحقق لك التميز والتفرد فى مجالك.

فى عام ١٩٥٣ كانت هناك ترشيحات لبعثة تدريبية فى الولايات المتحدة الأمريكية.. وتقدم لها الشاذلى وخاض امتحانها مع غيره وكان أفضلهم وأقربهم إلى البعثة لكنها لسبب أو لآخر ذهبت إلى غيره، لقد ابتعد الشاذلى عامداً عن ضباط الثورة فى فترة تقسيم الغنائم والمناصب بعد نجاح الثورة.. كان ينظر إلى ما هو أبعد من ميزة يحصل عليها، ويقاتل لأجلها، وأهم ما يتميز به نظرته البعيدة للأمور، حيث العسكرية عنده قبل كل شىء، وبعد كل شىء، وهى كل شىء، كانت البعثة لدراسة فنون المظلات.. وهو الذى تم تكليفه بعد ذلك بإنشاء أول فرقة مظلات فى مصر وبدأ التدريب عليها لكى يستعرض فنونها أمام جمال عبدالناصر فى العرض العسكرى الذى سيقام فى ٢٣ يوليو ١٩٥٤.. وتسمى قوات الصاعقة والمظلات بالسلاح الأقوى والأشد، وأشهر المدارس التدريبية فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا، وأشهر الوحدات: نافى سيل، صقور الجو، رجال الجبهات الخضراء، رينجرز، «أس. أ. أس، دلتا فورس، رينبو سكس».. هذه كلها دورات رفيعة المستوى تقوم بما يسمى العمليات الخاصة.

وللأسف هناك خطأ كبير وقعت فيه بعض مواقع الإنترنت وأيضاً كتاب المقالات عندما تجاهلوا أن مؤسس المظلات هو سعد الشاذلى، حيث إن الشاذلى فى هذا الوقت حصل على رتبة رائد، وهو أول من حصل على فرقة رينجرز من مدرسة المشاة الأمريكية وكلمة رينج معناها قاطع المسافات الطويلة، و«رينجرز» هم الرجال الذين كانوا يحرسون القوافل الأمريكية من

الغرب للشرق أو العكس.. بعد ذلك ذهبت مجموعة أخرى للحصول على الفرقة نفسها منهم جلال هريدى.

وبالتحقيق فى الموضوع وباستقصاء العديد من المصادر اكتشفت أن سبب تجاهل اسم الشاذلى فى تأسيس فرقة المظلات راجع لوجود المقدم أحمد إسماعيل قائد كتيبة هريدى.. وهو نفسه المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية، والمعروف أن بينه وبين الشاذلى خصومة ولها قصة سوف نقف على تفاصيلها.

ثم إننا سنجد أن أحد أبطال المظلات الأوائل الشهيد إبراهيم الرفاعى الذى انضم إليها وهو ملازم أول والنقيب نبيل الوقاد وهو شقيق الكابتن محمود بكر المعلق الرياضى الشهير، وبعد المظلات أنشئت الصاعقة التى أصبحت عالمياً فى المركز الثانى بعد صاعقة الهند التى تأكل لحوم البشر الموتى، وكانت قوات المظلات قد تأسست فى أول الوحدة مع سوريا وكانت تحمل رقم «٧٥» وأخرى فى سوريا هى «٧٦»، وقد عادت الأخيرة إلى دمشق بعد الانفصال.. وبعد ذلك تأسست الصاعقة وتم ضمها إلى المظلات فيما يعرف بالقوات الخاصة.

وهنا يكشف الفريق الشاذلى لأحمد منصور فى برنامج «شاهد على العصر» كيف ذهب إلى أمريكا وهو يحمل رتبة الرائد.. ووقتها كانت مصر بعد ثورتها مباشرة بأشهر قليلة وعلاقتها مع أمريكا الدولة التى بدأت تتصدر المشهد العالمى على حساب الامبراطورية الإنجليزية التى غربت عنها الشمس.. وكان الضابط الشاب يعرف أن المجتمع الأمريكى الذى يعيش وسطه لا يمثل قيادته السياسية ويعترف بأن الشعب الأمريكى بسيط فى تعاملاته ومن الممكن الاندماج معه بسهولة وكان يطلق على الضابط المصرى أنه حليف ومع ذلك فى بعض المحاضرات كنا كشرقيين يتم منعنا منها..

وقد استفاد من تلك الدورة التى ذهب لأجلها، وكانت تجربة مثيرة لأن سلاح المظلات لم يكن معروفاً فى مصر ولا فى أغلب الدول العربية ورجاله- كما هو معروف- صفوة العسكريين وهذه الدورة لم يحصل عليها مصرى قبله سوى حسن فهمى عبدالمجيد ولكنه لم يستمر فى المظلات بعد عودته وللأمانة مثل هذه الدورة التى تضيف إلى الشخص خبرات خاصة تجعله يشعر بالكبرياء وحتما ستزداد درجته بعد العودة إلى مصر.. حيث تلقيت

الأمر من جمال عبدالناصر بتأسيس سلاح المظلات بعد أن كان مجرد وحدة صغيرة..

يقول الشاذلي: «وعندما أقول عبدالناصر فإن ذلك تم عن طريق القيادة العسكرية لكن بموافقة رئيس الدولة.

وأصبحت أنا قائداً لأول كتيبة مظلات، وعرفت أن احتفالات الثورة سوف تشهد عرضاً أمام الرئيس، وكانت الكتيبة مجرد سريتين ولم تكتمل قوتها، ومع ذلك كان الاستعراض دافعاً للانطلاق وهدفاً نريد أن نصل إليه بنجاح، وكنا نجرى يومياً لمدة ٣ كيلومترات، ونعمل استعراضاً بالخطوة السريعة، والتقيت مع قائد منطقة القاهرة وهو اللواء نجيب غنيم، وشرحت له برنامج الاستعراض، وكان المطلوب أن يتم إخلاء ميدان العرض، حيث تمشى القوات البرية ومن خلفها الدبابات، وخشينا أن تظن القيادة أن هناك خللاً فى البرنامج بسبب لحظات الصمت هذه بين قوات تمشى بخطوة عادية، وأخرى تمشى بخطوات سريعة، ومع ذلك مرت اللحظات بشىء من القلق على الحاضرين، ثم بدأت الموسيقى تعزف بما يتناسب مع خطواتنا بإيقاعها الخاص.. ونجحت الفقرة وأصبحت هذه الخطوة السريعة مرتبطة بقوات الصاعقة والمظلات وبما يميزها عن سائر القوات ونقلتها الدول العربية فيما بعد وكانت الكتيبة رقم ٧٥ هى الرائدة».

ولنا هنا أن نسأل: لماذا تجاهلت مواقع الإنترنت، التى نقلت عن بعضها البعض، اسم الشاذلى وهو قائد الكتيبة مع أنها ذكرت رقمها.. إلا أن تكون المسألة متعمدة، وعلينا أن نعرف دور المظلات والناس تعرف أن المظلى يهبط من الطائرات العسكرية مستخدماً البراشوت أو «المظلة»، وبها ينزل خلف خطوط العدو، وبذلك تستطيع ضرب خطوط المواصلات ومراكز القيادة ومنع الاحتياطى من الوصول إلى القوات البرية.. وعليه أن يعتمد على نفسه لمدة ٢٤ساعة حتى يلتحم مع قواته البرية، ولذلك يتم تزويده بسلاح وذخيرة وتعيين، «غذاء +ماء»، وبهذا المنهج عملنا فى الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣، حيث كان المتصور أن تكون عملية العبور الأولية باستخدام المظلات تلحق بها قوات المشاة قبل الدبابات والأسلحة بـ١٨ساعة، وبالأرقام والأوزان حسبنا ما يمكن أن يحمله الجندى وأقصى مدة يمكن أن يقطعها سيراً على الأقدام

بالحمولة الواجبة من أسلحة وعتاد وقوات، ولذلك تكون نسبة المخاطر بالنسبة لجندى المظلات عالية، ولابد لذلك من تدريب خاص.. الطائرة التى ستقله معرضة للضرب قبل أن يهبط منها.. وهو أثناء نزوله يمكن للمدفعية أن تصطاده.. فإذا نزل سليماً من الممكن أن تتأخر عليه القوات البرية المنتظر أن تلتحم به، وبدلاً من أن يستمر ٢٤ ساعة يجد نفسه فى حسابات أخرى قد تصل إلى ٤٨ ساعة أو أكثر وعليه أن يهيئ نفسه بما لديه، حتى مخاطر المظلات قائمة وقت السلم أثناء التدريب العنيف الذى يتعرض له الجندى، وأبسط احتمال أن تخذله المظلة ولا تفتح فى الوقت المناسب، ومع ذلك يشعر الجندى بالزهو لأن اختياره تم بالانتقاء، وقد يتهمه البعض بالاستعلاء والغرور على زملائه الجنود، كما أن ملابسه متميزة بألوانها وشكلها ونحن ندربه على أن يفصل تماماً بين الإحساس بالثقة وبين التكبر.. وهنا لابد من العقلانية.

سؤال خاص

وعندما سألوا الفريق الشاذلى عن الأزمة التى وقعت بين الرئيس محمد نجيب والرئيس جمال عبدالناصر فى عام ١٩٥٤.. كانت إجاباته: هذه أزمة لم أكن طرفاً فيها ولا شاهداً عليها، لذلك أرفض أن أتحدث نقلاً عن أحد.. لذلك نقول للتاريخ إن مجلس قيادة الثورة تراجع عن قبول استقالة اللواء محمد نجيب فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ بعد أن اندلعت المظاهرات لصالحه؛ نظراً لشعبيته فقد كان نجيب رئيساً لسلاح الحدود.. ثم إن ضباط الفرسان انحازوا للديموقراطية.. وبالفعل عاد نجيب إلى الرئاسة وتم إعلان ذلك فى بيان حفاظاً على وحدة الأمة.. وهذه شهادة الكاتب أحمد حمروش، أحد الضباط الأحرار، بينما مضى ثروت عكاشة على نهج الشاذلى، وعمد ألا يتعرض فى مذكراته إلى ما جرى فى الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨، وكان قد سافر فيها إلى سويسرا وفرنسا كسفير ويتحدث الشاذلى عن العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦.. كقائد كتيبة فقط لا علم له بما يدور فى الكتائب الأخرى ولا يدعى البطولة.. وكان الهدف ضرب الثورة الناهضة وتحجيم الشعبية لجمال عبدالناصر وطموحاته المصرية والعربية والأفريقية والآسيوية، لكن أنور السادات فى كتابه «البحث عن الذات» يردنا إلى أزمة

نجيب وجمال التى دخلت مجالها الأخير بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز فى أكتوبر ١٩٥٤، وهى التى أنهت احتلال ٧٥عاماً لمصر، وقد جرت المفاوضات برئاسة عبدالناصر وبلغت العقبات أشدها داخل مجلس قيادة الثورة.. ثم بين «الإخوان» والثوار من جانب ومع الإنجليز من جانب آخر، وتكاتفت الظروف لكى تعلن الثورة فشلها عند هذا الحد، لكن مجلس قيادة الثورة تمكن من إبعاد ضباط سلاح الفرسان الذين اختلفوا معه، وأبرز هؤلاء خالد محيى الدين وثروت عكاشة، الذى سبق له السفر فى الخمسينيات، ربما لأنه استشعر الأزمة قبل وقوعها وهو صاحب الحس المرهف، وتم توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز وفى الضربة نفسها جرى عزل نجيب فى ضواحى القاهرة بمنطقة تسمى «المرج»، ظل بها نسياً منسياً حتى مات هناك معدماً.. وفى ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تم انتخاب جمال عبدالناصر رئيساً للجمهورية أو بمعنى آخر.. أعلن قائد البلاد الحقيقى عن نفسه، إنه الرجل القوى وتم حل مجلس قيادة الثورة وقبض جمال على زمام الأمور وبعد أسابيع قليلة أعلن دالاس وزير خارجية أمريكا إفلاس الاقتصاد المصرى وتراجع أمريكا والبنك الدولى عن تمويل السد العالى وظهر الاتحاد السوفييتى فى الصورة بحضور وزير خارجيته لاحتفالات أعياد الثورة وأعلن جمال فى ميدان المنشية تأميم قناة السويس رداً على دالاس.. وكانت العاصفة!!

8

انهزمنا.. وكسبنا الحرب عام ١٥٦!

«إنها الحرب يا جمال».... هكذا همس أنور السادات إلى جمال عبدالناصر والقطار يعود بهما من الإسكندرية إلى القاهرة بعد الإعلان عن تأميم قناة السويس.. هكذا يقول السادات فى مذكراته، ولكنه لم يذكر لنا ماذا كان جواب عبدالناصر عليه خاصة أن الجماهير فى جميع المحطات بين الإسكندرية والقاهرة قد خرجت مستقبلة بفرح فى إشارة تأييد لقراره من غالبية الشعب..

وما جرى أن رئيس وزراء بريطانيا، وكان على مأدبة عشاء أقامها الملك فيصل ملك العراق ونورى السعيد رئيس وزرائه، هب منتفضاً لكى يتصل بقادة فرنسا وإسرائيل، وكانت نصف أسهم القناة ملكاً لإنجلترا ونصفها الآخر لفرنسا، وكان عبدالناصر بقرار التأميم قد أفسد على الإنجليز حلف بغداد، وكان قرارهم بالحرب الثلاثية فى ٢٩ أكتوبر١٩٥٦، وهو الموعد نفسه الذى حدده وزيرا خارجيتى إنجلترا وفرنسا للاجتماع مع وزير الخارجية المصرى محمود فوزى، وهاجمت إسرائيل سيناء وأمر جمال بسحب القوات المصرية منها وبدأت الحرب.

عودة إلى الشاذلى

يقول الشاذلى: «هجم الطيران الثلاثى على الطائرات المصرية، وهى فى أماكنها، وكان باستطاعة جمال عبدالناصر أن يقف فوق سطح منزله ويرى بسهولة مطار ألماظة والنيران تشتعل فى الطائرات وتنفجر.. فى هذا الوقت كنت أنا قائد كتيبة مطلوبًا منه تنفيذ ما يتلقى من أوامر سواء اقتنع بها أو لم يقتنع.. وللعلم الكتيبة يتراوح عدد أفرادها بين ٥٠٠ و١٠٠٠ فرد، وتتكون من ٣ سرايا مشاة وسرايا معاونة للهاون والمدفعية المضادة للدبابات، واللواء يتكون من ٣ كتائب مشاة وتكون قوته فى حدود ٣: ٤ آلاف جندى والفرقة يصل عددها إلى ١٥ ألف جندى، ومعظم التشكيلات العسكرية فى الجيوش تتم على هذا النحو بزيادة أو أقل قليلاً، وهناك طبعاً وحدات للمشاة أو المدفعية أو المهندسين أو الإشارة، ومع ذلك وصلت

قواتنا التى توغلت فى سيناء إلى ممر (متلا)، وعسكرت عند ذلك وطلب الإنجليز أن يتم سحب قواتنا.. وكانت قوات فرنسية وإنجليزية قد نزلت جواً فى بورسعيد وقابلتها المقاومة الشعبية الباسلة، وحاولت قواتنا منعهم من احتلال السويس.

وتأهبت للطيران إلى سيناء والنزول هناك خلف خطوط العدو، ولما تم ضرب الطيران بما فى ذلك الطائرة التى كنت سأستقلها مع الكتيبة، وتحولت بذلك إلى وحدة مشاة عادية، واتجهت فيما بعد إلى السويس، ثم أخذوا سرية للمعاونة فى صد الهجوم على بورسعيد، وهى فى حدود مائة فرد.

وهذه الحرب نستطيع أن نقول إنها أسهمت فى تقوية شوكة إسرائيل التى لم تحارب بالمعنى المفهوم، لأن الطيران الفرنسى والإنجليزى تكفل بالجانب الأكبر منها، وكانت حسابات جمال عبدالناصر أن إنجلترا وفرنسا لن يقدما على الحرب بسهولة، ولكن حدث غير ذلك، ولذلك سحب عبدالناصر قواتنا من سيناء لمواجهتهما.. وطبعاً تدخل الاتحاد السوفييتى وأمريكا لوقف هذا العدوان.

وهنا يتحول الشاذلى إلى ناقد عسكرى وينظر لحرب ٥٦ بعين المحلل فيقول: الهدف من أى حرب أن تنتصر على عدوك لكى تملى عليه شروطك ويتصرف وفقاً لإرادتك سياسياً ولو حدث غير ذلك فأنت خاسر، حتما فى هذه الحرب وقد دخلت إنجلترا وفرنسا الحرب لإسقاط جمال عبدالناصر وتشجيع الشعب على ذلك وهو الهدف الذى لم يتحقق لأن الشعب التف حول جمال أكثر وبذلك كان تعديهم العسكرى بدون نتيجة سياسية، بينما تحقق ذلك لجمال، ثم إنك تنظر إلى هذه المعركة التى دخلتها ثلاث دول، ضد مصر بمفردها والتى قاتلت بسلاح روسى لم يتم التدرب عليه، ولم يصل بكمياته المنتظرة وعلى ذلك بدأت العلاقات مع الاتحاد السوفييتى تأخذ مساراً جديداً، بينما حدث الشقاق مع أمريكا، وكانت حربهما الباردة على أشدها، وقانونها: إن لم تكن معى فأنت ضدى، وكان هذا يتم حتى داخل أمريكا نفسها بما عرف بـ«المكارثية» وهكذا وجدت نفسى فى بعثة إلى الاتحاد السوفييتى.. أمام مدرسة مختلفة تماماً عن الأمريكية التى سبق لى التعرف عليها، وشاءت الأقدار لى أن تفتح أمامى أبواب أكبر قوتين فى فترة زمنية

وجيزة، والبعثة العسكرية، بالنسبة لى، ليست مجرد تدريبات ودراسة لفترة معينة فى علم بعينه، ولكنها أسلوب حياة أيضاً مع شعب ومكان، وكان الاختلاف أنك فى أمريكا ترسل بضابط أو اثنين، لكنك فى الاتحاد السوفييتى ترسل بمائة وبذلك تصبح عملية التعليم سريعة لأن هذا العدد عندما يرجع يقدم خبرته لغيره وبذلك تتسع الدائرة، إلى جانب ذلك كان هناك خبراء سوفييت يحضرون إلى مصر لنفس الغرض أيضاً.

وكان خيار جمال عبدالناصر فى هذا التوقيت ذكياً وعملياً، لأن أمريكا لن تدعم الجيش المصرى، بحيث يتفوق فى قوته على إسرائيل مهما تكن الأسباب، ومن هنا وجب أن نتجه إلى روسيا، حيث تريد محاصرة المد الأمريكى والاستعمارى، ولو عدنا بالذاكرة إلى الوراء فى عام ١٩٤٧ لوجدنا أن روسيا أيدت قيام دولة إسرائيل، ولكن بمقاييس السياسة ليست هناك ثوابت، ومع ذلك تشكك الروس عندما حاول جمال أن يتقرب منهم على حساب أمريكا.

وتمت أول صفقة سلاح بطريقة غير مباشرة عن طريق تشيكوسلوفاكيا، وكان السوفييت يدركون أن مصر قد تفتح لهم أبواب العالم العربى كلها، التى أغلقها الأمريكان فى وجوههم، نعم الإمكانات العسكرية فى أمريكا أكبر بحجم مشاهدتى، وهى فى بعثاتها تهتم بجوانب فنية للأفراد، لكن السوفييت يركزون على القيادات، كما قلت وهذا ما يذكرنا بالفارق بين الاستعمار الإنجليزى الذى كان يهتم بالموارد بينما الفرنسى يركز على الجوانب الثقافية وقد تأثرت القيادات العسكرية المصرية بالفكر السوفييتى، لكن المهارة المصرية كانت حاضرة وقادرة على الاستيعاب بل وتطوير ما تعرفه بأسلوبها الخاص، لكن البصمة السوفييتية كانت حاضرة وموجودة بعد ١٩٥٦.

إلى الكونغو

مرة أخرى يأتى اسم الشاذلى متصدراً لأول قوة عسكرية مصرية تشارك فى مهمة تابعة للأمم المتحدة، ومعنى ذلك أن نفوذ مصر وعبدالناصر بدلاً من أن يتقلص سياسياً بعد معركة ١٩٥٦ ازداد وتوسع وهذا هو الدليل، حيث تحول إلى زعيم مصرى وعربى وأفريقى بعد أن مد يده إلى حركات التحرر فى كل

مكان. ورغم أن الكونغو تبعد عن مصر خمسة آلاف كيلو متر، فإن يد التعاون كانت ممدودة، وهناك تظللها الأمم المتحدة، والمدهش كما قال الشاذلى: أن القوات المصرية سافرت إلى الكونغو بطائرات أمريكية وهذا هو التناقض السياسى الذى يتعامل مع هذه الأمور بكل بساطة، وكان الهدف دعم (لومومبا)، رغم توتر العلاقات المصرية - الأمريكية، ونستطيع أن نفسر ذلك أيضاً بأن أمريكا تعودت أن تتخلى عن حليفها إذا أدركت أنه تحول إلى ورقة محترقة لا لزوم لها، وكان آخر الأوراق المحترقة فى مصر الرئيس السابق مبارك بعد قيام ثورة ٢٥ يناير، حيث كانت تخرج البيانات والتصريحات من البيت الأبيض تطالبه بالرحيل، (NOW) أى (الآن)، وتدعم الثورة عليه وهو المحسوب كأحد رجالها، بل إن إسرائيل وصفته بالكنز الاستراتيجى بالنسبة لها، ولابد أن يكون كذلك بالنسبة لأمريكا بالتبعية.

كانت الكونغو مستعمرة بلجيكية وقررت بلجيكا الانسحاب وكان ضرورياً أن توجد قوات تثبت لومومبا وتعوض الفراغ الذى أحدثه الانسحاب البلجيكى وتلك هى مهمة القوة المصرية فى إطار الأمم المتحدة مع قوات أخرى، ولأن العملية تتم تحت علم (الأمم المتحدة) فلا بأس أن تأتى طائرات لكى تأخذ الجيش المصرى إلى (ليوبولدفيل)، ولا نستطيع أن نفصل واقعياً بين دعم لومومبا، وحفظ السلام فى تلك المنطقة.. وأنا كقائد كتيبة مصرى أعرف جيداً أن مهمتى مساعدة الدول الافريقية لكى تنهض.. وبالنسبة للرائد سعد الشاذلى هو من تلك الأرض البعيدة يمثل بلداً بأكمله جيشه وشعبه، بل ورئيسه.. وهو بطبعه يحب أن يتصرف بحرية ويكون سيد قراره.. لأن عمل الضابط تحت من هو أكبر منه وله حق إصدار القرار النهائى.. يجعله مكبلاً.. وليس معنى ذلك أن الرئيس أو القائد عليه أن يتصرف من تلقاء نفسه.. بل هو التخطيط والمشورة ويبدو أن جمال عبدالناصر هو الذى رشحه لهذه المهمة دون غيره فهى تحتاج كتيبة بمواصفات خاصة، وليس هناك من هو أفضل من المظلات، بل زاد على ذلك أن أمر بصرف ٥٠ ألف دولار تكون تحت تصرف قائد الكتيبة فى تلك البلاد البعيدة، وهكذا اكتملت عند الشاذلى عناصر القيادة مادياً ومعنوياً مع أن الأمم المتحدة هى التى تقوم على رعاية الكتيبة وتمدها بالطعام ومصروف الجيب لكن هذا المبلغ لأى

ظرف طارئ، وكانت المفاجأة السارة هناك فى (ليوبولدفيل) استقبال رجل الشارع الكونغولى للجيش المصرى، وهو يحمل أعلام مصر، مرحباً فى إشارة إلى قوة مصر ورئيسها فى أفريقيا، وكان الشاذلى يحمل معه مجموعة مطبوعات عن مصر بالعربية والفرنسية لتوزيعها على الناس هناك.. ومن أنكر على عبدالناصر اهتمامه الأفريقى واتهمه بإهدار المال والرغبة فى زعامة واهية.. على من يسأل أو يفكر بهذا النحو.. أن ينظر ماذا حدث لنا فى مصر عندما تركنا أفريقيا عندما أدار الرئيس السابق حسنى مبارك ظهره لها.. واصطفاف دول حوض النيل ولأول مرة ضد مصر مطالبة بإعادة توزيع أنصبة المياه.. وكانت بتدبير إسرائيلي كما قيل وعلى ذلك أسرعت الوفود الشعبية تشد الرحال إلى دول حوض النيل.. بعد ثورة يناير ٢٠١١ لاستعادة المكانة والاهتمام بمنطقة لا غنى عنها تركناها لإسرائيل تتصرف فيها كما تشاء.

9

سر استفزاز الطيران الفرنسى!

فى الكونغو وجد العقيد سعد الدين الشاذلى أن مهمته ليست عسكرية فقط كقائد لقوة تسهم باسم الأمم المتحدة فى تأمين الرئيس لومومبا، لكنه أيضاً يلعب دوراً سياسياً فهو يمثل الزعيم جمال عبدالناصر الذى أصبح عند الأفارقة فى هذا الوقت رمزاً للحرية والاستقلال

وهنا لابد من وقفة ليست بعيدة عن موضوعنا، وقد جاءت هذه القصة فى كتاب «مبارك وزمانه.. من المنصة إلى الميدان» للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، حيث ذكر أن الملك حسين عندما كان مبارك نائباً لرئيس الجمهورية وكان قد ترك الخدمة العسكرية قائداً للطيران أبدى دهشته من الطاعة العمياء التى ينفذ بها مبارك أوامر الرئيس السادات فى كل صغيرة وكبيرة فهو يحتضن حقيبة الأوراق التى يحملها ويكتفى بالتوصيل فقط، وإذا ما طلب منه شىء من الشرح والإيضاح قرر العودة إلى السادات لكى يسأله، وقد تعود على ذلك فى الجيش أن ينفذ الأوامر حرفياً ولا عيب فى ذلك، لكن لابد للقائد من مساحة للابتكار والإعلان عن رأيه واجتهاده.. فهو ليس مجرد حامل أختام.. ويؤكد هيكل أن هذا هو سر ترقية مبارك بهذه السرعة دون باقى أبناء جيله، فهو لا يناقش أو يجادل، وهو ما يجعل رئيسه فى كل موقع يعتمد عليه.

لكن مهمة الشاذلى بالكونغو وفرت له مبكراً أن يمزج بين العسكرية والسياسة، وهو ما حقق له آراءه المستقلة والقاطعة بعد اتفاقية «كامب ديفيد» وكانت سبباً فى إبعاده عن مصر، كما سنعرف تفصيلا فيما هو قادم.

الوضع فى الكونغو كان ساخناً فقد أسس لومومبا حركة وطنية هدفها طرد المستعمر البلجيكى الذى كبل البلاد ٨٠ عاماً، ولأن مصر فى هذا الوقت منارة ولها كلمتها المسموعة فى أفريقيا ولم تتأخر مصر ناصر عن تلبية النداء فوراً، فإن الاستعمار البلجيكى حرض بعض الأقاليم على التمرد والوقوف فى وجه لومومبا الذى طالب بالحماية الدولية، وعرفت كتيبة

الشاذلى بالكتيبة العربية، وطارت إلى كينشاسا العاصمة واستقر بها المقام بالقرب من إقليم «الليجنجى»، الذى كان تابعاً للسيطرة الفرنسية، وهو ما جعل تلك الكتيبة فى مواجهة ملتهبة، فقد كانت أجواء العدوان الثلاثى على مصر مازالت حاضرة فى الأذهان، وفرنسا كانت ضلعاً فى مثلث العدوان، وحاول الفرنسيون استفزاز المصريين بالطيران المنخفض فوق معسكرهم، وكان الشاذلى ينظر إلى ذلك ضاحكاً، ويبدو أن مصر بمساندتها للجزائر أيضاً أثارت فرنسا أكثر مما كانت مثارة من الخسارة السياسية لمعركتها العسكرية فى عام ٥٦.

وبالطبع بدأ جنود الكتيبة العربية ينظرون إلى استعراضات الطيران الفرنسى باستخفاف، ووجد الشاذلى أن تقاربه ضروري مع الشعب الكونغولى الذى كان يستقبل الجنود بأعلام مصر، وبدأ الشاذلى فى توزيع المصاحف والكتيبات السياحية على الجماهير وكان من نتيجة ذلك دخول بعضهم إلى الاسلام.

وهنا لا يترك الشاذلى موقفاً إلا وخرج منه بدرس جديد فهو يتحرك فى دولة أفريقية ويواجه المستعمر الفرنسى والبلجيكى وجهاً لوجه.. ومع ذلك كانت كلمته هى الأعلى، وفى الوقت نفسه كان يسعى جاهداً لمعرفة كل جديد لدى ضباط وجنود هذه الجيوش، اكتسب خبرات من الاتحاد السوفييتى ومن أمريكا، وها هى أمامه من فرنسا وبلجيكا، لكن الاستعمار مهما يحاول أن يتجمل فهو بغيض، ويمتص خيرات البلاد والعباد التى ينقض عليها، وسرعان ما تغير الحال عندما نجحت المخابرات البلجيكية بالتعاون مع بعض العملاء فى اغتيال لومومبا وأحد مرافقيه وإذابتهما فى حامض قاتل، ووصل موبوتو إلى الحكم واتخذ موقفا عكسياً معادياً تجاه مصر وعبدالناصر!!

التحولات

كان موقع المعسكر المصرى يبعد عن العاصمة كينشاسا بألف كيلو متر على الحدود مع أفريقيا الاستوائية، وقد كانت مستعمرة فرنسية ويفصل النهر بين الدولتين، وكانت موسيقى المعسكر الفرنسى تصل إلى الجانب المصرى على الضفة الأخرى من النهر.. وبعد ما جرى للرئيس لومومبا عقد الشاذلى

اجتماعاً مع «الكتيبة العربية» التى كانت تضم ثلث رجالها من السوريين والباقى من المصريين، وكان ذلك أيام الوحدة بين مصر وسوريا، وهذه إضافة كان الشاذلى شديد الاعتزاز بها، وبالطبع جرت اتصالات مع القيادة فى مصر وتركت له حرية التصرف بما يقتضيه الظرف، خاصة أن بعض الكونغوليين قد وصفوا المصريين بالمستعمرين.. وبدأ الشاذلى فى تسريب بعض جنوده إلى المواقع الرئيسية فى المطار، وعلم الجنرال (رانهوا) قائد قوات الأمم المتحدة بالأمر، فاستدعاه وطلب منه سحب الجنود المصريين من المطار ورفض الأمر، وكانت وجهة نظره الإعلان السياسى عن الوجود المصرى فى الكونغو، وهو أسلوب تفكير عبدالناصر نفسه.. وبعدها بأيام طلب سفير مصر فى الكونغو السيد مراد غالب وأخبره أن مندوب (همر شلد) الأمين العام للأمم المتحدة يريد مقابلة الشاذلى الذى قال إن اللقاء كان مملاً وسخيفاً وظل مراد غالب يناور، ولم يتحدث فى موضوع الجنود الذين احتلوا مساحة من المطار واندهش الشاذلى من ذلك، لكنه تعلم درساً دبلوماسياً أن هذه المناورة معناها أن حل المشكلة لن يتم إلا من خلال عبدالناصر والأمين العام للأمم المتحدة.

ونجح الشاذلى فى تهريب أبناء لومومبا إلى القاهرة وعاشوا فيها واستقروا بها لأن أمهم مصرية، ثم جاءت الأوامر بسحب الكتيبة العربية.

وتكشف الأيام أن أمريكا لم تكن غائبة عما يحدث فى الكونغو، وكانت تتربص بالحضور المصرى العربى الأفريقى، وتريد أن تحاصره بكل السبل.. ومن العجيب أو الطريف أن قوات الأمم المتحدة كانت تضم كتيبة مسلمة من أندونيسيا.. لكن القوات المصرية لها سحرها وكلمة السر هى عبدالناصر، ومن هنا تحولت الكتيبة إلى داعية شعبية بين أهل الكونغو.

وجاء إسماعيل

وشهدت الكونغو شرارة الخلاف بين الشاذلى والمشير أحمد إسماعيل وكان وقتها يحمل رتبة عميد، وقد جاء إلى هناك على رأس بعثة عسكرية لدراسة الأوضاع للنهوض بالجيش الكونغولى.. وعندما وصلت كان (موبوتو) قد تربع على رأس السلطة وبالتالى فإن البعثة وجدت نفسها بلا عمل منذ اليوم الأول

وبدلاً من عـودتهـا، لأن المناخ لم يعـد مـلائمـاً، بدأ إسـمـاعـيل يخلق لنفسـه المبـررات لكى يستمـر حتى طالت مدتـه إلى شهـرين.. وخـلال ذلك حـاول أن يفـرض سلطانه على الكتـيبـة، لأن قـائدها هو عـقـيـد أى أن رتبـتـه أقل منه درجة.. وبدأ فى إعطاء الأوامر والتوجيهات وهو ما رفضه الشاذلى تماماً.. وهو أيضاً ما لم يقنع أحمد إسماعيل ووقع الصدام الذى بدأ بالكلام الخشن حتى شارف على الاشتباك بالأيدى.. وعلمت القاهرة بذلك، فتم استدعاء إسـمـاعيل لكن الصدام ترك آثاره فى النفوس رغم مقابلات تتم هنا وهناك بحكم العمل، لكنها غالباً جافة أو يتحاشى كلاهما الآخر بقدر ما يستطيع.. واستـمـر الأمـر على هذا النحـو لسنوات حتـى جاء أحمـد إسـمـاعيل رئيسـاً لأركان حـرب الجيش بعد ٩ سنوات، وكان وقتـهـا يحمل رتبـة اللواء.. وكانت دواعى العمل تقتضى الحوار بين المتخاصمين والحياة العسكرية لها أصولها وضوابطها وبحكم الموقع أصبحت سلطة إسماعيل تشمل القوات المسلحة كلها.. وفكر الشاذلى فى الاستقالة وكان وقتها مسئولاً عن قوات المظلات والصاعقة فى (أنشاص)، حيث توجه إلى مكتب وزير الحربية وكتب استقالته بالفعل وذكر فيها الأسباب التى دفعته إلى ذلك، واتجه مباشرة إلى منزله.. وخلال ثلاثة أيام جرت محاولات عديدة لإقناعه بسحب الاستقالة التى رأى وزير الحربية أنها لا لزوم لها حتى فوجئ الشاذلى بأشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر وقد جاء يحمل رسالة شفوية إلى الشاذلى:

الرئيس يبلغك أن استقالتك هذه موجهة إليه هو شخصياً، حيث إنه هو الذى قام بتعيين اللواء أحمد إسماعيل، كما أن ظروف البلاد (عام ١٩٦٩) لا تسمح بمثل هذه الإشكاليات!! وقد أشار إلى ذلك أنور السادات فى سلسلة أحاديثه إلى الكاتب الكبيـر أنيس منصـور التي نشـرها بعنوان «من أوراق السـادات»، وقال إنه خلاف عادى قد يحدث بين الضباط، ومن هذا المنظور ستجد أن الشاذلى بالغ فى افتعال الخلاف.. والأقدمية فى الجيش لها حقوقها.. لكن بمعرفة الرواية كاملة، كما جاءت على لسان الشاذلى نفسه يتأكد لك أن إسماعيل حاول أن يفرض إرادته فى غير محلها وإسماعيل كان مكلفاً بمهمة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بمهمة الشاذلى، ويبدو أن القيادة العسكرية أرادت أن تحل الإشكال بطريقة تحافظ على الطرفين، فقررت تعيين

الشاذلى ملحقاً حربياً وهو منصب يعنى أنه ممثل للعسكرية المصرية كلها فى هذا المكان المهم.. وكان ذلك بمثابة رسالة شكر وتقدير للدور الجيد الذى لعبه الشاذلى فى الكونغو وهو الرجل الذى كتب فى تقريره النهائى أن ملاحظاته على القوات القادمة من تونس والمغرب وأندونيسيا والسودان لا ترقى إلى مستوى تسليح الجيش المصرى.. وهو ما أعطاه الثقة فى قوة النيران التى يتسلح بها فى مواجهة الجيش الفرنسى الذى حاول إرهاب الكتيبة المصرية بالتحليق المنخفض فوقها وتأهب الشاذلى لمواجهته بما يملك من مواقع مضادة للطائرات وضعها فى مستعمرة قريبة وبما يمكنه من اصطياد تلك الطائرات التى لم تكررها مرة أخرى.

أبو المسئولية

يبدو أن الوقفات ضرورية وإجبارية ولازمة فى قصة الشاذلى لأنها تكشف لنا الكثير من الجوانب الاستثنائية فى حياة هذا الرجل.. فعندما تم اكتشاف أمر الـ٢٠٠ جندى الذين دفعهم إلى مطار العاصمة ليوبولدفيل (كينشاسا فيما بعد)، حاول قائد قوات الأمم المتحدة فى مقابلة معه أن يهدده بمحاكمة عسكرية، لكنه لم يهتم بذلك وأصر على موقفه الذى يعنى أن مصر لها قوتها فى الكونغو حتى بعد وصول (موبوتو) إلى الحكم وهو المعادى لنا.. ورفض الشاذلى أن يضع سفير مصر مراد غالى فى الصورة حتى يتحمل هو وحده كامل المسئولية عن تصرفه الذى بناه على معرفته ودرايته بفكر عبدالناصر وسياسة مصر رغم كونه رجل جيش.. وقد استوعب درساً دبلوماسياً من مراد عندما قابلا مندوب الأمين العام للأمم المتحدة وتكلما فى كل شىء.. إلا أزمة المطار.

والسؤال هنا هل تحركات عبدالناصر هذه فى الكونغو ثم فى اليمن أسهمت فى نكسة ١٩٦٧ وأضعفت الجيش المصرى؟! أم أن لها مكاسب فى اتجاه آخر؟!

10

لليمن.. حسابات أخرى!

هذه شهاداتى لوجه الله والتاريخ أقولها بكل صدق:
«جيوش مصر التى ذهبت إلى الكونغو ومن بعدها إلى اليمن لم ترهق ميزانية الدولة أو تحملها فوق طاقتها.. فى الكونغو تولت الأمم المتحدة معظم نفقات الإقامة والإعاشة والانتقال.. وفى اليمن كانت ميزانية الإنفاق محدودة

لكن أبعد من الأمور المادية كانت السياسة المصرية لها كلمتها فى الميدان العربى والإفريقى ويكفى أن القوى العظمى كانت تعمل لها ألف حساب والأرقام تقول إن ديون مصر وقت وفاة عبدالناصر أقل من ٢ مليار دولار، وانظر إلى تكلفة بناء المصانع والسد العالى والمنشآت الأخرى سنجد أنها تفوق المليارين؛ أى أنك تنفق على مشاريع، لكن الديون بعد ذلك تضاعفت عشرات المرات والمردود على المواطن والوطن لا شىء، وقد دخلنا خلال فترة ناصر خمس حروب، وبعد ٧٣ لم ندخل حرباً واحدة ومع ذلك زادت الديون».

حربى وليس عسكرياً

ونعود إلى لندن عام ١٩٦١ التى ذهب إليها الفريق كملحق حربى وليس عسكرياً، والاختلاف بينهما أن الحربى يمثل جميع القوات الجوية والبحرية والبرية، لكن العسكرى يمثل البرية فقط، وأتاح له ذلك حضور مناورات للجيش البريطانى واكتساب خبرات جديدة.

يقول الشاذلى: «وركبت حاملة طائرات وعشت معهم لمدة أسبوع كمراقب لهذه التدريبات ونوعية السلاح وكيفية استخدامه، ولندن متميزة فى هذا الجانب... يا سبحان الله مرة أخرى السياسة تلعب لعبتها، حيث لا عداء دائم ولا صداقة دائمة، فهذه إنجلترا الدولة الاستعمارية أشهد مناوراتها العسكرية رسمياً، وتفتح لى أبواباً جديدة للمعرفة الميدانية تزيد من خبراتى من هذه المنابع الهامة، والبعض ربما يفسر إبعاد رجل الجيش إلى سفارة من

السفارات كملحق عسكرى أو حربى كنوع من العقاب، لكن هناك تفسيراً آخر بأنه التقدير وهذا يتوقف على نظرة القيادة للضابط والمكان الذى سيعمل فيه ويسافر إليه».

وفى هذا العمل تتحرك كعسكرى بغطاء دبلوماسى وهو ما يسمح لك بأن تلتقى بشخصيات عسكرية من جنسيات عديدة فى الحفلات وهى شبه يومية، وهو يلتقط المعلومات التى قد تفيد بلده حتى أنه يقال فى بعض الأحيان إنها مهمة تجسسية مشروعة، ولأن الشاذلى يحسبها جيداً ويحاول استثمار كل فرصة لصالح مصر ولزيادة خبراته التى تعود فى نهاية المطاف إلى بلده، كان يضع لنفسه شعاراً فى هذا الوقت يقول: «عدو إسرائيل هو صديقى».

«لذلك تحركت ـ والكلام للشاذلى ـ مع الأحزاب المعادية لإسرائيل والموالية إلى حد ما للعرب وهى غالباً اليسارية وبعضها كان فى السلطة والبعض الآخر كان بعيداً عنها، وحدث أننى التقيت برئيس أحد الأحزاب المعادية لليهود وكانوا فى بريطانيا يصفونه على أنه نازى ويطالب بطرد اليهود من فلسطين وزارنى فى مكتبى واستقبلته، وبعد ذلك اقتحموا مكتبه ووجدوا أوراقاً تدل على علاقته معى، وتم تسريب الخبر إلى بعض الصحف البريطانية التى أرادت استثمار ذلك وخرجت تقول إن الملحق الحربى المصرى على اتصال بالنازيين، وأن مسئولاً إنجليزياً أخذ دعماً من السفارة المصرية، ومع ذلك لم يبلغ الأمر درجة التحقيق معى، لأنها اتهامات شفوية لا تستند إلى دليل، ولو ثبت أنها صحيحة لصدرت الأوامر فوراً باعتبارى شخصية غير مرغوب فيها ويجب ترك بريطانيا.. ومعنى ذلك أن النفوذ الصهيونى فى بريطانيا كان قوياً، وأن العداء لمصر كان واضحاً رغم وجود علاقات دبلوماسية لأنهم مثلا فيما كتبوا وقالوا إننى زرت مسئول الحزب هذا فى مكتبه، وهو أمر لم يحدث لكنه زارنى فى ظروف عادية جداً أخذت أكثر من حجمها، وقضيت فى لندن نحو ٣ سنوات، عدت بعدها إلى مصر فى عام ١٩٦٤، لكى تكون وجهتى التالية هى اليمن»!.

نظرة تحليلية

كانت نظرة القيادة المصرية إلى النظام السياسى فى اليمن متواضعة ويعتبرونه متخلفاً بشكل بشع، ثم كان الأهم النظر إلى استقلال عدن بموقعها المهم سيؤثر على الكثير من دول الخليج؛ وبالتالى على الأمن المصرى والعربى، والسياسة تلعب دائما على بُعد النظر، وكنا نمد الثوار بالسلاح والذخيرة وأنت هنا كدولة، تمسك بزمام الأمور، وقد تراجع الدور المصرى عربياً وإفريقياً بسبب نظرة مبارك المحدودة، والفارق كبير - كما يقول الشاذلى - بين أن تعطى السلاح عن بعد، وأن تتواجد قواتك ستكون العملية سهلة وأيسر ومأمونة، وقد كان للوجود المصرى آثاره الإيجابية على استقلال الإمارات والبحرين وقطر والكويت أو بمعنى آخر عجل بالاستقلال، ويؤكد الشاذلى أن مخزون الذهب المصرى لم ينفد بسبب اليمن، وقد سمع من عبدالناصر نفسه أن الدولة رصدت مصاريف النقل البحرى من السويس إلى اليمن إلى جانب المرتبات، وكان الضابط يأكل مثل الجندى ويحصل على ٤٠ ريالاً مكافأة، بخلاف راتبه فى مصر وهى أرقام عادية، ثم إن الحرب فى اليمن لم تكن تقليدية فهى أقرب إلى حرب العصابات، حيث كان اليمنى يدفن اللغم فى الطريق ثم ينسى مكانه، وقد ينفجر فيه هو دون أن ينتبه، وبذلك لم يكن جيشاً بالمعنى المفهوم، وأحياناً كانت هذه العصابات تهجم على سيارات التموين التى تأتى من صنعاء أو من مصر ويتم توزيعها على الوحدات، وبالتالى تحاول أن تستولى عليها، وأنت لم تكن ترى عدوك أمامك فهذه العصابات تهجم عليك بطريقة خاطفة من هنا أو هناك، وبصراحة نظام الحرب هذا وضع الجيش فى أخطاء عسكرية عديدة، أنت تحارب بأسلوب نظامى عدواً غير نظامى، كما أن جنودنا كانوا ينظرون باستهتار إلى العصابات وتكون النتيجة عكسية، لأن الجبال والطبيعة هم أدرى بها وأعلم، ومع ذلك كانت خسائرنا طوال سنوات وجودنا فى اليمن لا تزيد على ألف شهيد، وهو رقم متواضع، ولذلك تحولت حرب اليمن إلى خرافة ومجموعة أكاذيب ومبالغات والواجب فى مثل هذه الأمور الرجوع إلى الأرقام والحقائق.

ويعترف الشاذلى صراحة بأن أسوأ ما فى حرب اليمن أنها وضعت الجيشين المصرى والسعودى وجهاً لوجه، خاصة فى منطقة الجوف التى كانت تساعد

الملكية اليمنية؛ لأن الأمر فى غاية الصعوبة أن يتواجه العربى مع أخيه العربى بالسلاح تحت أى ظرف.

ومع ذلك فى الحصاد النهائى - وكما قال الشاذلى - تكون مكاسب حرب اليمن من الناحية السياسية أكبر من خسائرها المادية والبشرية التى تبدو بسيطة للغاية، وأجمل ما يمكن ذكره فى هذا الجانب أن هذه المكاسب عادت على مصر ودول الخليج كذلك، فلولا استقلالها الذى تم بالوجود المصرى ما أمكنها أن تنعم بثرواتها إلى هذا الحد، وتسهم من خلالها فى الحرب مع مصر، أيضاً لولا استقلال اليمن الذى دفعت فيه مصر الثمن ما استطعنا فى عام ٧٣ أن نغلق باب المندب بعد استقلال اليمن وعدن، وعلينا أن نعرف أن المكاسب قد لا تتحقق فى وقتها، لكنها قد تأتى بعد سنوات كما ترى.

من اليمن إلى سيناء

السؤال الذى يربط بين وجود مصر فى اليمن، وخسارتنا فى حرب ٦٧ طرحه الزميل أحمد منصور على الفريق الشاذلى فى برنامج «شاهد على العصر» الذى قال: «أحياناً نحاول أن نجد لأنفسنا المبررات لأخطاء نرفض الاعتراف بها، نعم كانت لمصر قوة كبيرة فى اليمن، وهى مسألة لا تسمح لك بالدخول فى حرب أخرى على أرض سيناء، وكان الواجب أن تنهى المشكلة اليمنية قبل أن تولى وجهك شطر سيناء، ودخول الحرب مع إسرائيل التى بالغت فى الاستفزاز، ومع ذلك لا يمكن بحال أن نجزم بأن حرب اليمن كانت سبباً فى خسارة أو نكسة ١٩٦٧، والحقيقة أن هناك أخطاء قيادية سياسية وعسكرية من الواجب الاعتراف بها لأنها واضحة».

وهنا يعلن الكاتب مصطفى عبيد عن رأيه صراحة فى كتابه «الشاذلى.. العسكرى الأبيض» وفى الفصل الذى جاء بعنوان «ورطة اليمن» استهله بعبارة لنابليون بونابرت قال فيها: «جيش من الوعول يقوده أسد، خير من جيش من الأسود يقوده وعل»، وهو بهذا يمهد لقناعته بأن الكونغو كانت «مناورة»، لكن اليمن كانت «مغامرة»، فى الكونغو كسبنا المعركة دون دم، وفى اليمن خسرنا علاقتنا بنصف العالم العربى بعد أن سفكت دماء الآلاف من المصريين ذبحاً فى الصحراء».

ويعتبر مصطفى أن دفاع الشاذلى عن حرب اليمن ومكاسبها جاء من جانب عاطفى يدفعه إليه فى المقام الأول حبه لجمال عبدالناصر، لأن حرب اليمن بشهادة المؤرخين العسكريين هى المطب الصناعى الذى حطم سيارة عبدالناصر المندفعة بسرعة فى طريق النهضة، وهو يميل هنا إلى رأى الكاتب الكبير الراحل وجيه أبوذكرى فى كتابه «مذبحة الأبرياء»، لكننا هنا من الواجب أن نستمع إلى شهادة الفريق عبدالمحسن مرتجى الذى كان قائداً لقواتنا فى اليمن بعد الفريق أنور القاضى، حيث قال: «عندما كنت قائداً لقواتنا فى اليمن جاء عبدالناصر وكان زميلى لمدة عامين فى كلية أركان حرب وهو وحده الذى تحدث عن المعركة مع إسرائيل وكان ذلك فى عام ١٩٦٤ فقال: كنت مخططاً أن أصعد الأمور مع إسرائيل فى عام ١٩٦٥ ولكن بعد تورطنا فى اليمن لا أعتقد أننى أفكر فى هذا الموضوع قبل عام ١٩٧٠، وسأفكر جيداً وأدرس الموقف دراسة عميقة قبل الدخول فى صراع مسلح مع إسرائيل».

وحكاية الورطة هذه يقدمها سامى جوهر فى كتابه «الصامتون يتكلمون»، وتبدأ عندما جاءت الأخبار تعلن عن انقلاب مسلح ضد حكم الأمير البدر بقيادة عبدالله السلال، فقرر عبدالناصر إرسال سرية عسكرية بحراً تضم مائة شخص لمساندة الثورة، وهناك اكتشفوا أن البدر لايزال حياً وأن كثيراً من القبائل تقاتل معه، وأن مصر تعرضت لخديعة، إلا أن عبدالناصر لم يستطع التراجع حفاظاً على كرامته، واضطر للدفع بأعداد كبيرة من الجنود بلغت ٧٠ ألفاً، لكن الكاتب محمد حسنين هيكل وهو المقرب من عبدالناصر له رأى آخر!

11

أطول ليلة فى تاريخ الشاذلى!

يقول محمد حسنين هيكل: بالنسبة للجيش المصرى فإن حرب اليمن كانت تجربة قاسية لم تقتصر قسوتها على مجرد توزيع قواته على مسرحين، يفصل بينهما أكثر من ألفى كيلومتر، وإنما الأقسى من توزيع القوات أن المسرح الساخن فى البداية وهو اليمن قد أعطى القوات المسلحة دروساً خاصة تضر أكثر مما تفيد!.

ولا يبتعد هذا الكلام عما جاء على لسان الفريق الشاذلى، الذى كان قائدا للواء ولمدة عام.

وفى الفصل الخامس من كتاب «البحث عن الذات» لأنور السادات يكشف الجزء الثامن من هذا الفصل عن وجهة نظر أخرى عن حرب اليمن تكتمل بها الصورة من جوانبها العديدة، ويعترف السادات قائلاً: «كنت أنا المسئول عن الناحية السياسية وكان عبدالحكيم عامر مسئولا عن الناحية العسكرية، ولكنه كعادته أساء التصرف فبدلاً من أن يجعل من حرب اليمن ميداناً لتدريب قواتنا على حرب العصابات وعلى تكتيكات جديدة انقلبت الحرب إلى تجارة ومنفعة وأصبحت مسرحاً جديداً يثبت عليه عامر أقدامه وينشر نفوذه، بحيث لا يستطيع أحد أن يزحزحه عن مكانه كمركز القوة الأول فى مصر، هذا إلى جانب تورطه فى المعونة العسكرية من لواء إلى لواءين، إلى أن أصبح لنا فى يوم من الأيام ٧٠ ألف جندى هناك لم يتم سحبهم إلا بعد هزيمة ١٩٦٧، عندما اتفق الملك فيصل مع عبدالناصر على ذلك فى مؤتمر الخرطوم.

فشلت حرب اليمن عسكرياً فقد كنا نحارب بجيش نظامى عدواً متمرساً فى حرب العصابات، ولكن رغم كل شىء لا أستطيع القول إن تضحياتنا ذهبت هباء؛ فاليمن قد تخلص من حكم الإمام الذى كان أسوأ من أى حكم فى العصور الوسطى، ثم إن عدن نالت استقلالها كنتيجة طبيعية لمعركتنا فى اليمن، صحيح أن الحرب قد استنفدت جزءاً كبيراً من رصيدنا من العملات الصعبة، وأعاقت فرقتين من أكفأ الفرق العسكرية عندنا عن الاشتراك فى حرب ٦٧، ولكن هذا كله لا ينفى أن التدخل فى ثورة اليمن كان ضربة سياسية لابد منها...».

الطريق إلى النكسة

عندما عاد الشاذلى من اليمن، التحق بهيئة التدريب، ولم يكن هناك فى الأفق ما يلوح أو ينذر بحرب مقبلة مع إسرائيل، كما يقول حتى إلى ما بعد شهر أبريل عام ١٩٦٧، وقتها كان عبدالحكيم عامر هو نائب القائد الأعلى، والقائد العام، ولهذا عين شمس بدران وزيراً للحربية، وجاءت الأخبار عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية، وسافر الفريق محمد فوزى - وكان وقتها رئيس أركان الحرب - إلى هناك لكى يشهد الموقف على الطبيعة، وكان الشاذلى فى هذا الوقت قد رُقّي إلى رتبة اللواء ولكنه من غير أفراد المطبخ العسكرى، كما قال، وعندما وصلته التعليمات وكان مطلوباً منه تنفيذها فى وقت قياسى أبدى استغرابه لذلك، خاصة أن قوات كبيرة كانت لا تزال فى اليمن واستراتيجياً ليس من الواجب فتح جبهتين فى وقت واحد، ومع ذلك كان القرار من القيادة العليا وعلينا الامتثال، وكانت الخطورة أن أغلب قادة الجيش فى هذا الوقت لديهم شحنات بالغة من كراهية إسرائيل، من حارب عام ١٩٤٨، أو شارك فى العدوان الثلاثى، لكن هذا الشحن ذهب فى اتجاه اليمن وليس إسرائيل أولاً.

ويمكن أن نلخص الوضع قبل حرب ٦٧ بما جاء على لسان الرئيس الراحل أنور السادات، خاصة أن الشاذلى لا يحب الكلام عن أمور لم يكن طرفاً فيها أو شاهداً عليها.

يقول السادات: «كانت الأجواء فى عام ١٩٦٧ تتسم بالكآبة ومصر مفلسة، ومشاكل الخدمات التى أجلها رئيس الوزراء على صبرى متراكمة منذ عام ١٩٦٢، والصراع بين عبدالناصر وعبدالحكيم تصاعدت وتيرته، وفى يوم جمعة من شهر فبراير من ذلك العام ذهبت لزيارة عبدالناصر على غير موعد فسألت الضابط المختص إن كان الرئيس قد استيقظ أم لا؟، فأخبرنى أنه فى غرفة مكتبه فدخلت عليه، ووجدته يجلس وقد وضع رأسه بين يديه حزيناً مهموماً وقفت أراقبه نحو دقيقتين، ثم فاجأته بسؤالى: جرى إيه يا جمال؟ مالك؟.

التفت إلىّ فى دهشة، فقد كان واضحاً أنه لم يحس بدخولى الحجرة وقال: إيه اللى جابك النهارده يا أنور؟

قلت: النهارده الجمعة، وأنا لى مدة لم أرك، قلت أفوت عليك ندردش سوا، وأنا عارف أنك يوم الجمعة بتبقى لوحدك.
قال لى: والله عملت طيب.. أقعد.
جلست وسألته مرة أخرى: مالك شايل الدنيا على دماغك ليه يا جمال؟
قال: يا أنور البلد بتحكمها عصابة، وأنا مستحيل أكمل بهذا الشكل، أكون أنا المسئول وعبدالحكيم ينفذ ما يريد، الأفضل لى أن أترك منصبى، وأجلس فى الاتحاد الاشتراكى ويتولى هو رئاسة الجمهورية ومستعد للتحقيق معى عن الفترة التى توليت فيها.
والسادات يرمى بمسئولية فشل الوحدة بين مصر وسوريا كذلك على أكتاف عبدالحكيم، وبعد أيام عرف أن حكيم أرسل شمس بدران إلى عبدالناصر يطلب رئاسة وزراء مصر، وبذكاء طلب منه عبدالناصر أن يترك الجيش مقابل ذلك، قال عبدالناصر ذلك وهو يعرف مقدماً أن عبدالحكيم لن يفرط فى منصبه العسكرى.
وفى اجتماع ضم زكريا محيى الدين وعبدالحكيم عامر وحسين الشافعى وعلى صبرى وصدقى سليمان رئيس الوزراء فى هذا الوقت، وأيضاً السادات الذى يحكى، قال لهم جمال عبدالناصر: حشودنا فى سيناء تجعل الحرب محتملة بنسبة ٥٠ فى المائة، أما إذا أغلقنا المضايق فالحرب مؤكدة مائة فى المائة، ثم التفت إلى عامر وسأله:
هل القوات المسلحة جاهزة يا حكيم؟
فوضع عامر يده على رقبته وقال: برقبتى يا ريس كل شىء على أتم الاستعداد.
ويكمل السادات مؤكداً أن تسليح مصر كان قوياً بالفعل، وقد سألنا عبدالناصر عن إغلاق المضايق، ووافقنا جميعاً على إغلاقها باستثناء صدقى سليمان الذى طلب التروى، وأن نأخذ فى الاعتبار حالتنا الاقتصادية والخطط التى توقفت بسبب منع المعونة الأمريكية، ولم يهتم عبدالناصر بذلك وكان ميالاً لإغلاق المضايق حتى يوقف مزايدات العرب عليه وحتى يحتفظ بمكانته الكبيرة فى الأمة العربية، وبهذا أصدر أوامره بإغلاق المضايق وسحب قوات الطوارئ الدولية.

يقول الشاذلى: كانت عمليات حشد القوات المصرية تتم بطريقة استعراضية أشبه بالمظاهرة، بينما الحرب تقوم على السرية، ويؤكد أن خطة حشد القوات فى العريش ورفح مرتبكة، لا هى هجومية ولا دفاعية، والتخطيط العسكرى فى مجمله كان عشوائياً، وأفضل من يجيب عن هذه التفاصيل الفريق محمد فوزى رئيس الأركان، ولكنى عندما أتحدث عن التخبط وقد لمسته، عندما استدعانى إلى القيادة فى منتصف مايو والأوامر التى تصدر حائرة، تمركز هناك، تحرك هناك إلى الشمال، إلى اليمين، حتى قطعت سيناء بأكملها ذهاباً وإياباً وهذا ما يؤدى إلى استهلاك الدبابات وإنهاك القوات، وحيث إننى كنت فى هيئة التدريب وهى جهة ليس لها قوات تم انتدابى، وشكلت مجموعة عمليات خاصة من بعض الوحدات، منها كتيبة مشاة وكتيبة صاعقة وكتيبة دبابات، وأصبحت أنا قائدها، وكانت تتبع قيادة سيناء مباشرة برئاسة الفريق صلاح محسن، وهذه المجموعة التى شكلتها عرفت بعد ذلك فى الدراسات العسكرية بمجموعة الشاذلى، وخلال ١٠ أيام تغيرت المهام المكلف بها ٣: ٤ مرات حتى استقر بى المقام لحراسة المنطقة الموجودة بين المحورين الأوسط والجنوبى فى سيناء.

وللتوضيح فإن سيناء لها ٣ محاور، المحور الشمالى من القنطرة، ثم يميل بجوار الساحل الشمالى إلى العريش ورفح وغزة والطريق الأوسط الذى ينطلق من الإسماعيلية فى اتجاه الحسنة وبير سبع، والمحور الجنوبى من منطقة الشط والسويس، ويتجه غرباً إلى نخل والتمد والحدود الإسرائيلية، والمسافة واسعة بين المحور الجنوبى والأوسط، وكانت هناك مخاوف أن العدو إذا أراد الهجوم فسينطلق من المحور الرئيسى على طريق الأسفلت عبر الأراضى المفتوحة، ثم يحاول الاختراق من المنطقة التى أقوم بحراستها، والأمر لا يتوقف هنا على عدد القوات الموجودة معى، لكن على طريقتى فى توظيفها وكيفية مواجهة العدو.

وفى يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ وصل ضابط اتصال من القيادة فى سيناء، وأخبرنى أننى مطلوب فى الثامنة صباحاً، حيث سيصل المشير عبدالحكيم عامر ليلتقى بالقادة وأنت منهم.

وكان مكان الاجتماع مع المشير فى مطار فايد، وهو ما يحتاج إلى ٥ ساعات

حتى أصل إلى هناك، لأن الطرق وعرة، وأخبرونى بأن طائرة هليوكوبتر ستصل فى السادسة صباحاً لكى تأخذنى، أى أننى فى صباح يوم الحرب ٥ يونيو، وفى الاجتماع أو المؤتمر وجدت القادة ومنهم عبدالعزيز سليمان وعبدالقادر حسن وصلاح محسن وقادة من أسلحة المدرعات والمدفعية، ومن الطبيعى ونحن زملاء فى لقاء مثل هذا أن نتبادل الأحاديث الودية والسلامات انتظاراً لوصول المشير، ولكن فجأة سمعنا صوت انفجارات ووجدنا المطار الذى نحن فيه ينفجر، وقد تم ضربه، تصور.. معظم القادة هنا، والجيوش وحدها.. وإسرائيل تضرب، هل هى مصادفة؟، أم أنها مدبرة؟ إلى هذا الحد، والمفترض أن طائرة المشير فى الجو والمدفعية عندها علم بذلك أى ممنوع الضرب، وكان بإمكان إسرائيل لو عرفت بوجود كل القادة فى هذا الاجتماع أن تضربهم جميعاً بضربة واحدة وتصبح القوات بدون رأس، وهى مجرد جسد وعرفنا أن مطارات عدة فى أنحاء مصر يتم ضربها فى التو واللحظة.

إنها أمور تحتاج إلى بحث وتثير علامات الاستفهام وكان ذلك فى الثامنة صباحاً، وكان ضرورياً أن يعود كل قائد إلى موقعه وسط جنوده كلهم، أخذوا سياراتهم، وانطلقوا إلا أنا لابد لى من طائرة، لكن كيف تطير فى هذا المناخ، وقد سيطرت إسرائيل على الوضع جوياً، وقد تم تدمير أغلب المطارات خلال ساعتين على أكثر تقدير.

أى أننا باختصار خسرنا حرباً لم ندخلها، ولم يكن أمامى إلا الذهاب بالسيارة مع أقرب قائد لمجموعتى، وحتى هذا الوقت لم نكن نستشعر مدى الكارثة، وكنا نرى الطائرات الإسرائيلية تتجول فوق رءوسنا ونحن فى السيارة، وبعد نحو ١٢ ساعة كنت قد وصلت إلى معسكر مجموعتى، ولم تكن القوات الإسرائيلية قد اقتربت من المحور الذى أقوم بحراسته وكنت على بعد ٢٠ كيلومتراً من الحدود الفلسطينية، ولأن الاتصالات شبه مقطوعة وجدت القائد المناوب أو النائب لى يضرب أخماساً فى أسداس، ولا يعرف ماذا يفعل، لكنه أخذ وضع الاستعداد وحاولت الاتصال بقيادة سيناء وفشلت، وحاولت مع القيادة العامة وفشلت، ثم وجدت الطيران الإسرائيلى يحلق فوق رأسى!!

12

وغابت القيادة عن ساحة المعركة!

«هو يوم المهزلة»... ذلك هو العنوان الأمثل ليوم ٥ يونيو ١٩٦٧ فى تاريخ العسكرية المصرية.. عندما اكتشف كبار القادة أن الطائرات الإسرائيلية تدك موقع اجتماعهم وقد كان المشير عبدالحكيم عامر على وشك الوصول إليه بطائراته.. بعد ١٢ ساعة من المعاناة عاد سعد الشاذلى إلى مجموعته التى كانت تتمركز بالقرب من الحدود الفلسطينية.

اكتشف الشاذلى أن الاتصالات مقطوعة مع القيادات كلها.. والطيران الإسرائيلى يدور فى الأجواء أو بمعنى آخر يختال، ومجموعة الشاذلى مكشوفة فى الصحراء، وفكر فى الاستماع إلى إذاعة العدو لعله يجد خبراً أو إشارة أو معلومة يتصرف بناء عليها وسمع عجباً.

أيها العرب لقد وصلت القوات الإسرائيلية إلى رفح والعريش وعلى الأهالى رفع الرايات البيضاء.. وجلس الشاذلى مع رجاله يفكر ماذا يكون التصرف فى هذا الجو الضبابى الغامض.

ومرة أخرى عاد الطيران الإسرائيلى وفى هذه المرة صوب نيرانه.. وكانت الخسائر فى مجموعة الشاذلى طفيفة وهى فى تلك العزلة القاتلة.. ووضع الخريطة أمامه ووجد أن أمامه منطقة جبلية على بعد ٢٠ كيلومترا داخل حدود إسرائيل، «ولم أكن أمتلك الإمكانات لمواجهة الطيران لذلك كان الاعتصام بالجبل من الحلول الجيدة حتى أجد الغطاء المناسب».

أى أن هذا القائد ذهب عكس الاتجاه.. جيش بلاده ينسحب إلى الغرب وهو يتعمق فى أرض العدو، ويختبئ من طيرانه داخل حدوده، أو ما تسمى كذلك فكلها فلسطين المغتصبة ووقع الاختيار على منطقة بها بئر ماء للشرب.

كانت مجموعة تضم ١٢٠ فرداً بين ضابط وجندى، وخلال عمليات التوغل كانت الخسائر لا تتجاوز ثلاثة أفراد بين شهيد وجريح.. وكانت المجموعة تضم ٣٠ دبابة.. وعندما يصل الطيران لا يستطيع أن يضرب لأن الجبل يحتوى الجيش بين أحضانه وطبيعة الوادى المعوج تمنحه هذه الحماية.

والقاعدة العسكرية تقول إذا لم تستطع القيام بالعمل الإيجابى فابحث عن أقرب عمل سلبى صحيح.. لأن هروبك من خسائر العدو.. هو انتصار لك.

كانت هذه أطول ليلة فى تاريخ الشاذلى العسكرى وفى تاريخ مصر كلها..

ومجدداً حاول الشاذلى الاتصال بالقيادة لكن دون جدوى وبعث بأحد الضباط لاكتشاف الأوضاع على أرض الواقع والوصول إلى القيادة ولكنه لم يعد وبدأ الطيران مرة أخرى يكشر عن أنيابه عن تلك الفريسة التى أصبحت مثل «اللقمة فى الزور» لأن الجيش تقريباً انسحب أو فى طريقه للانسحاب والطيران يصطاد بكل بسهولة لكن مجموعة الشاذلى كأنها دخلت تحت جلده.

«افتحوا الراديو يا أولاد!».. هكذا طلب من ضباط الإشارة أن يحاولوا التقاط إذاعة مصر ليعرف الخبر اليقين.. أقل القليل هو ما يصل أو يقال أو أنها معلومات مغلوطة تماماً عكس ما هو على أرض الواقع فقد كان الإعلامى أحمد سعيد فى «صوت العرب» يحصر الطائرات الإسرائيلية التى تسقط، وطيراننا كله قد تلوى على الأرض بين قتيل وجريح وهذا ما رآه الشاذلى بعينه فى مطار فايد، وعلى طول طريق العودة إلى كتيبته.. وهو يعيش تحت نيران الطيران الإسرائيلى..

كان هذا هو قدرك يا سعد ومعك رجالك، السماء تمطر فوق رأسك بقذائف الطيران وسماء الإعلام تمطر بالأكاذيب، وأنت هناك وحدك فى عمق العدو.

وفى عصر يوم ٧ يونيو جاء الاتصال أخيراً من القيادة العامة للقوات المصرية وسألوه: ماذا تفعل عندك؟!.. لقد أصبحت سيناء كلها تحت سيطرة إسرائيل وأنت فى هذا المكان شبه محاصر وعليك الانسحاب.

كش ملك

توغلت بأقل الخسائر فهل أنت قادر على الانسحاب فى تلك الأرض المكشوفة حيث لم يبق للجيش المصرى سواك.. حاول أن يشرح للقيادة، ولكنها لم تكن جاهزة لأن تسمع وترى فقد قضى الأمر وعلى الله قصد السبيل .. وبعد اتصال القيادة رسمياً بمجموعة الشاذلى أدرك وقتها أن الهزيمة قد وقعت.

وفى أثناء ذلك لم يتوقف الطيران الإسرائيلى عن نداءاته، وكأنه يقول لسعد ورجاله: نحن هنا.. خاصة أنها القوة الوحيدة الباقية على قيد المعركة.. وكانت حساباته كلها للطيران، أما المواجهات البرية فهو كفيل بها.

العجيب فى الأمر أن معنويات مجموعة الشاذلى كانت عالية رغم الحصار وانسحاب معظم القوات المصرية، كانت معنوياتهم عالية لأن قائدهم يتصرف أمامهم بهدوء وعقلانية.. وبعد قراره المدروس وحين تسأل الشاذلى عن ذلك يقول لك: إنها مجموعة منتقاة، وهذا هو شأن رجال الصاعقة والمظلات (الخلاصة).. بين رجال الأسلحة المختلفة.

يقول الشاذلى: ومع آخر ضوء فى نهاية ٧ يونيو.. وكانت ليلة قمرية قررت التحرك جنوباً وبالتالى لا حاجة للأنوار الصناعية وطوال الليل كانت المجموعة قد قطعت نحو ١٠٠ كيلومتر والبراعة هنا أن تعرف كيف تستدل على الطريق وتحدد اتجاهاتك فى تلك الصحراء الواسعة..

وفى ضوء النهار رأى الشاذلى بعينه حجم الكارثة التى حلت بالقوات المصرية وكان هذا المشهد المروع قد شحن داخله بطاريات التحدى للقصاص لدماء هؤلاء الشهداء.

الدبابات والعربات محترقة، والطريق مسدود، والجثث متفحمة هنا وهناك، وقد لعب الطيران الإسرائيلى لعبته فى غياب الدفاع الجوى الصاروخى ولم نكن نمتلكه ومن هنا بدأت دروس الإعداد للنصر فى قلب الهزيمة.

وأثناء الانسحاب بدأ الطيران الإسرائيلى ينتقم فى هذه الأجواء المكشوفة وزادت الخسائر عن ذى قبل، وهو أمر طبيعى كان يركز على ضرب الدبابات وعلى العربات الإدارية التى تحمل الذخيرة وضربها يجعلها تنفجر يميناً وشمالاً؛ وهو ما يؤثر على العربات الأخرى وعلى معنويات الضباط والجنود. جرى هذا على مسافة ٩٠ كيلو متراً كانت تفصل مجموعة الشاذلى عن الإسماعيلية وتم الوصول إلى المعابر يوم ٨ يونيو، وكان بذلك آخر المنسحبين المحترمين.. وبعدها نسف المهندسون المصريون المعابر أو الكبارى حتى لا يستخدمها العدو الإسرائيلى.

عاشت الأسامى

اختلف الخبراء والعسكريون والسياسيون فى تسمية حرب الأيام الستة فهى: هزيمة يونيو وهى النكسة وهى (المذبحة) وهى عملية (الديك الرومى) والمقصود به جمال عبدالناصر.. وكانت أبرز أهداف هذه الحرب كسر شكوته، وإيقاف زعامته التى كانت تنمو بقوة فى جميع الاتجاهات، الأرقام تقول إن ضحايا (٦٧) أكثر من ٦ آلاف شهيد و١٦ ألف مفقود وتدمير ٨٥ فى المائة من القوات الجوية و٨٠ فى المائة من القوات البرية. لكن الأستاذ محمد حسنين هيكل يرفض أن يسميها هزيمة ويرى أن الحرب لها هدفان الأول تحطيم القوة المسلحة للعدو.. والثانى تحطيم إرادة العدو، ولو قامت الحرب وتحقق هدف من دون الآخر فإن الهزيمة لم تحدث والنصر لم يتحقق.. وعلى أرض الواقع تحطمت القوات المسلحة لكن هل تحطمت الإرادة المصرية؟.. لا.. لم تتحطم وسنرى بعد أسابيع قليلة من تلك النكسة أكبر الأمثلة على ذلك.. فى ردود قوية إزاء عجرفة العدو وفى كل الحروب السياسية والعسكرية فى ٦٧ وفى ٧٣ وفى كل الحروب.

وكان الشاذلى بعيداً عن شلة عبدالحكيم عامر رجل الجيش الأول وأكثر قرباً من جمال الزعيم السياسى فى توجهاته وأفكاره.. بل إن هناك صلة أخرى ظهرت من خلال وجود سعد متولى كبير ياور ناصر وشقيق زوجة الشاذلى، ودخول الحروب بلا خطة أو تدريب معناه أن تلقى بنفسك إلى التهلكة.. لا تنفرد برأيك أيها القائد ولا تحجب المعلومات فتضلل بها نفسك قبل أن تضلل غيرك، والحرب التى تريد أن تكسبها عليك أن تعرف قدرات المعركة، وتأمر بإغلاق المضايق!

وألقى عبدالناصر بيان التنحى وتحمل وحده أمام الجماهير مسئولية ما جرى ورغم أن عبدالحكيم عامر طلب منه أن يشترك معه فى المسئولية فإنه رفض وخرجت الملايين إلى الشوارع تطالبه بالعودة، وهى تبكى يحركها الحب الجارف لجمال والثقة فى وطنيته.

وقد كنت وقتها بالمرحلة الإعدادية وقطعت أكثر من ١٥ كيلو متراً مشياً على الأقدام، ورأيت أبى لأول مرة يبكى أمام تليفزيون الجيران الـ١٤بوصة، وقد تجمع الجميع أمامه. وكان البيان يطوى صفحة للعسكرية المصرية، ويكتب من أول السطر صفحة جديدة.

13

مهمة خاصة إلى بيت عامر!!

«فشلت القوات المسلحة ونجح الشعب» وتلك هى وجهة نظر الكاتب محمد حسنين هيكل.. اتجهت الجموع إلى السفارة الأمريكية تريد أن تنسفها، لكن قرار الرئيس جمال عبدالناصر بالعودة إلى موقعه مرة أخرى أنقذها، وأنقذ الجميع، وطلب السادات من جميع القيادات أن تقدم استقالاتها فكتبوها جميعاً إلا عبدالحكيم عامر رغم أنه كان أكثرهم حماساً لذلك..

فى ١١يونيو ١٩٦٧ قرر جمال عبدالناصر أن تكون ضربة البداية إعادة بناء القوات المسلحة والشاهد على ذلك أيضاً أنور السادات.

وكان الشاذلى حاضراً فى المشهد الأخير بين جمال وعبدالحكيم عامر وهو يكتبها على النحو التالى:

«تجمع الكثير من الضباط والقادة حول عبدالحكيم عامر الذى أدرك أن عبدالناصر لا يريده.. واستدعى محمد فوزى وعبدالمنعم رياض الشاذلى، وطلبا منه أن يتوجه إلى بيت عبدالحكيم بقوة من الصاعقة، والقبض على جميع الضباط المجتمعين داخله.

ونزل الأمر كالصاعقة على رجل الصاعقة فكيف يكون الوضع عندما يذهب بقوته ويجد نفسه وجها لوجه مع زملاء من الصاعقة أو من الأسلحة الأخرى، وكانت أصعب مهمة يمكن أن يكلف بها رجلٌ مثل الشاذلى يحسب لكل خطوة ألف حساب.. ودعا الله من كل قلبه أن يشرح له صدره وييسر له أمره، ويحل له العقدة بفضله، وبينما هو فى الطريق كانت السماء قد استجابت لدعوة الرجل وصدر الأمر بإيقاف المهمة وكأن شيئاً لم يكن.

فى اليوم الذى قرر فيه عبدالناصر إعادة بناء القوات المسلحة صدرت الأوامر بأن يتولى الشاذلى قيادة القوات الخاصة التى جمعت بين الصاعقة والمظلات معاً، وأطلق البعض على الشاذلى موحد القوتين.

وكان عبدالناصر بعيد النظر عندما دمج بين الصاعقة والمظلات؛ لأن هذه القوة سيكون لها دورها الكبير خلال حرب الاستنزاف، وهى المنطقة المجهولة التى لم يتوقف عندها المؤرخ العسكرى بما يكفى.

حاول عبدالحكيم عامر بكل السبل الاستمرار، ورفض الاستقالة من منصب نائب رئيس الجمهورية بعد أن عزله عبدالناصر من مناصبه العسكرية، وأسندها إلى الفريق محمد فوزى.. ولما أدرك تصميم عبدالناصر على إبعاده وتحديد إقامته انتحر وحزن الأول لأجله كثيراً فهو صديقه المقرب وقال للسادات: «تصور يا أنور أنا وأنت وعبدالحكيم.. كنا أصدقاء لسنوات طويلة وعندما يموت حكيم لا نستطيع أن نمشى فى جنازته.. ولا أحد من الزملاء سيشارك أيضاً فى الجنازة خوفاً من ثورة أهله»!!

رأس العش

بعد أسابيع قليلة كان العالم كله يتحدث عن معركة رأس العش التى أدرك من خلالها العدو أن الجيش المصرى قد استعاد زمام أمره، وفى ٨ سبتمبر ١٩٦٨ فتحت المدافع المصرية نيرانها الكثيفة على امتداد الجبهة كلها وأمطرت القوات الإسرائيلية بأطنان من القنابل المدمرة.. وكانت إشارة أن تحولات قد جرت فى الجيش المصرى.. وقبلها نجحت البحرية المصرية فى إغراق المدمرة إيلات.. أى أن الصحوة العسكرية شملت جميع الأسلحة.. وكانت هذه رسالة لإسرائيل بأن القوات البحرية لاتزال تحتفظ بكل قوتها.

فى البحر الأحمر

وفى عام ١٩٦٩ جرت تغييرات جديدة فى صفوف القوات المسلحة، وتم إبعاد أحمد إسماعيل رئيس الأركان على إثر غارة جوية شنتها إسرائيل على رأس غارب، واختير محمد صادق بدلاً منه، وكان إسماعيل قد تولى منصبه بعد استشهاد عبدالمنعم رياض.

وهو بطل يجب ان نتوقف أمام سيرته بالتفصيل وكان السبب فى اختيار الشاذلى قائداً لمنطقة البحر الأحمر أنها متسعة وإسرائيل تستثمر ذلك فى غارات، هدفها الإيحاء بأنها قادرة على الوصول إلى العمق المصرى، حيث تهبط طائرة أو طائرتان فى صعيد مصر ليلاً، ويتم إيقاف السيارات وإنزال ركابها واصطحاب بعضهم إلى إسرائيل ثم الإعلان عن أنهم أسرى وذات مرة أخذوا ضابطاً وذبحوه وفى مرة ثالثة داسوا بدباباتهم على سيارة المحافظ

وهى بالوصف العسكرى عمليات رخيصة، ووجدوا أن رجل الصاعقة والمظلات الشاذلى هو من يستطيع إيقاف العدو عند حده.

وبدأ الرجل يقسم المنطقة إلى أقسام، وينظم عمل دوريات عسكرية كانت تعمل من بعد الغروب إلى الصباح، ولم يتوقف الأمر بالنسبة للشاذلى عند هذا الحد.. بل إنه قام بتدريب بعض الضباط على القيام بعمليات وغارات خلف خط بارليف قامت بها الكتيبة ٨٣ صاعقة وفى إحدى هذه الغارات قتل ٣٥ إسرائيلياً وأسر اثنان من كتيبة الجولانى، وفى العملية الثانية دمر اللواء ١٣٥ مشاة إحدى النقاط القوية داخل خط بارليف، وقتل ١٣ إسرائيلياً وأسر جندى واحد، وهو ما دفع جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية فى ذلك الوقت للاستغاثة بالرئيس الأمريكى نيكسون حيث عرضت عليه مبادرة لوقف إطلاق النار، وتم بالفعل تقديم مبادرة روجرز فى عام ١٩٧٠، وكانت فرصة لقواتنا لبناء قواعد الصواريخ.

وإذا كانت الأضواء قد ذهبت إلى الأبطال الذين خاضوا حرب أكتوبر فإن الواجب يحتم أن نرصد قصص وأسماء وحكايات هؤلاء الأبطال فى فترة حرب الاستنزاف فلولا جهدهم وإخلاصهم العظيم فى فترة عصيبة ما بلغنا نصر أكتوبر.

الهجوم بدلاً من الدفاع

فى مذكراته يقول الشاذلى: «لم نكف عن التفكير فى الهجوم على العدو الذى يحتل أراضينا حتى فى أحلك ساعات الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧، لقد كان الموضوع ينحصر فقط فى: متى يتم مثل هذا الهجوم، وربط هذا التوقيت بإمكانات القوات المسلحة لتنفيذه. وفى خريف ١٩٦٨ بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة تستطلع إمكان القيام بمثل هذا الهجوم على شكل «مشاريع استراتيجية» تنفذ بمعدل مرة واحدة فى كل عام، وقد كان الهدف من هذه المشاريع هو تدريب القيادة العامة للقوات المسلحة- بما فى ذلك قيادات القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوى، وكذلك قيادات الجيوش الميدانية وبعض القيادات الأخرى. على دور كل منها فى الخطة الهجومية.

لقد اشتركت - والكلام للشاذلى - فى مشاريع عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩ بصفتى قائداً للقوات الخاصة (قوات المظلات وقوات الصاعقة)، واشتركت فى المرة الثالثة عام ١٩٧٠ عندما كنت قائداً لمنطقة البحر الأحمر العسكرية.

وقد جرت العادة على أن يكون وزير الحربية هو المدير لهذه المشاريع، وأن يدعى رئيس الجمهورية لحضور جزء منها، لكى يستمع إلى التقارير والمناقشات التى تدور خلالها، وقد استمرت هذه المشاريع خلال عامى ١٩٧١ و١٩٧٢.

أما المشروع الذى كان مقرراً عقده عام ١٩٧٣ فلم يكن إلا خطة حرب أكتوبر الحقيقية التى قمنا بتنفيذها فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وحيث إن إسرائيل كانت تتفوق علينا تفوقاً ساحقاً فى كل شىء خلال عام ١٩٦٨ والأعوام التالية، فقد كان مديرو هذه المشاريع الاستراتيجية يفترضون امتلاكنا لقوات مصرية ليست موجودة واقعياً، وذلك حتى يكون من الممكن تنفيذ مشروع الهجوم بأسلوب لا يتعارض مع العلم العسكرى، وبمعنى آخر فإن المديرين كانوا يضعون الخطة الهجومية على أساس ما يجب أن يكون لدينا، إذا أردنا القيام بعملية هجوم ناجحة. ولا يمكن أن نعتبر هذا خطأ كبيراً حيث إن مثل هذه الخطط وإن كانت غير واقعية، فإنها تظهر بوضوح حجم القوات المسلحة التى يجب توافرها لكى يمكن تنفيذ خطة هجومية ناجحة. خلال عام ٦٩ وما بعده أخذت قواتنا المصرية تزداد قوة، وأخذت خططنا فى تلك المشاريع الاستراتيجية تبدو أقل طموحاً نتيجة ربط الأهداف بالإمكانات الواقعية، وبذلك أخذت الفجوة بين إمكاناتنا الهجومية وخططنا الهجومية فى المشاريع الاستراتيجية تضيق شيئاً فشيئاً، حتى تم حسمها تماماً فى أكتوبر١٩٧٣. وهكذا أصبحت خطتنا الهجومية عام ٧٣ مطابقة للإمكانات الفعلية لقواتنا المسلحة.

إن السيطرة على قوات مسلحة قوامها نحو مليون ضابط وجندى هى عمل صعب للغاية، فعندما شغلت منصب رئيس الأركان كان حجم القوات المسلحة نحو ٨٠٠,٠٠٠، وقبل اندلاع حرب أكتوبر ٧٣ كانت القوات المسلحة قد بلغت مليونا وخمسين ألفا فى الجيش العامل، يضاف إلى ذلك ١٥٠,٠٠٠ كان قد تم تسريحهم وتنظيم استدعائهم خلال السنتين السابقتين للحرب، وبذلك

وصل حجم القوات المسلحة إلى مليون ومائتى ألف ضابط وجندى، كان نحو ٥٨٪ منهم لا ينخرطون ضمن الوحدات الميدانية، ولاشك أن هذه النسبة تعتبر نسبة عالية إذا ما قورنت بالنسب السائدة فى القوات المسلحة الأجنبية، ولكننا اضطررنا إلى هذا الموقف نتيجة للعاملين التاليين:

١- إن تفوق العدو الجوى الساحق جعل بإمكانه توجيه جماعات منقولة جواً لتدمير وتخريب أهدافنا الحيوية المتناثرة فى طول البلاد وعرضها، وأن البنية التحتية والأهداف الحيوية فى مصر، هى أهداف مثالية لجماعات التخريب المعادية، فهناك مئات الكبارى فوق النيل والرياحات والترع، وهناك خطوط أنابيب المياه والبترول التى تمتد مئات الكيلومترات عبر الصحراء وكذلك خزانات المياه والنفط ومحطات الضخ والتقوية وتوليد الكهرباء، إلخ.

٢- إن التوسع المستمر فى حجم القوات المسلحة كان يفرض علينا زيادة طاقة المنشآت التعليمية حتى تستطيع أن تلبى مطالبنا المتزايدة فى تدريب الكوادر المطلوبة لقواتنا المسلحة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بمزيد من تدعيم هذه المنشآت بضباط الصف المعلمين والإداريين الذين يرفعون من طاقة هذه المنشآت.

إن هيئة أركان الحرب العامة هى جهاز مركب تركيباً غاية فى التعقيد، إنها تضم نحو ٥٠٠٠ ضابط و ٢٠,٠٠٠ من الرتب الأخرى، وعلى قمة هذا الجهاز يجلس رئيس أركان حرب الجيش وتحت أمرته المباشرة ٤٠ ضابطاً برتبة لواء، كل منهم على قمة فرع أو تخصص أو إدارة لمعاونة رئيس الأركان فى السيطرة على القوات وتسهيل عملية السيطرة على تلك القوات ذات المليون جندى، فقد تم تجميعها تحت ١٤ قيادة هى (البحرية- الطيران- الدفاع الجوى- الجيش الثانى- الجيش الثالث- قوات المظلات- قوات الصاعقة- منطقة البحر الأحمر- المنطقة الشمالية- المنطقة الغربية- المنطقة المركزية- المنطقة الوسطى- المنطقة الجنوبية- قطاع بور سعيد). لقد تعودت فى الماضى أن أخلق نوعا من الاتصال المباشر بينى وبين الرجال الذين أقودهم، لم أكن قط من ذلك الطراز من القادة الذين يستمعون إلى تقارير مرءوسيهم المباشرين ويعتمدون عليها اعتماداً كلياً فى اتخاذ قراراتهم.

مؤتمر الرئيس

بعد أن تم انتخاب السادات رئيساً للجمهورية فى ١٤ من أكتوبر ١٩٧٠ دعا إلى اجتماع مع قادة القوات المسلحة يوم ١٩ من الشهر ذاته، وفى هذا الاجتماع أثنى على المرحوم جمال عبدالناصر، ووعدنا بأنه سيسير على هدى خطواته، وفى ٣٠ من ديسمبر من العام نفسه حضر اجتماعاً آخر مع القادة، ولكن فى هذا الاجتماع كان المتكلم الرئيسى هو وزير الحربية الفريق فوزى وقدم تقريره وبعدها أكد السادات أنه لن يتم تجديد وقف إطلاق النار، وعلينا أن نتأهب للمعارك وألا نصدق الدعاية الامريكية.

وفى ٢٣ من مارس ١٩٧١ عقد الرئيس مؤتمراً عاماً للضباط وقد طلب إلىَّ أن أحضر معى ٤ ضباط من مختلف الرتب من منطقة البحر الأحمر العسكرية لحضور هذا المؤتمر، وقد بدأ الرئيس حديثه بشرح الأسباب التى دعته إلى تمديد فترة وقف إطلاق النار التى انتهت فى ٤ من فبراير الماضى قائلاً: «إن جهود مصر الدبلوماسية قد نجحت فى عزل إسرائيل عن العالم فقد تم عزلها عن أمريكا وبريطانيا ودول أوروبا الغربية وإسبانيا وإيران». وعن موقف إسرائيل قال السادات: «لأول مرة تعترف إسرائيل فى وثيقة رسمية أرسلتها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ من فبراير ٧١ بأنها لن تنسحب إلى خطوط ٤ من يونيو ٦٧، وبذلك وضحت نواياها أمام العالم أجمع»، وعن علاقاتنا مع أمريكا قال: «نحن لا نثق بأمريكا فقد وعدتنا كثيراً ولكنها لم تف بوعودها، وقد أخطرت نيكسون بأننا لا نثق بوعود أمريكا ولكننا على استعداد لأن نثق بالأفعال»، وعن المعركة مع إسرائيل قال السادات: «إن المعركة القادمة هى معركة شعب وليست معركة القوات المسلحة، ويجب علينا أن نحصل على التوازن الدقيق بين مزايا بدء المعركة الآن وبين مزايا الانتظار، وإنى أعدكم بأننا لن نقدم ميعاد المعركة يوماً واحداً ولن نؤخرها يوماً واحداً عن توقيتها الصحيح»، وفى خلال قيام الرئيس بإلقاء كلمته وزع على الحاضرين خريطة تبين الأراضى التى تريد إسرائيل أن تحتفظ بها، والأراضى التى هى مستعدة لإعادتها إلى العرب، وقد علق الرئيس على هذه الخريطة وهو يستثير حماس الضباط هل تريدون أن تقبلوا هذا الهوان ؟»، وكان الرد حماسيا من الجميع «لا .. لا لن يكون هذا».

14

الشك يحيط بالمآذن العالية!

يعرف السادات جيداً كيف يناور كأنه لاعب كرة ماهر يوحى لمنافسه بأنه سيتحرك فى الاتجاه إلى اليمين وهو يتجه إلى اليسار أسرع بكل ما يملك، فقد أعلن فى يوليو ١٩٧٢ إجلاء الخبراء السوفييت من مصر، وكانت له فلسفته وقناعته أن وجود السوفييت أثناء الحرب سوف ينسب إليهم كل جهد فى الانتصار عندما يتحقق كما أنهم تباطأوا كثيراً وناوروا فى إمدادات السلاح

وقبل هذا القرار بشهر تقريباً دعا السادات إلى اجتماع فى استراحته فى القناطر الخيرية، وحضره عدد محدود من القادة، منهم الفريق صادق وزير الحربية والشاذلى والجمسى ومحمود على فهمى عن الدفاع الجوى واللواء المسيرى عن القوات الجوية، واللواء جوهر من التنظيم والإدارة، وكان الهدف من الاجتماع أن يقرأ علينا تقريرًا، كتبه مدير المخابرات العامة أحمد إسماعيل، وقد حذر فيه من القيام بعمليات هجومية نظراً لضعف قواتنا الجوية، وعدم وجود دفاع جوى متحرك، وبالتالى يجب تأجيل أى عمليات حربية حتى تتساوى قواتنا الجوية مع نظيرتها الإسرائيلية فى القوة، هذا الكلام كما يقول الشاذلى - معناه أن خطة «المآذن العالية» التى وضعتها هى خطة محددة، وتهدف إلى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف والتمركز شرق القناة، وكانت الخطة سرية ولا يعلمها إلا عدد محدود جداً لا يتجاوز سبعة إلى ثمانية، وهذا معناه أن السادات لم يكن ينوى فعلاً أن يدخل الحرب عام ١٩٧٢، وقبلها أطلق على عام ١٩٧١ سنة الحسم، ولم يحسم.

والسادات بدوره ألقى باللوم على السوفييت، لأنهم لم يلتزموا بما تعهدوا به فى عام الحسم، وهذا ما أحرجه مع شعبه، ويذكر السادات أنه اتصل بالهند لكى يحصل منها على السلاح الروسى بطريقة غير مباشرة، لكن الهنود عادوا إلى السوفييت لاستئذانهم ولكنهم رفضوا!!

وحقيقة الأمر أن السادات كان يكره الروس من الميراث السوفييتى الذى سارت عليه مصر فى أمور كثيرة، وكان يميل أكثر إلى كل ما هو أمريكى، وهو أيضاً ما ورثه حسنى مبارك من بعده، وقد أعرب عن سعادته بطرد

السوفييت لأنهم يتسمون بالخشونة والفقر على حد تعبيره لمحمد حسنين هيكل، وقد طلب السادات لقاء السفير السوفييتى فى مصر، وطلب منه إبلاغ الكرملين بما سيقوله كرسالة رسمية، وهنا لعبها ببراعة، حيث لا شىء مكتوبا وفى ذلك قوة من الراسل واستخفاف بالمرسل إليه، وقال السادات فى رسالته:

أرفض أسلوب تعاملهم معى، وقد قررت الاستغناء عن الخبراء الروس، وعددهم ١٥ ألفاً، وأن يعودوا إلى بلادهم فى ظرف أسبوع من اليوم، وسأبلغ وزير الحربية بذلك، وهناك معدات سوفيتية وهى أربع طائرات ميج ٣٥، وهناك محطة للحرب الإلكترونية ويعمل عليها طاقم سوفييتى، وإما أن تبيعوها لنا، أو تسحبوها معكم، ولم يصدق السفير ما سمع، وحلل السوفييت والغرب وإسرائيل هذا القرار بأننى لن أدخل المعركة، وهو ما أفادنى استراتيجياً، وقد أدركنا أن السوفييت بدأوا يشعرون أن لهم وضعاً ممتازاً فى مصر، وسفيرهم تحول إلى مندوب، وكان هؤلاء الخبراء فى المحطة الإلكترونية لا يعملون إلا بعد تلقى الأوامر من موسكو، والأخطر أنهم تصوروا أنهم وضعوا مصر فى جيبهم وأن الاتحاد السوفييتى هو ولى الأمر، وقد اصطدم الشاذلى مع صادق، الأول يرى أن تكون خطتنا حسب ما نمتلك من إمكانيات، خاصة بعد طرد السوفييت، والآخر يرى أن ننتظر حتى تكتمل الإمكانيات ومعنى ذلك إطالة أمد الانتظار، والناس قد فاض بها، ولذلك أسرع السادات بإبعاد صادق، كما أنه استشعر أنه ينوى الانقلاب عليه مع مراكز القوى.

والشاذلى من المدرسة التى تضع خطتها وفق ما تملك، وما يملك العدو وبهذه الفلسفة انتصرنا فى أكتوبر، وإلى جانب خطة «المآذن العالية»، السرية جداً وضع خطة أخرى بعنوان (٤١) أو التوجيه (٤١)، وتعمد أن ينشرها وأن تصل إلى الروس، وتعتمد على أن الوصول إلى المضايق يلزمه كذا من السلاح، وبذلك فهى «مذكرة مطالب» أكثرها منها خطة حتى أنه ذهب بها إلى كلية أركان الحرب وناقشها مع الدارسين، وكان منهم سمير فرج الذى كان رئيساً للشئون المعنوية آنذاك، ثم رئيساً للأوبرا ومحافظاً للأقصر، وعن ذلك يقول فرج (فى مقال نشرته جريدة الفجر):

للحق والتاريخ، فإننا يجب أن نذكر أن الفريق سعد الشاذلى كان صاحب فكرة هذا التوجيه، وأنه خلال فترة حرب الاستنزاف أصدر سلسلة من

التوجيهات، وهى ما يطلق عليها توجيهات رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وكانت عادة تصدر بعد حدوث أعمال قتالية خاصة، وكان على الفريق سعد الشاذلى أن يقوم بتجميع خبرة القتال من أعمال القوات المصرية، والدروس المستفادة، بعد الحدث مباشرة، ويتم توزيعها على عناصر القوات المسلحة للاستفادة منها فى أى أعمال قتالية مشابهة مستقبلاً، وكان منها على سبيل المثال التوجيه الخاص بتأمين الرادارات فى المناطق المنعزلة وذلك بعد الغارة الإسرائيلية على أحد الرادارات المصرية المنعزلة.

لكن هذه المرة صدر هذا التوجيه قبل بدء العمليات، وبدأ التفكير فى إصدار ذلك التوجيه عندما كان الفريق سعد الشاذلى يراجع خطة العملية الهجومية، لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف، ووجد أن هناك العديد من المشاكل التى تعوق وتؤثر فى التخطيط للعملية الهجومية، فأصدر أوامره بتشكيل لجنة خاصة لإعداد هذا التوجيه ليكون منهاجاً لخطة الحرب، ولكن بعد أن انتهى العمل من هذا التوجيه، أصبح هو الخطة التفصيلية لعبور قناة السويس واقتحام خط بارليف للقوات المسلحة بالكامل.

وأتذكر وأنا طالب فى كلية أركان حرب، فى منتصف عام ١٩٧٣ وقبل الحرب بأشهر قليلة، أن أبلغنا مدير الكلية، أن الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة سيزور الكلية وسيقضى يوماً كاملاً مع الطلبة الدارسين لكى نناقش معه التوجيه (٤١) وهى الخطة التفصيلية لعبور واقتحام قناة السويس، وأعتقد أن الفريق سعد الشاذلى، كان بذلك القرار شديد الذكاء، الذى جاء بعد دراسات استمرت عدة شهور من لجنة الإعداد التى ضمت عناصر من جميع أفرع وقوات وإدارات القوات المسلحة، لوضع خطة تفصيلية دقيقة لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف، وإنشاء خمسة رءوس كبارى شرق القناة، وتحدد فيها دور كل جندى، وضابط، وقائد، كان اختيار الفريق سعد الشاذلى لإشراك طلبة كلية أركان حرب قراراً سليماً، لمناقشة تفاصيل هذه الخطة بصورة نهائية، أولاً لأن الدارسين فى كلية أركان الحرب فى هذا التوقيت كانوا نخبة متميزة من ضباط القوات المسلحة، والتحقوا بالدورة بعد امتحان مسابقة جرى بين ١٥٠٠ ضابط، وثانياً: إن هؤلاء الدارسين هم من جميع الأفرع والقيادات والأسلحة الرئيسية والمعاونة والإدارية فى القوات المسلحة، ثالثاً: إن الدارسين

كانوا منهمكين فى الدراسات النظرية لمدة عام، التى اعتمدت على الأرقام والحسابات، علاوة على ما لديهم من الخبرات الشخصية والميدانية والتى على أساسها تم قبولهم فى هذه الكلية، وأخيراً فإن كلية أركان حرب فى هذا التوقيت بالذات كان قد تم طرد الخبراء الروس منها، وأصبح جميع أعضاء هيئة تدريسها من الضباط المصريين.

وتم توزيع مسودة التوجيه (٤١) على جميع الدارسين قبل اللقاء بعدة أيام، قمنا بدراسته، بالتفصيل، والواقع أننا فوجئنا بحجم هذا العمل الرهيب، الدقيق، ولم يسمح لنا خلال فترة دراسته أن نأخذ معنا أى أوراق إلى منازلنا للحفاظ على السرية، ولذلك كنا نظل ندرس ونتناقش فى الكلية يومياً، حتى وقت متأخر ونترك أوراقنا فى خزائن الدراسة، حتى صباح اليوم التالى.

ولقد حققت هذه المناقشات داخل الكلية لنا كطلبة دارسين من مختلف الأسلحة والتخصصات التنسيق المتكامل، المبنى على الفهم العلمى، الأكاديمى، لكل مراحل العبور، واقتحام النقاط القوية، وصد الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية، ومطالب كل مرحلة من مراحل العبور، وهكذا عمل ١٥٠ طالباً من الكلية كمجموعة متجانسة، متعاونة، تنسق مع بعضها، هذه الخطة، وتحقق مطالب كل فرع من الأفرع، وأعتقد مثلاً أن ضباط سلاح المهندسين هم أكثر من كنا نتعاون ونسق معهم، نظراً لأن الخطة أساساً كان محورها العبور بوسائل ومعدات سلاح المهندسين.

وبدأ الفريق سعد الشاذلى هذا التوجيه بوضع جميع المشاكل، والمصاعب أمام المخطط المصرى لعبور القناة وتدمير خط بارليف، وكان أمام مجموعة العمل أن تضع الحلول أمام كل مشكلة، فلقد كان أعقد المشاكل التى قابلت المجموعة هو الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة.، الذى أعطى للجانب الإسرائيلى ميزة السيطرة بالنيران، وملاحقة القوات القائمة بالعبور، وأدى ذلك إلى اقتراح ضرورة بناء نقاط قوية مرتفعة مزودة بمصاطب دبابات على الضفة الغربية للقناة، تسمح للجانب المصرى بأن يؤمن قواته التى تعبر القناة بالنيران والمعلومات، وأتذكر أن موشيه ديان عندما شاهد الجنود المصريين يقومون ببناء هذه النقاط سخر منهم، وقال أمام وكالات الأنباء: إن المصريين دائماً مغرمون ببناء الأهرامات.

وأمام مشكلة عمل فتحات فى الساتر الترابى أمام الكبارى، كان أحد أعظم الحلول التى وضعها المفكر المصرى، هو استخدام خراطيم المياه، والتى استلهمت فكرتها من بناء السد العالى فى أسوان، كما تم إعداد سلالم من الحبال لصعود جنود المشاة للساتر الترابى، ومعهم معداتهم، وأسلحتهم، وذخائرهم، وكان الفريق سعد الشاذلى، خلال محاوراته معنا، يركز على أنه يجب أن نعتمد على الأفكار والحلول المصرية، وأن نعتمد على المواد المصرية، وربما كان الشىء الوحيد الذى تم استيراده من الخارج، هو مضخات الدفع المائية، لعمل الفتحات الشاطئية.

وعند بحث مشكلة مواسير النابالم، التى وضعها الجانب الإسرائيلى، مع نقاط خط بارليف لكى تحول سطح القناة إلى كتلة لهب مشتعلة يستحيل على قوارب المطاط أن تعبر منها، فقد تم التغلب عليها بتشكيل مجموعات تقوم بالعبور تحت ستار نيران المدفعية لسد فوهات وفتحات أنابيب النابالم، وللتغلب على مشكلة مصاطب الدبابات الإسرائيلية على الجانب الشرقى من القناة، فقد ركز «التوجيه ٤١»، على دفع مجموعات اقتناص دبابات لتحتل هذه المصاطب قبل عبور القوات لمنع الدبابات الإسرائيلية من احتلالها وتدخلها ضد القوات المصرية المهاجمة، ثم جاءت مشكلة اقتحام النقاط القوية الإسرائيلية فى خط بارليف، حيث تم تكوين قوات خاصة لمهاجمة هذه النقاط اعتمد تكوينها على حجم النقطة وتسليحها، وعدد الدبابات الموجودة بها، وشكل وحجم المواقع الدفاعية التى تحيط بهذه المنطقة، وبالتالى، خرجت الخطة بشكل وأسلوب الهجوم، سواء بالمواجهة، أو على الأجناب، أو من الخلف، طبقاً لطبيعة دفاعاتها، وهكذا يمكن القول إن هذا التخطيط الدقيق المبنى على معلومات تفصيلية دقيقة، كان من أهم عوامل نجاح عملية التنفيذ، كما تمت دراسة بعض العوامل الأخرى، مثل تغير سرعة التيار فى قناة السويس، وعمليات المد والجزر، ومدى تأثيرها على عمليات العبور بالقوارب، أو المركبات البرمائية، وعمليات فتح الكبارى، كل ذلك تم وضعه فى الاعتبار فى أعمال التخطيط للعبور.

ولعل كبرى المشكلات التى واجهت مجموعة إعداد التوجيه «٤١» برئاسة الفريق سعد الشاذلى هى التعامل مع الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية التى

كان مخططا لها أن تتدخل ضد قوات رأس الكوبرى المصرية شرق القناة، حيث كان على قوات المشاة المصرية المترجلة أن تتعامل مع هذه الاحتياطيات حتى صباح اليوم التالى دون أى دعم من المدرعات، ومن هنا ظهرت براعة مجموعة التخطيط، حيث تم حساب توقيت تحريك كل احتياطى من الاحتياطيات الإسرائيلية، ثم حساب حجم الأسلحة المضادة للدبابات المطلوب وجودها فى هذا التوقيت فى منطقة رأس الكوبرى لصد وتدمير هذه الاحتياطيات، ومن هنا جاء ترتيب عبور القوات بالدعم اللازم، طبقاً لتوقيت تدخل الاحتياطيات الإسرائيلية شرق القناة، بل وصل الأمر إلى تحديد تسليح كل جندى، وحجم الذخيرة التى سيحملها هذا الجندى، سواء لتسليحه أو لسلاح آخر سيعبر معه فى هذا القارب، وتم التخطيط بحيث يحمل كل جندى لغمين من الألغام المضادة للدبابات، لإنشاء حقول ألغام متحركة أمام القوات، للمعاونة فى صد الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية.

ويمكن القول: إن «التوجيه ٤١» عالج ١٣٢ مشكلة كانت تقف عائقاً أمام المخطط المصرى الذى كان يضع خطة العبور واقتحام قناة السويس، وتدمير خط بارليف، وإنشاء رءوس الكبارى شرق القناة، وكانت معالجة هذه المشاكل بأفكار مصرية بسيطة، ووضعتها هذه اللجنة بخبرتها مستفيدة بالخبرات التى ظهرت خلال التدريبات على العبور فى دلتا نهر النيل.

وجاء يوم مناقشة الخطة، حيث وصل الفريق سعد الشاذلى إلى كلية القادة والأركان وأمامه ١٥٠ دارساً من أكفأ ضباط الجيش المصرى وأعضاء هيئة التدريس، وبدأ النقاش من الثامنة صباحاً حتى السابعة مساءً، واستكملنا النقاش فى يومين، ويمكن القول: إن هذا التوجيه فى النهاية كان يتضمن الخطة التفصيلية لعبور القوات، بدءاً من عدد الجنود فى كل قارب، وتسليح كل جندى، وحجم الذخيرة التى يحملها، سواء لنفسه، أو للقوات المعاونة، ووصل الأمر إلى توقيت دخول معدات العبور لمنطقة القناة ابتداءً من القوارب المطاطية، إلى معدات الكبارى، وأسلوب حمايتها، ومواقع مولدات الدخان، والدفاع الجوى، إلخ، المهم أن ذلك التوجيه ركز على كل التفاصيل الدقيقة للغاية، ولم يترك للقادة، إلا التنفيذ الدقيق.

كما تناول «التوجيه ٤١»، علاوة على ما سبق، أساليب مهاجمة نقاط خط

بارليف، ومجموعات فتح الثغرات فى الساتر الترابى، وعمل مجموعات إغلاق أنابيب النابالم، وتوقيت وأسلوب دفع مجموعات المفارز المصرية المتقدمة التى ستحتل مصاطب الدبابات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة لمنعها من التدخل ضد قوات العبور، ثم عمل مجموعات الدخان لعمل ستائر تعمية فى مناطق المعابر.

كما ركز «التوجيه ٤١» على توقيتات عبور القادة على جميع المستويات، اعتباراً من قادة فصائل المشاة، مع الموجات الأولى للعبور، وقادة السرايا، وقادة الكتائب، كما اشتمل التوجيه ٤١ على تصميم سترة خاصة لكل جندى، يرتديها لتناسب ما يحمله من الأسلحة والذخائر والألغام، سواء كانت له، أو لسلاح معاون آخر سيحمل له ذخيرته، وبالتالى تم حساب الذخائر المطلوبة للمعركة حتى صباح اليوم التالى بعد بناء الكبارى ووصول العربات المحملة بالذخائر، ولم ينس التخطيط فى التوجيه ٤١ دور الخدمات الطبية ضمن موجات العبور، لتقديم المعاونة الطبية خلال مراحل القتال، كما ضمت موجات العبور ضباط الملاحظة وإدارة النيران للمدفعية، التى لم تكن قد بدأ عبورها بعد، كما تم التخطيط لدفع مجموعات من حاملى الصواريخ سام ٧ المحمولة على الكتف، للتعامل مع الطيران الإسرائيلى عند مهاجمته لقوات العبور على ارتفاع منخفض متجنباً حائط الصواريخ المصرى، ورغم أنه لم يحدث اقتراب للطائرات الإسرائيلية أو تدخلها ضد قوات العبور، فإن التخطيط كان لمجابهة كل التوقعات.

ويمكن القول: إن هذه المناقشات كانت تفصيلية إلى أكبر درجة ممكنة، وأدارها بالكامل الفريق سعد الشاذلى الذى كان ملماً بكل التفاصيل الدقيقة، وسمح بنقاش ديموقراطى، علمى، عسكرى، ميدانى، أتاح لكل الأطراف عرض رأيها، دون رهبة، أو خوف، فالكل كان يعلم أن مصر هى الهدف، ولذلك كان هذا اللقاء مع طلبة كلية أركان حرب بمثابة المراجعة النهائية للخطة التفصيلية للعبور. وقد تم إصدار «التوجيه ٤١» بعدها فى خطط تفصيلية للقوات المشتركة فى عبور القناة.

وهكذا جرب الشاذلى خطته العامة وسط أبنائه الضباط لكى يعرف كيف يطور خطته السرية، وهكذا كان الشاذلى سر أسرار نجاح حرب أكتوبر ومهندسها الأول.

15

عندما اكتمل لحن الأوركسترا !!

لا يحب الشاذلى أن ينسب كل شىء فى حرب أكتوبر لنفسه دون غيره، ويؤكد أن المشاريع الاستراتيجية للعبور كانت قد بدأت من عام ١٩٦٨ أيام الفريق فوزى وزير الحربية.. وهو ما سوف نسمعه فى اعترافات فوزى لاحقًا..

استمر التدريب على المشاريع ثلاثة أعوام، تولى بعدها الشاذلى رئاسة الأركان وعند ذلك يقول: كانت المشاريع تعتمد على تحرير سيناء فى ١٣ يوما، وعندما تسلمت مهام المسئولية رأيت أن هذا الكلام لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع، ولا يتناسب مع الإمكانات الفعلية لقواتنا المسلحة فى هذا الوقت.. وبدأت أفكر فى خطة هجومية فى حدود الإمكانات بحيث نعبر القناة لمسافة ١٠:١٢ كيلومتراً فقط تحت حماية مظلة الدفاع الجوى ثم جاء الفريق صادق كوزير حربية، واختلف معى فى هذا، وكانت خطتى معروفة بـ«المآذن العالية» والمشكلة هنا كيف توفق بين الجندى والسلاح المتطور.. وفى أى فترة زمنية يمكن أن يتحقق ذلك والوضع لا يحتمل التأجيل.. وكلية الطيران مثلاً تقوم بتخريج عدد محدود كل عام.

ونقاط الضعف فى إسرائيل قلة العدد.. وبالتالى عدم قدرتها على خوض حرب طويلة الأجل.. لأنها تعتمد فى تعبئة الجيش على ١٨٪ من الشعب الإسرائيلى.

ووقف السادات كرئيس للدولة وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة يتابع الخلافات فى وجهات النظر، مجموعة تصر على عدم خوض الحرب إلا بعد تجهيز أنفسنا، وأنا فى الجانب الأخر أرى أن نخوضها بما نملك، ونفرض ذلك على عدو اعتمد على أقوى ما عنده.. وأضغط على أضعف ما عندنا.. وكان سلاحى الحاسم أن أحرمه من استخدام مزاياه.. وعلى سبيل المثال إذا خاض العدو معركة بالدبابات يمكن لطيرانه أن يغطيه فى دقائق معدودة، بينما الحال عندنا مختلف تماماً.. لأن استخدامه لابد أن يتم بموافقة القيادة العليا لأن قوتنا الجوية محدودة..

الشاهد على ذلك هذا المؤتمر أو الاجتماع الذى عُقد باستراحة السادات فى القناطر الخيرية بحضور كبار قادة الجيش لكن من لهم حق الكلام ثلاثة فقط.. وإن هناك ما يخص قادة الأسلحة تكلموا فى شأنهم، وفى هذا اليوم لم يحضر قائد سلاح الجو حسنى مبارك لسبب غير معروف، ويومها حضر نائبه اللواء المسيرى، وأكد على صحة رأى الشاذلى بخصوص جاهزية واستعداد القوات الجوية..

وكان السادات يتحدث بطريقة إنشائية أو بالبلدى يمسك العصا من المنتصف، وأحيانا يمزح حتى أنه قال للمسيرى: إذا لم تنجح سوف أعلقك على الشجرة..

وجاء أحمد إسماعيل كوزير حربية وبذلك أخذ الخلاف دائرة أوسع نظرا لأننى على المستوى الشخصى مختلف معه بسبب ما جرى فى الماضى وتحديداً فى الكونغو و«النفوس شايلة».

كانت خطة الوصول إلى المضايق معروفة بـ«التوجيه ٤١» أو الخطة «غرانيت» وهى المعلنة والتى تم إبلاغ روسيا بها وعند خروج الروس بدأ الاعتماد على الطيارين المصريين.

ونفس الخطة تقريباً تم عرضها على السوريين لإقناعهم بدخول الحرب مع مصر بناء على حوار جرى مع أحمد إسماعيل..لكنها عندهم على مرجعيتين الأولى تتمثل فى العبور والثانية فى الوصول إلى المضايق..

وبدأت النية تتجه فى القيادة لتنفيذ الجزء الأول من الخطة، وقد أيد السادات ذلك ويؤيد كلامى هذا أبوغزالة وحافظ إسماعيل فى مذكراته، وأكدوا أن الخطة تعتمد على العبور لمسافة ١٠:١٢ كيلومتراً خططت لها.

ويفسر الشاذلى سبب رفض السوريين للحرب مع المصريين.. وهو المعروف بتوجهه القومى العربى وقناعته بالوحدة.. فيقول:

المسألة أن مشاركة سوريا سوف تؤدى إلى كشف أجناب الجيش المصرى، الأمر الذى يمنح الطيران والدبابات الإسرائيلية أن تظهر تفوقها.. وإذا ضربت الأجناب استطاعت أن تصل إلى مؤخرة الجيش أيضا.

وقد سافر أحمد إسماعيل إلى سوريا يومى ٣و٤ أكتوبر لوضع اللمسات

الأخيـرة والتنسيق مع الأشقـاء هنـاك وكـانت هنـاك، فكرة بدخول الأردن إلى المعركة، ولكن لأسباب سياسية تم إبعادها أو رفضها..

وحتى هذا الوقت لم يكن هناك من يعرف التوقيت النهائى لساعة الصفر. كنا نفكر فى آخر ضوء ليلا، وفى سوريا يفكرون فى ساعة الفجر مع أول ضوء، ومع ذلك تم إرسال اللواء نوفل إلى الأردن لإخبارهم باحتمال وقوع الحرب خلال الأيام المقبلة دون تفاصيل أكثر من ذلك..

وقد جاء اختيار يوم ٦ أكتوبر بعد حسابات ودراسات للمد والجزر فى قناة السويس، وكذلك الليالى القمرية، وتمت مناقشة ذلك مع القيادات السورية فى اجتماع عُقد فى ٢١ أغسطس ١٩٧٣ وجرى ذلك فى زيارة سرية لمصر قام بها الرئيس السورى حافظ الأسد مع وزير دفاعه وقادة الأسلحة، وكان دور اللواء نوفل التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية.. وتم وضع عدة أيام مناسبة أمام قيادة البلدين لاختيار الموعد النهائى وأذكر من هذه الأيام الفترة من ٥ إلى١٢ أكتوبر، أو ٧ إلى ١١ أو ١٢ سبتمبر على أن يتم إخطار القيادة العسكرية قبلها بـ١٥يوما، وكل هذا يجب، مراعاة السرية التامة فيه.. وقد تم عمل محضر رسمى من صورتين بهذا الكلام وقع عليه رئيس الأركان المصرى ونظيره السورى يوسف شكور وتم رفعه إلى السادات والأسد ورجحت كفة أكتوبر لأن بها عدة أعياد لليهود منها يوم الغفران الذى يصادف ٦ أكتوبر.. وأصبح جيشنا جاهزاً تماماً..

وعندما سأل الاعلامى أحمد منصور ضيفه الفريق الشاذلى فى برنامج «شاهد على العصر» عن تفاصيل يوم ٦ أكتوبر فى حياة رئيس أركان الجيش وصاحب خطة العبور كانت إجابته بسيطة وتكشف عن الثقة بالله وبالرجال وقال:

كل شىء قد تم إعداده إلا أنك تتابع ما خططت له وكيف يتم على أرض الواقع. قبلها وتحديداً يوم ٥ أكتوبر «يوم جمعة» اتجه الشاذلى إلى الجيش الثانى وأيضا الثالث لتفقد الأوضاع، والتقى هناك باللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ووجده يقرأ خطبة حماسية كان يعدها ليلقيها على رجال الجيش، واستغرب الشاذلى وسأله كيف ستلقيها على جيشك الذى يمتد ٩ وحدات على مدى ٤٠ كيلومتراً وهل ستجمع القادة فى هذا الوقت العصيب

لأجل هذا ودارت فى ذاكرة الشاذلى صورة تجمع القادة فى ٥يونيو١٩٦٧ عندما تم ضرب مطار فايد أمام أعينهم، وقد ذهبوا إلى هناك للاجتماع بالقائد العام للجيش المشير عبدالحكيم عامر.. وكانت النكسة..

وسألنى: ماذا أفعل؟

وبدون تفكير قلت له: يكفى جداً أن يقولوا الله أكبر.. بحيث نجمع الأفراد وعلى كل كيلو متر من قطاع المواجهة نضع فردين معهما ميكروفونات.. يقولان الله أكبر والكل يردد خلفهما؛ وبذلك نغطى مسافة الـ٤٠كيلو متراً كلها، لأن العدو لا يمكن أن يخترق كل هذه المسافة مرة واحدة..

«الله أكبر» أقصر خطبة..و أقوى خطبة، يقولها المسلم ويقولها المسيحى، وكانت المشكلة فى الميكروفونات وعلى الفور اتصلت بمدير التوجيه المعنوى، وطلبت منه أن يؤجرها وحسبتها بالمسافة وعممت المسألة على الجيش الثانى أيضاً وأبلغت مدير التوجيه بضرورة الاتصال، بى للتأكد من تنفيذ هذا الأمر.. وكانت «الله أكبر» هى المدخل الرئيسى للمعركة وظل الجميع يرددها طوال فترة الحرب.

وقفة مع السادات

يحكى السادات فى كتابه «البحث عن الذات» عن ساعات ما قبل الحرب فيقول: استدعيت السفير السوفييتى فى مصر، وأخبرته بأننا وسوريا سندخل الحرب، والمطلوب معرفة موقف بلادك بشكل واضح..

واتفقت مع الأسد أن يستدعى السفير الروسى فى دمشق يوم ٤ أكتوبر ويبلغه بأمر المعركة لأن علاقة السادات بروسيا كانت سيئة بعد طرده للخبراء الروس.. وفى اليوم التالى طلب السفير السوفييتى مقابلة السادات وكانت المفاجأة أنه طلب الموافقة على إرسال ٤ طائرات لنقل العائلات الروسية الموجودة فى مصر وهم من كانوا يعملون فى المصانع المدنية: وطلبوا أن يتم سفرهم من مطار حربى.. ولم يتلق السادات رداً على سؤاله الأهم: ما موقف الاتحاد السوفييتى فى حالة الحرب؟

وقد رصد الإسرائيليون الطائرات الروسية واعتقدوا أنها تحمل إمدادات إلى مصر وكذلك فى سوريا، لأن الأمر نفسه تكرر هناك.

فى يوم ٨ رمضان انتقل السادات إلى قصر الطاهرة حيث تم تجهيزه كمركز للعمليات.. يقول السادات:

كنت فى أقصى درجات السلام الروحى بعد صلاة الجمعة، وأنا أدنو إلى الغد موعد المعركة لم يكن يشغلنى سوى بعض التفاصيل التى لم تكن إلا مجرد رتوش حول المعركة.. ولذلك عندما استيقظت فى الصباح قمت بالتدريبات الرياضية اللازمة وسرت على برنامجى اليومى كالعادة، وكان عقلى فى منتهى النشاط وفى الساعة الواحدة من ظهر السبت ٦ أكتوبر حضر المشير أحمد إسماعيل حسب اتفاقنا، وركبنا العربة الجيب الخاصة بالجيش وكنت أرتدى الزى العسكرى، وتوجهنا إلى غرفة العمليات حيث جلست فى مكانى، والقائد العام عن يمينى وكانت التعليمات أن الجميع يجب ألا يلتزموا بالصيام.. وأصدر أحد المشايخ فتوى بذلك وكنت أتصور أن القادة قد نفذوها وسألتهم:

أنتم ما بتدخنوش ليه؟ ليه مابتشربوش سجاير! العملية عايزة انتباه، ولاحظت عليهم حرجاً شديداً فطلبت الشاى لنفسى، وأشعلت غليونى، وأخذت أدخن، وعلى الفور فعلوا مثلى وفى الساعة الثانية تماما وهى إشارة عبور الطيران وصل الخبر بأن طائراتنا قد عبرت قناة السويس وكانت ٢٢٢طائرة نفاثة سرعتها فوق سرعة الصوت، وانتهت من ضربتها الأولى فى ثلث ساعة بالضبط، فقدنا فيها خمس طائرات فقط، كما فقدت فى اللحظات الأولى من الحرب أخى الطيار الشهيد عاطف الذى كان فى منزلة ابنى فقد ربيته ولكنهم أخفوا علىَّ حينذاك نبأ استشهاده ونجحت ضربة الطيران نجاحاً كاملاً ومذهلاً حسب لنا فى المقام الأول وبنسبة نجاح فاقت التسعين فى المائة وبخسائر لم تزد على ٢٪ وأدهشت العالم كله!

هذه رواية السادات فماذا عن رواية الشاذلى؟!

16

اليوم.. يوم الملحمة!

«كان كل شيء في صبيحة يوم السادس من أكتوبر كما خططنا له.. كنت أشعر بالارتياح وسلمنا أمرنا لله سبحانه وتعالى بعد أن قمنا بواجبنا البشرى بأقصى ما نستطيع».

هذه هى كلمات الفريق الشاذلى عن اللحظات القليلة قبل الحرب.. وقد طاف على القوات وعند نقطة مراقبة خاصة للجيش الثالث فى الإسماعيلية، كانت المسافة بينه وبين العدو ١٨٠ متراً هى عرض قناة السويس، أمسك بنظارة مقربة ورأى أن الحركة على الجانب الآخر، عادية تماماً.. علم الجنود بميعاد الحرب قبلها بساعات، وقد تمت إعادة التكليفات عليهم، ومع ذلك كان الشعور بالقلق حاضراً رغم الثقة واليقين بأن نصر الله آتٍ.

«والقلق الإيجابى يدفع المرء للمزيد من الإجادة والجهد، ولا أنكر أننى فكرت ليلة ٦ أكتوبر فى سيناريو لجميع الاحتمالات.. لكن سيناريو النصر كان الأعلى صوتاً فى داخلى.. والحمد لله صدق هذا التوقع، وجاءت الخسائر مع الانطلاقة الأولى أقل كثيراً مما توقعناها.

الآن أتحدث إليكم من قيادة العمليات أو المركز رقم ١٠ هى غرفة فيها طاولة كبيرة مساحتها نحو ٩٠ متراً مربعًا عليها ٣ مقاعد رئيسية، يجلس عليها رئيس الجمهورية، وعن يمينه القائد العام وزير الحربية، وعن يساره رئيس الأركان.. وهناك طاولة أخرى على شكل حرف (L) يجلس عليها رئيس هيئة العمليات، وهناك طاولة عليها خرائط وعليها الخطة وفى المواجهة شاشة توضح حركة الطيران المصرى.. وطيران العدو وحول الغرفة الرئيسية للعمليات عدة غرف، يوجد بها ضباط لهم اتصالات مباشرة بقادة الجيوش. وبكل أجهزة القيادة العامة بحيث إن كل شىء يحدث يتم تبليغه.. باختصار غرفة العمليات هى مركز متصل بجميع قيادات وأفرع الجيش، ولأن الخطة كانت واضحة ومتفقاً عليها فلم تصدر عن غرفة العمليات طوال الـ٢٤ساعة

أى أوامر.. كما لو كنا فى طابور تدريب تكتيكى بفضل التخطيط التفصيلى بجدول زمنى محدد.. كانت الأوامر تمضى من الأعلى إلى الذى يليه، ثم الذى يليه حتى أصغر جندى، وكل إنسان يلعب دوره بإتقان تماما مثل الأوركسترا والعزف متناغم تماماً.. كنا نتوقع أن نزيل الساتر الترابى فى فترة زمنية من ٥:٧ ساعات، وتمت قبل ذلك ونشر الكبارى فى زمن ٦:٨ ساعات، وحدث فى زمن أقل.. عند الثانية وخمس دقائق انطلقت الطائرات مع المدفعية والمشاة وسلاح المهندسين كل فى توقيته..»

ويؤكد الشاذلى أن مسألة بناء الكبارى هى أشد ما كان يقلقه.. لكن بعد نصبها سوف يتغير الوضع، لأن ذلك معناه التعرض للهجوم المضاد.. وحقيقة خط بارليف أنه يمثل شبكة دفاع إسرائيلية بعمق ٢٠ كيلو متراً لكنه فى حقيقة الأمر مجموعة خطوط متتابعة؛ الخط الأول ملاصق للقناة مباشرة وخلف هذا الخط بنحو ٥:٨ كيلومترات سنجد الخط التالى وبه ١٢٠ دبابة موزعة فى نقاط عديدة بمعدل ٤٠ دبابة فى كل نقطة، وخلف هذا الخط سنجد المحور الثالث وبه ٨٠ دبابة، أى أن بارليف مجموعة خطوط متتالية.. وأنت إذا اقتحمت الخط الأول قابلك الثانى، وهكذا مع ملاحظة أن الخط الثانى سوف يتقدم نحو الأول عند هجومه، وأضف إلى ذلك أن عدد حصون بارليف كانت ٣٥ حصناً على مساحة ١٦٠ كيلو متراً.. موزعة على فراغات فيها دبابات.

إلى الجبهة

فى يوم ٨ أكتوبر انتقل الشاذلى إلى الجبهة، ووجد فرحة عارمة بين الجنود والضباط بما تحقق، وقد عادت الثقة إلى الجميع، وأحاط الجميع بالشاذلى يهتفون باسم «التوجيه ٤١» أو الخطة التى تم بها العبور، ومع ذلك لم تكن الجبهة قد استقرت بعد.. فبعض الحصون لم تسقط بعد وكانت الخطة التى تم تنفيذها على أرض الواقع هى «المآذن العالية».

لكن مع الوصول إلى يوم ١٣ أكتوبر بدأت الأصوات ترتفع بتطوير الهجوم لتخفيف الهجوم على الجبهة السورية.

وهنا يعود الشاذلى بالذاكرة إلى مقر الجامعة العربية، وتحديداً فى نوفمبر

١٩٧١، حيث كان يرأس اجتماع مجلس الدفاع العربى المشترك الذى يتكون من وزراء الدفاع ووزراء الخارجية فى الدول العربية، وحضره الشاذلى بصفته رئيس الأركان وسكرتير المجلس الذى عرض عليهم الخطط العسكرية وأمامهم جميعا قال: ليكن معلوماً لدى الجميع أنه نظراً للوضع المركزى الذى تتمتع به إسرائيل، ونظراً لتفوقها الساحق فى الطيران فلا الجبهة المصرية تستطيع أن تخفف الضغط عن الجبهة السورية ولا العكس فيما لو حدث وركز العدو على إحدى الجبهتين.. لذلك أطالب بأن تكون كل جبهة لها القدرة على الصد.. وهو يختلف عن الهجوم.. فعملية الصد معناها أنك تمنعه من القصف؛ أى أن رأيى معروف مسبقاً قبل أن تحدث الثغرة بعامين وقلت هذا فى اجتماع رسمى موثق.. أى أن مسألة تطوير الهجوم محسومة قبلها تماماً، وكان وزراء الخارجية فى غاية الاقتناع وفى عام ٧٣ كنت واثقاً من قدرة الجبهة المصرية على صد الهجوم.. لكنى بالنسبة للجبهة السورية لم أكن كذلك، وقلت لهم يجب تدعيم الجانب السورى بكذا وكذا، بمعلومات عملية ثابتة.. وقد نجحت الخطة فى مرحلتها الأولى بشكل باهر.. وكان فى تصورى أن تثبيت الوضع لمدة ستة أشهر كانت كفيلة بأن يأتى العدو راكعاً أمامنا لأسباب ذكرتها من قبل، منها عدم قدرته البشرية على الحرب الطويلة، وكنت أشبه ذلك بسقوط إسرائيل مثل الثمرة العفنة من الشجرة!

صاحب الفكرة

هل كان السادات هو صاحب فكرة تطوير الهجوم؟!.... الشاذلى يؤكد أن المشير أحمد إسماعيل هو الذى طرحها صبيحة يوم ١٢أكتوبر، وناقشته ـ والكلام للشاذلى ـ بكل موضوعية كما ذكرت من قبل، ونقطة الضعف هى القوات الجوية.

لقد نجحت فى أكتوبر لأن الخطة واقعية فى حدود قوتى، وبالتالى كان تطوير الهجوم أن أعطى الفرصة للعدو أن يدمرنى مع استحالة نقل معدات الدفاع الجوى إلى الشاطئ الغربى، حتى يمكن أن تمتد مظلة الحماية لأكثر من ١٢ كيلو متراً.. لأنها أسلحة ثقيلة مثبتة على مواقع خرسانة، مع وجود معدات دفاع جوى متحركة على شاسيه الدبابة لكن التفوق سيكون للطيران حتماً.

وفى يوم ١٠ كان مقررًا أن يتحرك اللواء الأول مشاة من منطقة الجيش الثالث بعد آخر ضوء ناحية الجنوب، حيث يكون تأثير الطيران ضعيفا ومهمته أن يحتل الساتر.. فقام قائد اللواء بمبادرة منه حتى يستغل الضوء فتحرك قبل الغروب بساعتين عن الموعد المحدد ورصده العدو وانهال ضرباً عليه وكانت النتيجة تشتيت قوة اللواء.. إلا أننا امتلكنا تجربة عملية لمحاولة الخروج عن مظلة الدفاع الجوى، ومع ذلك كلمنى أحمد إسماعيل طالباً تطوير الهجوم، وأعدت عليه ما قلته وزدت على ذلك الدرس الذى حدث للواء المشاة.. وصمت إسماعيل لفترة ظننت فيها أنه اقتنع بكلامى لكنه بعد ساعات كرر طلبه، مؤكداً أن تطوير الهجوم قرار سياسى، ولكم أن يتصور العقلاء كيف يكون حالى وأنا أصرخ فى البرية بالأدلة والبراهين.

وكان أمامى خياران، أحلاهما مر؛ إما أن ينفذ القرار السياسى بتطوير الهجوم.. وإما الاقتناع أو الاستقالة.. ومع ذلك كان مستحيلاً بالنسبة لى أن أرى قواتنا يتم تدميرها بهذا الأسلوب، وكأننا نقدم للعدو هدية مجانية من أرواح ومعدات وأسلحة جيشنا.. ومع ذلك فى العسكرية القرار يتحمله القائد العام وقبله القائد الأعلى وهو رئيس الجمهورية الذى يصدر الأمر السياسى لكى يتم تنفيذه عسكرياً على مسئولية وزير الحربية.. تلك هى تقاليد الجيش، تكلم فى المناقشات كما تريد لكن عند التنفيذ الأمر للقائد الذى يسبقك.. لذلك فإن مسئولية الثغرة يتحملها السادات أولاً مع أحمد إسماعيل. حتى خطة تطوير الهجوم اختلفت عما كنت قد أعددته، وخططت له بحسابات دقيقة للغاية وبدأت أنفذ الأوامر دون اقتناع، وجاء الاعتراض سريعاً من قائدى الجيش الثانى والثالث عبدالمنعم واصل وسعد مأمون، وحاولت استثمار هذا الرفض لدعم موقفى والتقيت مع أحمد إسماعيل قلت له: «واصل ومأمون يعتبران تنفيذ خطة تطوير الهجوم من المستحيلات!! والفشل هو المصير المنتظر..»، وطلبت إحضارهما للاستماع إليهما.. وحضرا بالفعل وعقدنا اجتماعاً ضم قائد الجيش الثانى وقائد الجيش الثالث ورئيس الأركان والقائد العام ووزير الحربية، واستمر الاجتماع ٦ساعات كاملة، وكنا ندور فى دائرة مغلقة.. وهنا يظهر لماذا استدعى السادات أحمد إسماعيل

من المعـاش لكى يكون وزيراً للحـربيـة.. إنه الولاء المطلق من العـسكرى للسـياسى.. من إسمـاعيل للسـادات وبدلا من أن يكون بصفـته القائد العام المصدر الأول لإصدار القرارات أصبح الجهة الأولى لتنفيذ الأوامر.

ووقع المحظور وتم تنفيـذ الأمـر بغيـر اقـتناع من ثلاثة قـادة، رئيس الأركان وقائدى الجيش الثانى والثالث ووقعت الكارثة.. وطالبت بعد ذلك بعمل لجنة تحقيق على غرار ما جرى فى إسرائيل والمعروفة بلجنة «اجرانات» ونضع كل مسئول أمام مسئولياته ومحاكمته على ما جرى. فمن الممكن أن تقع الخسائر فى الحروب هذا أمر وارد، لكن أن تقع الخسائر وأنت تعرف مقدماً.. هذا هو التهاون والتخاذل بعينه.. وقد ذكر السادات فى كتابه «البحث عن الذات» أنه كلفنى يوم ١٦ بتطويق الثغرة، وحصر الإسرائيليين فى البحيرات المرة والقضاء عليهم.. ولكنى تخاذلت وقضيت الليل فى جمع المعلومات إلى أن تمكن الإسرائيليون من الدخول حتى وقعت الثغرة، فالسادات عنده قناعة بأن الثغرة لم تحدث نتيجة لتطوير الهجوم، ولكنها وقعت بسبب تباطؤنا.

ولو افترضنا صدق السادات لأننى لم أذهب إلى الجبهة يوم ١٦، وقال إننى عدت يوم ١٩ والحقيقة أننى رجعت يوم ١٦، وقال أيضاً إننى رجعت منهاراً وإننى قمت بتضخيم الحدث وسعيت إلى إحباط الخطة التى عارضها.

وحقيقة الأمر أن الثغرة وقعت يوم ١٦ وكان يمكن القضاء عليها بمنتهى السهولة.. لكن اختلف الحال تماما يوم ١٨!

17

الحقائق تعلن عن نفسها!

ذهب الشاذلى يوم ١٨ أكتوبر إلى مقر قيادة الجيش الثانى، ولم يذهب يوم ١٦ كما جاء على لسان السادات فى كتاب «البحث عن الذات».. المهم أنه فى يوم ١٨ كان للعدو خمسة ألوية مدرعة قرب القناة، ولا يوجد فى مواجهتهم سوى لواء مظلات و٤ كتائب صاعقة حتى الكيلو ١٠١ طريق مصر ــ السويس..

ولما وجدت القيادة الإسرائيلية أن الطريق أمامهم سهل زادت عدد الألوية المدرعة إلى سبعة، وكان الأمر عسكرياً يحتاج إلى مناورة بالقوات بتبديل أماكنها، والواضح أن السادات هو الذى يدير الحرب نظراً لضعف شخصية إسماعيل ..

كان تطوير الهجوم يعتمد على دفع الفرقة ٢١ والفرقة الرابعة المدرعة من غرب القناة إلى الشرق، واعتمدوا فى الهجوم على ٤٠٠ دبابة فى مواجهة ٩٠٠ دبابة للعدو، بالإضافة إلى التفوق الجوى.. ونحن لا نملك القوة الجوية أو الدفاع الجوى فكيف تنجح هجومياً وسط هذه الظروف التى تؤكد الفشل، وخسرنا فى هذا اليوم ٢٥٠ دبابة، وعادت قواتنا رغم أنفها إلى رءوس الكبارى... فهل خففنا الضغط؟

طبعا لم يحدث وكنا نتحرك بـ٤ ألوية مقابل ٨ للعدو ..فكيف نتعامل معه؟!

على الجانب الآخر ألقى السادات بالمسئولية على أكتاف الشاذلى، وحاول التهوين مما حدث وقال فى مذكراته:

«طلب منى أحمد إسماعيل فى منتصف ليلة ١٩أكتوبر أن أذهب إلى القيادة بصفتى القائد الأعلى لأتخذ قراراً مهماً.. وذهبت واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة فى شرق القناة، وعندنا ١٢٠٠دبابة فى الشرق أيضاً، أما فى الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه إسرائيل، وفى القاهرة فرقة يمكن سحبها، هذا غير الحرس الجمهورى الخاص بى والذى أدخلته الحرب وقاتل قتالاً مجيداً، وعاد كاملاً بكل دباباته..

وبعدما اتضح الموقف جمعت القادة كلهم، وكان معى الفريق أحمد إسماعيل والفريق الجمسى مدير العمليات، والفريق حسنى مبارك والفريق محمد على فهمى قائد سلاح الصواريخ، وكانوا جميعاً من رأيى، وهو أنه لم يحدث شىء يستدعى القلق فأعطيت الأمر الذى أعتبره أهم من قرار ٦ أكتوبر بألا ينسحب جندى واحد ولا بندقية واحدة ولا أى شىء على الإطلاق من شرق القناة، وأنه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة، ثم بدأت أتصل بنفسى مع الفرقة المدرعة فى الغرب. وكان يقودها ضابط اسمه قابيل، وهو بطل من أبطال أكتوبر وقلت له: ثبت الإسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنون من التوسع، وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصلك الإمدادات، وفى هذه الليلة أعطيت تعليماتى إلى أحمد إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا، أو عند الإسرائيليين وفى العملية نفسها استدعيت الجمسى وعينته رئيساً للأركان.

لنسمع الجمسى

الأفضل، وقد جاء ذكر المشير الجمسى، أن نستمع إلى أقواله التى سجلها فى كتابه «حرب أكتوبر» حيث يقول أولاً عن المشاركة العربية فى الحرب:

«يوم ١٠ أكتوبر أرسل العراق بالفرقة الثالثة المدرعة إلى سوريا، وفى الوقت نفسه أعلن الأردن التعبئة العامة لخدمة المجهود الحربى وخصص لواء مدرعاً للاشتراك فى القتال بالجبهة السورية، وفى اليوم التالى قررت السعودية إرسال لواء مشاة إلى الأردن لدعم موقفه، وعند يوم ١٣ تحرك اللواء المدرع الأردنى فى اتجاه سوريا؛ وبالتالى توقف الهجوم الإسرائيلى على سوريا.

ومعنى هذا أن المبرر الذى يقول إن تطوير الهجوم سببه تخفيف الضغط على سوريا غير صحيح، وبالتالى فإن عملية تطوير الهجوم هذه تمت لأسباب أخرى غير التى ذكرها إسماعيل والسادات.

وهو كلام يصب فى اتجاه الشاذلى ووجهة نظره، وإن كان هو شخصيا لم يفسر الموقف بهذا الدعم العربى لسوريا، كما جاء على لسان الجمسى رئيس هيئة العمليات.

كما أفاد الجمسى أن السادات صباح يوم ١٠ أكتوبر أرسل مستشار الأمن

القومى حافظ إسماعيل برسالة إلى الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا وصورة منها ذهبت إلى السفير السوفييتى فى مصر يطالب فى تلك الرسالة بوقف إطلاق النار، وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ١٩٦٧، مع حرية الملاحة فى مضايق تيران تحت إشراف الأمم المتحدة، ووضع قطاع غزة تحت إشراف دولى.. وفشلت الرسالة لكنها تكشف عن أسلوب السادات وتفكيره فى الاكتفاء بهذا القدر من الحرب، وهو فى قمة انتصاره ثم تحويل الورقة العسكرية إلى ورقة سياسية.. فهل اضطر إلى تطوير الهجوم بعد رفض اقتراحه!!

ونقفز إلى ما ذكره الجمسى تحت عنوان «توقيت تطوير الهجوم» وقال: هنا استثمر العدو الوقفة التعبوية ودعم قواته، وانتقد الجمسى طول فترة الانتظار أكثر مما ينبغى بين المرحلة الأولى والثانية من الخطة.

لكن الجمسى يعود ويعترف بأن العدو غير من أسلوبه التكتيكى، وتطور الموقف ليصبح فى صالح إسرائيل ابتداء من يوم ١٠ وهو ما يناقض كلامه هو نفسه؛ لأن تأثير الدعم العربى من العراق والأردن والسعودية لصالح سوريا.

وفى صباح ١٢ أكتوبر أصدر أحمد إسماعيل أوامره بتطوير الهجوم صباح اليوم التالى (١٣) مع التمسك برءوس الكبارى، وبناء على طلب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وبعد استدعائهما إلى مركز عمليات القوات المسلحة ومقابلة القائد العام يوم ١٣ الأمر الذى ترتب عليه تأجيل عملية تطوير الهجوم لتكون يوم١٤.

ويعود الجمسى فى مذكراته لكى يستشهد بما جاء فى مذكرات الشاذلى، وكأنه يبرئ ذمته تماما.. والجمسى له موقف يستحق أن نحكيه هنا.. فقد تم اتهام الشاذلى عند نشر مذكراته بأنه أذاع أسراراً عسكرية، وحكمت عليه المحكمة العسكرية فى عام ١٩٨٣ (إبان حكم مبارك) بالسجن لمدة ٣ سنوات مع الأشغال الشاقة، ولكنه كان منفياً فى الجزائر بعد معارضته لاتفاقية كامب ديفيد، وظل هناك حتى عام ١٩٩٢، وكانت الأحوال قد تغيرت فى الجزائر، وأوحى إليه البعض بأن يعود إلى مصر ولا يخشى السجن.. ووثق فى هذا الكلام لأنه من داخله كان يشعر بضرورة الدفاع عن نفسه فى هذه

التهمة الباطلة، ويكفى تجاهله فى تكريم أبطال أكتوبر وهو المهندس الحقيقى للحرب.. وعاد ليجد نفسه مقبوضاً عليه وتم اقتياده إلى السجن الحربى..

وللأمانة أوصى المشير حسين طنطاوى بمعاملته على أفضل ما تكون المعاملة لبطل اختلفت معه القيادة السياسية، وتقدمت أسرته بعد ذلك بمذكرة لإلغاء الحكم، وطلبت ابنته (شهدان) من المشير الجمسى وكان متقاعداً أن يدلى بشهادته، ولكنه اعتذر لها بأن ظروفه المادية ليست على ما يرام، وأن مبارك من الممكن أن يضايقه فى معاشه الضئيل خاصة أنه رفض علاج زوجته على نفقة الدولة، وهو يعلم أن الجمسى لا يملك المال اللازم لسفرها إلى فرنسا.. ولكنه بمعاونة بعض الأصدقاء أرسلها إلى هناك، ولم يستطع أن يستمر معها توفيراً للنفقات، ولما توفيت هناك طلب من مصر للطيران أن تغير طائراتها التى تقلع من باريس مسارها لكى تحضر إلى ليون لاصطحاب جثمان رفيقته، واستجابوا له لكن مبارك هاج وماج بعد أن علم بذلك.. والواقعة رواها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى كتابة «مبارك وزمانه» ووقتها بكى الجمسى وتأثر بذلك للغاية...!!

ونعود إلى (شهدان) الابنة الكبرى للفريق الشاذلى التى انصرفت من بيت الجمسى آسفة، والتمست له العذر لكنها فوجئت فى اليوم التالى بوجوده على باب المحكمة، وقدم شهادته فى أربع ساعات كاملة، وكانت سبباً فى إلغاء الحكم على الشاذلى وإسقاط التهمة عنه..

لذلك تبدو شهادة الجمسى هنا مختلفة ومهمة جداً خاصة فى الجانب العسكرى فهو رئيس هيئة العمليات ويقول عن الشاذلى: انتشرت شائعات كثيرة تقول إننى كنت من أنصار الاندفاع السريع نحو الشرق، وراحت بعض وسائل الإعلام العالمية تنشر هذه الشائعة، ووصفونى بأننى رجل مظلى قوى وهجومى.

وقد كنت دائما ضد فكرة تطوير الهجوم نحو الشرق، سواء فى مرحلة التخطيط أو فى مرحلة إدارة العمليات الحربية.

وهنا تتطابق وجهة نظره مع الشاذلى، لكنه يعاتبه فى مودة حول اعتراض الشاذلى على تطوير الهجوم فى مرحلة التخطيط إلى قبل العبور.

ويستشهد الجمسى بحديث دار بين المشير أحمد إسماعيل والكاتب محمد حسنين هيكل ونشر بالأهرام فى ١٨نوفمبر١٩٧٣، ويستخلص منه هيكل ما يلى:

خطة الحرب لا خلاف عليها عسكرياً وسياسياً، وقد وضعت للوصول إلى المضايق كهدف نهائى للحرب.

لم تحتم هذه الخطة عمل وقفة تعبوية بعد اقتحام القناة، وإنشاء رءوس الكبارى، بل نصت على تطوير الهجوم شرقاً للاستيلاء على المضايق بعد وقفة تعبوية أو بدونها حسب الموقف، وكان تطوير الهجوم من أهم عوامل نجاحه لسرعة استغلال النجاح الذى تحقق وكلما كانت فترة الانتظار بعد إتمام المهمة مباشرة يوم ١٩أكتوبر أقصر كان ذلك أفضل بكثير.

لقد كان القائد العام أحمد إسماعيل حذراً أكثر مما يجب، وأبطأ مما يجب؛ الأمر الذى دعاه إلى الانتظار الطويل من يوم ١٠ إلى ١٣أكتوبر، وكان يرى كما قال «علىّ ألا أغامر» وكان عليه بعد ذلك أن يغامر بعد أن ضاعت منا فرصة استغلال النجاح بسرعة لتحقيق هدف استراتيجى..

يقع عبء إدارة العمليات الحربية لتنفيذ الخطة على القيادة العسكرية دون تدخل من القيادة السياسية، وهو الأسلوب الصحيح لإدارة العلميات، وقد حاولت خلال الحرب معرفة مبررات البطء فى تطوير الهجوم شرقاً.

وهل هناك قيد سياسى على القائد العام للقوات المسلحة يتطلب ذلك، إلا أن الفريق أحمد إسماعيل لم يفصح لى عن هذا القيد لو كان موجوداً، ثم اتضح لى بعد أن القرار كان سياسياً..

وكلام هيكل الذى استخلصه من حديثه المطول مع إسماعيل والذى جاء فى خضم الأحداث وبعد أسابيع من حرب أكتوبر يؤكد وجهة نظر الشاذلى فى مسألة تطوير الهجوم وكيف كان القرار سياسياً، ويعكس الرأى فى مخاوف إسماعيل، وهو أيضاً ما أشار إليه الشاذلى..

وهنا يجب الوقوف أمام كلمات إسماعيل نفسه فى تصريحاته لهيكل وقد قال فيها:

كانت معركة الدبابات خارج نطاق الصواريخ، واضطر العدو إلى سحب جانب من قواته فى سوريا، واستمر طيرانه بعد أن قمنا بتطوير الهجوم، ولذلك فضلت لقواتنا أن تعود إلى رءوس الكبارى.. إلى مظلة الدفاع الجوى، وهو ما كان يقوله الشاذلى .. لكنه تحقق بعد فوات الأوان!!

18

نعم لإسرائيل.. لا لأمريكا!!

«فى يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعى بالقادة عدت إلى قصر الطاهرة، وبدأت فى الحال تنفيذ قرارى. طلبت منهم أن يستدعوا السفير السوفييتى، وإلى أن حضر كتبت برقية إلى الرئيس الأسد قلت فيها إننى قبلت وقلبى ينزف دماً مبدأ وقف إطلاق النار لأنى مستعد أن أحارب إسرائيل مهما طال الوقت لكنى غير مستعد على الإطلاق لمحاربة أمريكا

كما أننى لا أسمح بأن تدمر قواتى المسلحة مرة أخرى، أو أن يدمر شعبنا ومنشآته وفى آخر البرقية قلت له إننى مسئول عن هذا القرار، يحاسبنى عليه الشعب فى مصر وتحاسبنى عليه أمتنا العربية..». ويواصل السادات قائلاً:

وجاء السفير السوفييتى فقلت له: لقد قبلت وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية.. فى هذا الوقت كان كيسنجر فى طريقه إلى موسكو بشأن عملية وقف إطلاق النار فاستأنفت حديثى مع السفير، وقلت له: الدولتان العظميان يجب أن تضمنا وقف إطلاق النار والتنفيذ الفورى للقرار ٢٤٢، وبالفعل تقرر وقف إطلاق النار، فى السابعة مساء ٢٢ أكتوبر ويجب هنا أن أقر حقيقة للتاريخ أن قواتنا قاتلت من ١٩ إلى ٢٢ أكتوبر، قتالاً رائعاً مجيداً، وأنا أتحدى إسرائيل أن تعلن عن خسائرها الحقيقية فى الثغرة.

إنها كلمات السادات فى مذكراته... ولاحظ أنه ناور بمسألة وقف إطلاق النار يوم ١٠ أكتوبر ثم يوم ١٩ أى أنه كان يريد وفقاً لوجهة نظره السياسية أن يحافظ على انتصاره العسكرى ويستثمره سياسياً وتخرج قوات مصر بأقل خسائر ممكنة عسكرياً وأكبر المكاسب سياسياً ..وحتى نرصد حقيقة الثغرة من جميع الزوايا بما لها وما عليها..

أعود للحديث الصحفى للمشير أحمد إسماعيل مع هيكل حيث قال: «نعم لقد تضاربت الآراء حول الثغرة وفى البداية قلنا إنها سبع دبابات عبرت ثم قلنا إننا أحرقنا معظمها ثم قلنا إننا أنذرنا الباقى بالاستسلام أو الدمار، وفجأة بدأت بياناتنا تتحدث عن القتال على ضفتى قناة السويس هذا على

صعيد البيانات وكنت أحذر دائماً من البيانات المضللة وما حدث يعود إلى يوم ١٦ أكتوبر، وكنت فى مجلس الشعب وعرفت أن عناصر تسللت عبر دبابات برمائية، وكنت أعرف أن القضاء عليها ممكن جداً، والقائد المسئول عن تلك المنطقة حرك كتيبة صاعقة ولكن العدو استطاع أن يخفى دباباته المتسللة فى منطقة الثغرة وبها حدائق فاكهة ساعدته على ذلك، والعدو استمات وألقى بثقله فى الثغرة وكان على استعداد لتحمل أى خسائر لتحقيق هدفه ربما كان يريد إرغامنا على سحب قواتنا من الشرق، وذلك ما لم نكن نريده، وقد عرف بصدور قرار وقف إطلاق النار، وأراد أن يبعثر قواته فى أكبر مساحة ممكنة بأسلوب حرب العصابات والدبابات، وإننى أسلم بأن فترة الثغرة كانت غير طبيعية بالنسبة للقوات المسلحة».

عودة إلى الشاذلى

المصيبة أن رئيس الجمهورية فى بلادنا إذا قال شيئا فإن الإعلام بالتالى يصدق عليه ويعتبر ما عداه من الأكاذيب.. هكذا يقول الشاذلى ويضيف: عبرت فرقة شارون كاملة وهى مكونة من لواءين مدرعين وليس مجرد سبع دبابات كما قالوا.

لكن بطولات رجالنا كانت حاضرة فهو لم يستطع بهذه الفرقة أن يصل إلى الإسماعيلية حيث تصدى له لواء مظلات مع كتيبتى صاعقة، ونجحوا فى إيقاف فرقة مدرعة. هذه حقائق وعلامات يجب أن تكتب بأحرف من نور فى تاريخ العسكرية المصرية واذكر أن قائد المظلات هو إسماعيل عزمى.

ويطالب الشاذلى بالعودة إلى السجلات الرسمية لمركز ١٠ الخاص بالقيادة العامة والذى يتم فيه توثيق تحركات القادة.. متى وصل؟ ومتى ذهب؟ إنها الوثائق الرسمية لكل ما جرى فى ساحة المعركة.

فى يوم ٢٠ كان الوضع فى غاية السوء كما يقول الشاذلى وقتها ترك قيادة الجيش الثانى وكان العدو.. له خمسة ألوية.

واقترحت سحب أربعة ألوية من الشرق وبذلك نتفوق عددياً على العدو، لأن لنا لواءين فى الغرب ومعناه أن لنا ستة.. ومع يوم ٢١ تم حصار الجيش ولكن أحمد إسماعيل كانت لديه عقدة سحب الجيش من البر الشرقى، ولما اشتعل

خلافى معه طلبت الاحتكام إلى السادات باعتباره القائد الأعلى، وكان هدفى أن يوثق كل شىء للتاريخ وكل فرد يتحمل مسئولياته وقال السادات غير ذلك فى كتابه.. وعموماً وصل السادات فعلا نحو ١١,٣٠ مساء ودخل غرفة أحمد إسماعيل، واستمر معه فى نقاش لمدة ساعة. وللدقة يجب أن نذكر بأن مساحة الثغرة فى يوم ٢٠ كانت بعمق ٢٠:١٠ كيلو متراً ولم تصل إطلاقا إلى طريق السويس، وغير صحيح ما ذكرته بعض المصادر الصحفية حول ما جرى فى هذا اليوم لكن حقيقة الأمر أن طريق السويس، تم قطعه يوم ٢٤، وتم حصار الجيش الثالث ولذلك يتحدث السادات عن الثغرة دون تحديد دقيق للتواريخ والأيام مع أن كل لحظة لها أخبارها وأحداثها».. وكان واضحا أن السادات بدأ يتجاهل الشاذلى لمعرفته المسبقة بوجهة نظره.

المشهد هذا بحواره الذى كان بين طرفين هما أحمد إسماعيل والشاذلى له الكثير من الدلالات لأمور كثيرة تخص الشخصين والأحداث: ويجب أن نعرف أن تاريخ المشهد يعود إلى أربعة أسابيع قبل حرب أكتوبر وهذا هو نصه:

إسماعيل: أخيراً سنقوم بالحرب فإذا سارت الأمور على مايرام فإن أحدا لن يهتم بتوجيه كلمة شكر لنا. أما إذا تطورت إلى موقف سيىء فإنهم سيبحثون عن شخص يلقون عليه بالمسئولية!

سعد: أنا شخصياً لا يهمنى أن أتلقى كلمة شكر أو لا أتلقى. إن سعادتى فى إرضاء نفسى ولا أخشى كلمة لوم لأننى متيقن من ذلك بإذن الله.

المدهش فى هذا الحوار أن الشاذلى الذى كان على دراية كاملة بقوة العدو ويردد ذلك كثيراً لكنه الأشد ثقة فى الله وفى تفكيره، وكان يدرك أن الحرب مع إسرائيل تعنى الحرب مع أمريكا أيضاً؛ لأن القائد العسكرى لابد أن يكون على دراية بالأوضاع من حوله ففى مسار ٩ أكتوبر نقل كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إلى السفير الإسرائيلى قرار الرئيس الأمريكى بإرسال جميع قطع الغيار والمعدات المطلوبة وتعويض كل ما تفقده إسرائيل من طائرات ودبابات إلى جانب إرسال دبابات طراز م-٦٠ وهى الأحدث وأقيم لذلك الجسر الجوى ابتداء من ١٣ أكتوبر بأوامر من نيكسون وكانت إسرائيل قد استهلكت مخزونها الاستراتيجى من السلاح ولم تستطع طائرات الجامبو المملوكة لشركة العال الإسرائيلية أن تفى بالغرض، وتنقل الأسلحة لذلك تم

استئجار طائرات نقل مدنية إلى جزر الأزور فى المحيط الأطلسى ومنها إلى تل أبيب وتقول الأرقام:

استخدمت أمريكا لتنفيذ الجسر الجوى ٢٢٨ طائرة نقل، منها ٥١ طائرة إس٥، و١٧ من طراز إس١٤١.. ونفذت هذه الطائرات ٥٦٩ طلعة وصلت إلى إسرائيل تحمل الكميات الآتية:١٤٧ طلعة بواسطة طائرة إس ٥ ومصر نقلت ١١ ألف طن من الاحتياجات بـ ٤٢٢ طلعة بواسطة طائرات إس ١٤١ ، كما نقلت ٥ , ١١ ألف طن من العتاد الحربى.

وحدد وزير الدفاع الأمريكى عدد الطائرات التى يسمح بهبوطها فى إسرائيل فى اليوم الواحد بعدد ٢٣ طائرة كحد أقصى لاعتبارات سياسية منها ٦ طائرات إس٥ و١٧ طائرة س١٤١.

استمر الجسر الجوى لمدة ٣٣ يوما اعتباراً من ١٣ أكتوبر وحتى ١٤ نوفمبر استخدم فيه نحو ٢٤ فى المائة من حجم طائرات النقل التابعة لقيادة النقل الجوى فى اليوم الواحد طوال مدة عمل الجسر.

تمكن الجسر الجوى من نقل ٤٧٩ , ٢٢ ألف طن من الأسلحة والمعدات والذخيرة إلى إسرائيل.

إلى جانب الجسر الجوى أنشأت أمريكا جسراً بحرياً يوم ٢ نوفمبر بحمولة ٢١٠.٢٣ ألف طن من الدبابات والمدافع والعربات وبلغ إجمالى ما تم نقله ٧٤ فى المائة من خطة الإمدادات وقد تكلف الجسر الجوى ٥.٨٨ مليون دولار وبلغت الإمدادات ذروتها أيام ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ أكتوبر لدعم الثغرة ومن دون ذلك ما أمكن لإسرائيل أن تحقق نجاحاً يذكر فى الثغرة.. والأرقام سالفة الذكر نشرها الجمسى فى مذكراته، مستنداً إلى تقرير مراقب عام الدولة الأمريكى.

وعلى الجانب الآخر يعرض الشاذلى فاتورة الدعم العربى لمصر وسوريا فى الحرب بشىء من التفصيل، وقد تصدرت العراق الدول العربية التى قدمت لمصر عدة أسلحة قبل الحرب تمثلت فى سرب طائرات «هوكوهنتر» وفرقة مدرعات وفرقة مشاة كما بعثت بسربى طيارات على الجبهة السورية أما الجزائر فقدمت إلى مصر سرب ميغ ٢١ وآخر سوخوى وثالث ميغ ١٧. أما ليبيا فقدمت سربى ميراج أحدهما يقوده طيارون ليبيون والآخر يقوده

طيارون مصريون، كما قدمت السعودية معدات وطائرات وذخيرة وكذلك فعلت المغرب وشارك لواء سودانى فى الحرب.

ولو تمت مقارنة المدد الأمريكى بالمدد العربى سنجد أن المقارنة ليست منصفة.. ومع ذلك كانت الثقة هى النقطة الفاصلة فى العقيدة القتالية التى حاول الشاذلى أن يبثها فى روح جنوده وضباطه، وقد بلغ بهم اليأس مداه بعد النكسة لاسترداد الأرض، وتلقين العدو المتغطرس درساً من خير أجناد الأرض وقد أصابه الغرور بتلك الحرب التى كسبها عام ١٩٦٧ بدون نزال أو تنافس ميدانى حقيقى.. فهل يعقل بعد ذلك أن يقول أحمد إسماعيل وهو على فراش المرض يعانى آلام السرطان أمام السادات: والله يا أفندم لقد عاد رئيس الأركان سعد الشاذلى من الجبهة ويقول من الضرورى أن نسحب الجيشين الثانى والثالث من سيناء؛ لأن اليهود قد دخلوا الثغرة وأنهم سيطوقون الجيشين وأن شيئا مروعاً من الممكن أن يحدث ولابد من الانسحاب حفاظاً على القاهرة، وبناء على ذلك تم عزل الشاذلى.. لكن كمال حسن على قائد المدرعات له رأى آخر يكشف عن الكثير من الأوراق!

19

تفاصيل الأخطاء الجسيمة

«فى رأيى أن قرار تطوير الهجوم لم يجانبه التوفيق ليس فى التوقيت فحسب، وإنما فى استخدام الاحتياطات المدرعة فى القيام بهذا الهجوم الجديد، فالمعروف من المبادئ الأولية لاستخدام المدرعات أن الدبابات ليست أنسب الأسلحة لمهاجمة النقاط المحصنة»

استخدام الدبابات فى تطوير الهجوم غير ملائم إذ إنها بهذه الطريقة سوف تفقد أهم خاصية فى استخدام المدرعات، وأقصد بها استغلال خفة حركتها وقدرتها على الاندفاع والاختراق للوصول إلى عمق دفاعات العدو لإرباكه بعمليات التطويق والالتفاف حول مؤخرة خطوطه الدفاعية؛ ولذلك يجب دفع الدبابات لمهاجمة المناطق الضعيفة لا المناطق المحصنة ما يعرضها لنيران كثيفة تكبدها خسائر فادحة، وبالمصادفة كان قائدا الجيش الثانى والثالث من ضباط المدرعات وقد فطنا إلى هذه النقطة ونبها القيادة العامة إليها ولكن كان من الواضح أن قرار الهجوم قد تقرر سياسياً للتخفيف عن الجبهة السورية، وبدلاً من أن يتم تطوير الهجوم بجميع وحدات فرق المشاة الرئيسية فقد اكتفى بدفع الاحتياطات المدرعة من غرب إلى شرق القناة؛ الأمر الذى أدى إلى كشف المنطقة خلف الجيوش الميدانية فى غرب القناة مما يعرض هذه الجيوش لاختراق المدرعات الإسرائيلية للغرب وتهديد مؤخرة الجيوش وهذا ما حدث بالفعل بعد تطوير الهجوم. لقد كان تطوير الهجوم محكوماً عليه بالفشل منذ البداية».. هذه هى وجهة نظر جديدة صاحبها اللواء كمال حسن على قائد المدرعات فى حرب أكتوبر، ورئيس الوزراء فيما بعد، وذكر هذا فى كتابه «مشاوير العمر».

ولأن الثغرة نقطة تحول تاريخية فى مسار حرب أكتوبر فقد اختلفت حولها وجهات نظر كبار القادة سياسياً وعسكرياً، كان ضرورياً النظر إليها بعين الاعتبار من جميع الزوايا وكان ضحيتها الشاذلى؛ ولأنه بطل هذه الحكاية كان واجباً أن نطرح جميع الآراء حول الموضوع. ولها جميعاً كل الاحترام.. وعلى القارئ أن يستنبط، ولو أن الحقيقة فى نهاية المطاف ستتحدث بنفسها عن نفسها.

الأخطاء القيادية

فى مذكراته وفى الفصل رقم ٤١ يكتب الشاذلى تحت عنوان «الأخطاء القيادية الجسيمة» يقول:أطالب بإلغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة هذا المنصب الذى لا نجد له مثيلاً فى دول العالم الثالث المتخلفة.

لو أن السادات لم يرتكب جريمة فى حق الوطن سوى أنه عين أحمد إسماعيل قائداً عاماً للقوات المسلحة وهو يعلم أنه كان مريضاً بالسرطان لكان ذلك كافياً لإدانته بارتكاب جريمة الخيانة العظمى فى حق الوطن.

إن القائد الذى يخشى أن يسحب جزءاً من قواته من القطاعات غير المهددة للزج بها فى القطاعات المهددة؛ بحجة أن ذلك قد يؤثر على الروح المعنوية هو قائد انهزامى ولن ينجح قط فى تحقيق أى نصر فى أى معركة.

لقد عارض السادات وأحمد إسماعيل اقتراح الشاذلى سحب الفرقة المدرعة واللواء ٢٥ المدرع من الشرق إلى الغرب يوم ١٦، ولكنهما قاما بسحب الفرقة الرابعة المدرعة يوم ١٩ وعارضا اقتراح الشاذلى بسحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب يوم ٢٠ ولكنهما قررا الأخذ بهذا الاقتراح يوم ٢٨ أكتوبر وفى الحالتين جاء القرار متأخراً، ولم يحقق الهدف من هذه المناورات. لماذا لم تشكل لجنة قضائية عليا حتى الآن لتقصى الحقائق عن حرب أكتوبر كما حدث فى إسرائيل ويحدث فى الدول المتحضرة فى أعقاب كل حرب؟!.

فكرت كثيراً قبل أن أختار عنوان هذا الفصل «الأخطاء القيادية الجسيمة» وكان العنوان الذى فى رأسى أول الأمر هو أخطاء السادات وأحمد إسماعيل، حيث إنهما هما مَنْ ارتكبا تلك الأخطاء دون غيرهما، غير أن المناقشات والتصريحات التى أدلى بها بعض القادة وبعض المحللين العسكريين بعد الحرب كان بعضها يؤيد هذه الأخطاء، وحيث إن تلك الأخطاء التى سوف أسردها تتعارض مع أصول العلم العسكرى، وما نقوم بتدريسه لأبنائنا فى الكليات والأكاديميات العسكرية فقد خشيت أن يقتنع بعض القادة الحاليين وبعض طلاب العلوم العسكرية بتلك الأخطاء فتكون مصيبة كبرى بالنسبة لمستقبل مصر والبلاد العربية؛ ولذلك فقد اخترت العنوان الذى ذكرته ليكون فى الوقت نفسه رداً لكل من يؤيد تلك الأخطاء بالصمت أو بالكلمة.

العسكر والسياسة

المحافظة على الغرض مبدأ أساسى من مبادئ الحرب، بل إنها هى المبدأ المحورى الذى تتأثر به جميع مبادئ الحرب الأخرى؛ ولذلك فإن المهمة التى تخصص للقوات المسلحة يجب أن تكون واضحة، وأن تكون فى حدود إمكاناتها، وحيث إن الحرب هى امتداد للسياسة بوسيلة أخرى فإن القيادة السياسية هى التى تخصص المهمة التى تكلف بها القوات المسلحة، ولكن القيادة السياسية تلجأ عادة إلى مناقشة هذه المهمة مع القادة العسكريين قبل إصدارها حتى تضمن إمكان نجاح القوات فى تنفيذها. ومنذ اليوم الأول لميلاد الخطة الهجومية «المآذن العالية» فى أغسطس ١٩٧١ كانت القيادتان العسكرية والسياسية على قناعة بحقائق ثلاث: هى تفوق العدو الساحق فى مجال القوات الجوية وتفوقه فى مجال الحرب البرية الخفيفة الحركة كنتيجة حتمية لتفوقه الجوى وفى وسائل الاتصال المؤمنة فى الجو والأرض، والثالثة والأخيرة فى هذه الحقائق أن أمريكا تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وفى ظل هذه الحقائق كان يجب أن يكون الهدف متواضعاً حتى أن الرئيس السادات كان يقول فى مؤتمر القادة قبل الحرب: «أريد منكم أن تنجحوا فى احتلال عشرة سنتيمترات على الضفة الشرقية وأن تحتفظوا بها، وسوف يؤدى هذا إلى تعديل كبير فى موازين القوة سياسياً وعسكرياً».

هذا الكلام معناه أن السادات دخل الحرب مرغماً، حيث لم يكن هناك أمامه من بدائل سواها، وقد أدرك تماماً أن سياسته لن تنجح إلا إذا تحركت أزمته مع إسرائيل بنوع من القوة يجبرها على اللجوء إلى الحلول السياسية بل إن كيسنجر فى رحلاته المكوكية المشهورة اعترف له بذلك صراحة.

تغيير النظام

يرى الشاذلى لفض الاشتباك بين ما هو عسكرى وسياسى أن يتم تعيين رئيس الأركان بعد موافقة مجلس الشعب عليه كما يحدث فى أمريكا.

وقد ابتكرت أنظمة العالم الثالث وغالبيتها غير ديمقراطية مسمى القائد العام للقوات المسلحة فى عدة نماذج: أولها إسناد الوظيفة إلى وزير الدفاع

فيصبح لقبه وزير الدفاع والقائد العام، والنموذج الثانى أن يحتفظ رئيس الدولة بلقب القائد العام ويصبح وزير الدفاع هو نائبه، والنموذج الثالث أن يحتفظ رئيس الدولة بمنصب وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة؛ ويلغى منصب رئيس الأركان، ويستبدله بمنصب ذى صلاحيات محدودة يسمى أمين عام وزارة الدفاع، أما النموذج الأخير فيلغى فيه منصب وزير الدفاع ورئيس الأركان ويمارس رئيس الدولة سلطات المنصبين من خلال أحد مديرى مكتبه وهذه النماذج وإن اختلفت فى الشكل فإنها تتفق فى المضمون، وهو تمكين رئيس الدولة من ممارسة أكبر قدر من السيطرة على الجيش وهو تتبع النموذج الأول، وهناك إجماع فى الرأى على أن القيادة السياسية هى التى تحدد مهمة القوات المسلحة، ولكن جرت العادة أن يتم التشاور بين القيادتين السياسية والعسكرية قبل تخصيص المهمة حتى تكون فى حدود إمكانياتها، أما بعد ذلك فيجب ألا تتدخل القيادة السياسية فى الأمور الفنية، وإن كان هذا لا يمنع من التشاور المستمر للصالح العام.

قد يكون من السهل على النقاد أن يتهموا السادات بالجهل -والكلام للشاذلى- لأنه لم يخدم فى القوات المسلحة سوى ثلاث سنوات، وهو برتبة الملازم والنقيب فى بداية الأربعينيات، كما أنه لا يحب أن يجهد نفسه فى القراءة والبحث ولكن هذا لا ينطبق على أحمد إسماعيل فلا أحد يستطيع أن يشكك فى علمه وثقافته العسكرية رغم خلافى الشهير معه، وإن كان قد اشتهر بجموده الفكرى وخوفه من تحمل المسئولية ولكن هل من الممكن أن يصل الجمود إلى حد إهمال مبدأ عام من مبادئ الحرب، لا يمكن تحقيق أى نصر بدونه، وهو المناورة بالقوات بمعنى تحريكها من أماكنها، ولكن فى يوم ٢٥ أكتوبر أمر الفرقة الرابعة المدرعة بفك حصار الجيش الثالث، بينما كانت ألوية العدو غرب القناة تقدر بنحو ثلاث فرق مدرعة، وكان يملك زمام الجو ولولا تمردى ورفضى توقيع هذا الأمر لتم تدمير هذه الفرقة.

والبحث عن الأخطاء فى حرب أكتوبر التى حققنا فيها نصراً عسكرياً عظيماً الهدف منه ألا تعيش الأجيال المقبلة فى وهم التفوق الزائف، ويجب أن تستفيد من تلك الأخطاء، وتعمل على عدم تكرارها. وآن الأوان بعد كل هذه السنوات من الحرب لأصحاب الآراء المختلفة أن يجلسوا إلى بعضهم البعض،

وأن يناقشوا الخلاف على الملأ بنية الوصول إلى ما هو صحيح، وتأكيده، وإلى الخطأ وتجنبه، وأن يتم ذلك فى مناظرات علنية ونحن لسنا فى حاجة إلى استدعاء خبراء أجانب فلدينا الكثير منهم، ولكن بشرط أن يتم ذلك فى مناخ ديمقراطى، وألا يضار صاحب رأى برأيه، والمناظرة التى أقصدها وأعنيها ليست مثل تلك التى جرت عام ١٩٧٥، وكان هدفها الدفاع عن الأخطاء التى ارتكبتها القيادة السياسية والعسكرية خلال الحرب، والتاريخ لن يرحم ما جرى من تزييف للحقائق فهل من مناظر؟!

كانت تلك الدعوة التى أطلقها الشاذلى فى ختام مذكراته هى أقرب إلى المثالية، فقد كان نظام مبارك يتعمد تجاهل وشطب اسمه، بل وتنافس بعض المحررين العسكريين نفاقاً له كرئيس للدولة أن اختصروا حرب أكتوبر كلها فى الضربة الجوية، ولا ينكر أحد على المستوى التاريخى دور مبارك كقائد للقوات الجوية، لكن الانتصار تحقق بفضل جهد جماعى ومن الظلم أن ننسبه لفرد دون غيره.

ورغم أن السادات أدرك فيما بعد كارثة الدفرسوار فإن الآراء التى طرحت عليه للتغلب عليها كانت صحيحة، وكانت وجهة نظره هى الخاطئة؛ لذلك أراد بعدها أن يبحث عن كبش فداء، بعد أن اتضح له وللجميع أن مسألة تطوير الهجوم كما قلت له: كارثة وفى اجتماع جرى بالقيادة العامة قال لى السادات إن وجودك فى الجيش الثانى يا سعد ليلة ١٨ أكتوبر كان سبباً فى الثغرة، وكان ردى بكل ثقة: يجب أن نحدد من هو المسئول يا سيادة الريس، وكنت أعنى ما أقول، حتى قال لى أحمد إسماعيل بعد انتهاء الاجتماع ووداع الرئيس: كيف تخاطب رئيس الدولة بهذا الأسلوب!!

20

وداعا.. أيها الجيش!

فى حياة الفريق الشاذلى الكثير من المنعطفات قد تكتشف بعضها، وأنت تتوغل فى السيرة، وقد لا تكتشف البعض الآخر منها، إلا بعد معاناة ومشقة وفى كل الأحوال حتى تمتلك السيرة بين يديك، عليك أن تتسلح بمعرفة كاملة، عن العسكرية والسياسة والدين ونفوس البشر.

وفى الرحلة تواريخ ضد النسيان منها ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣، وهو التاريخ الذى خلع فيه الشاذلى مرغماً البدلة العسكرية بعد ٣٣ عاماً من الخدمة، بلغ فيها رتبة الفريق ورئاسة أركان الجيش؛ أى الرجل الثانى فى المنظومة العسكرية.

فهل يختلف المقاتل فى ميادين الحرب عن الدبلوماسى فى مضمار العمل السياسى والمناورة بالأقوال.

نعم أراد السادات إبعاده عن الجيش لكنه ربما أحس بالذنب بينه وبين نفسه، وأسند إليه مهمة دبلوماسية فى عاصمة مهمة هى الثانية عالمياً، إنها لندن وهو سفيرنا هناك ومع ذلك لم يقبلها الشاذلى من أول مرة ورفضها وفى ذلك قصة تستحق أن تحكى بالتفاصيل، والحقيقة أن الحياة العسكرية أخذت بيده نحو الدبلوماسية فى وقت ما وكما سنرى.

فى يوم ٣٠ من يوليو ١٩٧١ وفى اجتماع عادى لمجلس الجامعة العربية فى القاهرة أديت اليمين القانونية - والكلام للشاذلى -بصفتى الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشئون العسكرية، وبموجب هذا المنصب فإنى أصبح رئيساً للجنة الاستشارية العسكرية للجامعة العربية والتى تتكون من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة فى جميع الدول العربية، وأقوم بتقديم توصيات اللجنة الاستشارية إلى مجلس الدفاع فى الدول العربية، وقد بدأت عملى فى هذا المنصب بأن قمت بدراسة دقيقة لمعاهدة الدفاع المشترك ولجميع المحاضر والقرارات التى اتخذت منذ عقد هذه المعاهدة، وقد خرجت من هذه الدراسة بأربع نقاط رئيسية، كانت النقطة الأولى هى

التحمس الواضح والخطب الرنانة التى كانت تلقى خلال هذه الاجتماعات من جميع الأعضاء، ثم القرارات القوية التى يتخذها المجلس حتى ليتصور المرء ورجل الشارع العربى أن كل شىء يسير على أحسن ما يكون، وكانت النقطة الثانية هى أن الدول العربية سواء كانت من دول المواجهة أم من غير دول المواجهة كانت تنظر إلى الدعم العربى على أنه معونة مالية فحسب، فقد كان كل ما تطلبه دول المواجهة هو الدعم المالى، وكانت الدول العربية الأخرى تعتقد أنها بتقديم الدعم المالى لدول المواجهة قد أدت دورها النضالى نحو القضية العربية، وكانت النقطة الثالثة هى عدم فعالية قرارات مجلس الدفاع المشترك، فعلى الرغم من أن قرارات مجلس الدفاع المشترك طبقاً لمعاهدة الدفاع المشترك تعتبر ملزمة لجميع الأعضاء، إذا اتخذ القرار بأغلبية ثلثى الأصوات، فإن هذه القرارات ولاسيما ما يتعلق منها بالدعم المالى كانت تبقى معطلة، وكان يتوقف تنفيذها أو تنفيذ جزء منها على مدى النشاط والزيارات التى يقوم بها المسئولون فى دول المواجهة إلى الدول الأخرى، أما النقطة الرابعة والأخيرة فهى أن مؤتمرات القمة العربية هى المؤتمرات الوحيدة التى يتحقق فيها شىء من النجاح، لأن الملوك والرؤساء هم الأشخاص الوحيدون الذين يمسكون بزمام السلطة فى البلاد العربية.

قومية المعركة وعدالة توزيع الأعباء

قمت بإجراء دراسة تشمل الدخل القومى والإنفاق العسكرى فى كل من الدول العربية وإسرائيل، فكانت الأرقام تثير الدهشة حقاً، كان إجمالى الدخل القومى للدول العربية ذات الـ ١١٠ ملايين نسمة، وقتها هو ٢٦٠٠٠ مليون دولار، بينما كان الدخل القومى لإسرائيل (مليونين و ٨٢٢ ألف نسمة) هو ٣٦٧٢ مليون دولار، وهذا يعنى أن متوسط دخل الفرد العربى فى العام هو ٢٣٦ دولاراً بينما متوسط دخل الفرد الإسرائيلى هو ١٣٠٠ دولار فى العام، فإذا نظرنا إلى كيفية توزيع الثروة فى المنطقة العربية فإننا نجد تبايناً واضحاً، ففى بعض الدول العربية نجد أعلى متوسط لدخل الفرد فى العالم، وفى دول عربية أخرى نجد أقل مستويات الدخل فى العالم.

الاجتماع المصرى - السورى

فى تمام الساعة الثانية يوم ٢١ من أغسطس ٧٣، دخلت ميناء الإسكندرية باخرة ركاب سوفييتية وعليها ٦ رجال سوريين، كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط، كان هؤلاء هم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع، واللواء يوسف شكور واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوى، واللواء حكمت الشهابى مدير المخابرات الحربية، واللواء عبدالرازق الدرديرى رئيس هيئة العمليات، والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية، كانوا جميعاً بملابسهم المدنية ولم تُخطر وسائل الإعلام فى مصر أو فى سوريا بأى شىء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد أو بعده، كنت أنا فى استقبالهم على رصيف الميناء، حيث خرجنا دون أية مراسم إلى نادى الضباط، حيث نزلوا خلال فترة إقامتهم بالإسكندرية، وفى الساعة السادسة من اليوم نفسه اجتمع الوفدان المصرى والسورى فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى قصر رأس التين بالإسكندرية، كان الوفد المصرى يتكون من الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية، والفريق سعدالدين الشاذلى، واللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى، واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد زكى قائد القوات البحرية، واللواء عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية، كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم أعضاء المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية المشتركة، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهى الدين نوفل، كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب، وحيث إن قرار الحرب فى النهاية هو قرار سياسى وليس قراراً عسكرياً فقد كانت مسئوليتنا تنحصر فى إعطاء الإشارة للقيادة السياسية فى كل من مصر وسوريا بأننا جاهزون للحرب فى حدود الخطط المتفق عليها، وأن نحدد لهم أفضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا.

استمرت اجتماعاتنا خلال يوم ٢٢ من أغسطس، وفى صباح يوم ٢٣ من أغسطس كنا قد اتفقنا على كل شىء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخى، وكان قرارنا يتلخص فى أننا مستعدون وجاهزون للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب، فقد اقترحنا توقيتين أحدهما خلال الفترة من ٧

إلى ١١ من سبتمبر، والثانى خلال الفترة من ٥ إلى ١١ من أكتوبر ١٩٧٣، وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا أفضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتين وقد طلبنا من القيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوماً، وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين، وتم التوقيع عليهما من قبل كل من السورى والمصرى (اللواء يوسف شكور عن الجانب السورى، والفريق سعدالدين الشاذلى عن الجانب المصرى)، كان اختيار توقيت سبتمبر يعنى أن القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار، وإخطارنا به قبل يوم ٢٧ من أغسطس أى بعد ٤ أيام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر، فلما جاء يوم ٢٨ دون أن نخطر بشىء بدا واضحاً أن الحرب ستكون فى ٥ من أكتوبر أو بعد ذلك بقليل.

الأسطول السوفييتى فى الموانئ المصرية

فى الساعة ٢٠:٠٠ يوم ١٩ من مايو ١٩٧١ اجتمع وفد عسكرى سوفييتى مع وفد عسكرى مصرى لبحث التسهيلات البحرية التى يطلبها الجانب السوفييتى فى الموانئ المصرية، كان الوفد السوفييتى برئاسة الجنرال يفيموف Yeflmov وعضوية الأدميرال فاسيلى Vassily والجنرال أوكينيف OKUNEV، وكان الوفد المصرى برئاسة الفريق صادق وزير الحربية وعضوية اللواء الشاذلى والعميد أمير الناظر الأمين العام لوزارة الحربية، وكان الجانب السوفييتى يطلب زيادة فى التسهيلات البحرية التى كان يمارسها فعلاً، وكانت هذه الطلبات الجديدة تشمل ما يلى:

١- تعميق الميناء ثمانية أمتار أخرى.

٢- بناء أو تأجير أماكن لإيواء الأفراد بحيث تكون قريبة من الميناء، وبحيث تكفى لإيواء ٢٠٠٠ رجل و١٦٠ عائلة.

٣- بناء مطار على مسافة ٣٥ ـ ٤٠ كيلومتراً غرب الميناء.

٤- رفع كفاءة المطار الحالى فى مرسى مطروح، بحيث يصبح قادراً على استيعاب لواء جوى سوف يتم إرساله من الاتحاد السوفييتى لتأمين الميناء.

٥- بناء محطة رادار على مسافة ١٠٠ كيلومتر شرق مرسى مطروح، وأخرى على مسافة مماثلة غربها.

الإسكندرية

طلب الجانب السوفييتى تأمين مبنى واحد كبير أو مجموعة من المبانى المتجاورة حتى يمكنهم أن يجمعوا فيها عائلات رجال بحريتهم المتناثرة داخل مدينة الإسكندرية، وكان المطلوب هو تأمين مكان مجمع يتسع لـ ٢٠٠ عائلة، وقد اقترحوا الحصول على فندق سان ستيفانو، أجاب الفريق صادق بأن هذه الطلبات لها جانب سياسى، وأنه لا يستطيع البت فى هذه الأمور قبل بحث الموضوع مع الرئيس، وسيكون جاهزاً للرد على هذه التساؤلات بعد نحو أسبوع، وبعد انتهاء اللقاء طلب منى الوزير أن أشكل لجنة برئاستى لبحث هذه المطالب، وكان بين أعضاء هذه اللجنة اللواء بغدادى قائد القوات الجوية واللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية، وبعد عدة لقاءات تقدمنا بالاقتراحات التالية:

١- الموافقة على إعطاء البحرية السوفييتية تسهيلات فى ميناء مرسى مطروح تشابه التسهيلات الممنوحة لها فى كل من الإسكندرية وبورسعيد.

٢- عدم تخصيص أى منطقة محددة لخدمة الوحدات السوفييتية حتى لا يأخذ ذلك شكل قاعدة سوفييتية.

٣- الموافقة على تمركز لواء جوى سوفييتى فى مرسى مطروح شريطة ألا تقتصر مهمته على الدفاع عن القاعدة البحرية، بل تمتد مسئوليته لكى تشمل الدفاع عن الأراضى المصرية ما بين غرب الإسكندرية وحتى الحدود المصرية ـ الليبية، وأن يكون اللواء الجوى السوفييتى تحت القيادة المصرية.

٤- يكون تمركز اللواء الجوى السوفييتى فى مرسى مطروح بصفة مؤقتة، وإلى أن تصبح القوات الجوية المصرية قادرة على تحمل مسئولية الدفاع الجوى عن المنطقة غرب الإسكندرية، وتقوم بتخصيص لواء جوى مصرى لكى يعفى اللواء الجوى السوفييتى من هذه المهمة.

سعادة السفير

كان رئيس الأركان يمارس فى جامعة الدول العربية عملاً سياسياً دبلوماسياً متخصصاً، وفى منصب السفير سيلعب مجموعة من الأدوار فى آنٍ واحد،

منها العسكرى والتجارى والثقافى وأحياناً الطبى، حيث يوجد فى السفارات ملاحق لهذه التخصصات ويكون السفير هو المسئول عنها.

ويعترف بأن ماديات المنصب ومزاياه أكبر بكثير من موقع رئيس الأركان وقال بالحرف الواحد فى كتابه «أربع سنوات من العمل فى السلك الدبلوماسى» إن ما حصلت عليه من مرتبات وعلاوات ومزايا فى عام واحد كسفير يعادل ما حصلت عليه من العمل العسكرى فى ٣٣ سنة، ولم يكن هذا الأمر بغريب عليه فقد عمل فى الستينيات كملحق عسكرى فى السفارة نفسها التى عاد إليها بعد نحو ١٢ عاماً كسفير، وكان يشعر فى قرارة نفسه أن السادات يلقى إليه بالطعم، وأن يقتله كجندى عريق بالحياة السهلة المرفهة، يكفى هنا أن نذكر بأن منزل السفير فى لندن يتكون من قصر كبير له ثلاثة طوابق ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر، وتزين حوائطه وأسقفه بصور ورسومات رائعة ويقوم على خدمة السفير خمسة من الخدم وثلاث عربات بسائقيها، وتتولى الدولة دفع جميع مصاريف السكن من أجور وكهرباء ومياه وتليفونات وتأثيث.

ولأن الشاذلى الذى يترك فى كل مكان بصمة تجعله الحاضر دائماً فى كل مشهد مهما يطُل غيابه كانت لندن تنتظره بحملة صحفية رهيبة، نظمها، اللوبى الصهيونى لدرجة اتهامه، بأنه سفاح وعلى علاقة وطيدة بالنازيين وقت أن كان ملحقاً حربياً فى الستينيات فماذا هو فاعل؟!

21

شرفى العسكرى.. يمنعنى يا مستر!

كانت المسألة معدة سلفاً وعلى أعلى مستوياتها، وأخذت وسائل الإعلام علماً بأن الشاذلى عاد إلى لندن سفيراً لبلاده هذه المرة، وبعد معركة أثبت فيها أن للعرب قوتهم إذا ما تم التخطيط والإعداد بالأسلوب العلمى الجاد.. احتشد حول الشاذلى كوكبة من الصحفيين يمطرونه بالأسئلة وأغلبها يصب فى اتجاه واحد:

سألوه :

- سعادة السفير ما هى حقيقة اتهامك بقتل الأسرى الإسرائيليين خلال حرب أكتوبر؟

وكان جوابه بكل الثقة والهدوء والابتسامة التى هى علامة من علامات وجهه فى أغلب الأحوال:

- شرفى العسكرى ومعتقداتى الدينية تمنعنى من هذه الأفعال غير الإنسانية، وأنا أنتهز هذه الفرصة أمامكم جميعاً، وأطالب بلجنة تحقيق دولية لكشف هذه الأكاذيب أمام العالم كله!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الهجوم والاتهامات للشاذلى، لكنهم نشروا كتيباً كان قد وزعه خلال الحرب وعنوانه «عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر» واقتطعوا منه بعض الآيات القرآنية التى تحض على القتال، واعتبروها تحريضاً لقتل وسفك دماء اليهود.

واستغلت وسائل الإعلام البريطانية حادثة سرقة نفذتها سيدتان مصريتان فى محل يهودى فى نشر أخبار محرفة بأن حرم وزير السياحة المصرى وحرم السفير متهمتان بسرقة المحل التجارى، وأقام الشاذلى دعوى ضد الإذاعة البريطانية وحصل على حكم باعتذارها، واعتذرت بالفعل.

كان السفير الشاذلى يحارب اللوبى الصهيونى الذى ينظر إليه كواحد من أبطال أكتوبر الأفذاذ الذين حطموا أسطورة الغرور الإسرائيلى وتفوق جيشه اللامحدود، ولأنهم يعرفون جيداً دور هذا الرجل أكثر من غيره فى التخطيط

والإعداد للحرب، ثانياً عندهم ملف قديم بتعاونه وصداقته وقت أن كان ملحقاً عسكرياً مع الأحزاب المعادية للصهاينة والمساندة للقضية العربية، وعلى جانب آخر كانت حربه مع السادات لم تتوقف، يكفى أن الشاذلى وهو بطل الحرب شاهد تكريم القادة تلفزيونياً فى مجلس الشعب على يد السادات، وتم تجاهله تماماً ولو حتى بذكر اسمه، لكنه للأمانة أرسل نجمة سيناء إلى الملحق العسكرى لكى يقدمها للسفير سراً.

فاصل ونواصل

فى مذكرات المشير الجمسى نكتشف أمراً غاية فى الأهمية، هو عبارة عن قرار بقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٩ لتكريم قادة القوات المسلحة خلال حرب أكتوبر والاستفادة من خبرات الأحياء منهم. وجاء فى مذكرة القانون: «إن الدول العريقة فى الجندية وأصولها تكرم قادتها العسكريين الذين حققوا لها النصر فى الحروب المصيرية لأوطانهم بأسلوب يتناسب مع عظمة أعمالهم، ويعكس مدى وفاء وتقدير شعوبهم لبذلهم وعطائهم. وهناك الكثير من الأمثلة فى الدول الكبرى غربية كانت أم شرقية على تقدير وتكريم كبار قادتها وأبطال حروبها والاستفادة بخبراتهم مدى الحياة، وبالنسبة لمصر فقد كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطنى والقومى وكانت أول مواجهة حقيقية خلال مراحل الصراع العربى ـ الإسرائيلى بين الجيوش العربية والجيش الإسرائيلى، ومهدت نتائج هذه الحرب الطريق أمام تحرير الأرض العربية المحتلة وتحقيق السلام القائم على العدل فى المنطقة العربية. وقد لقى اقتراح مشروع القرار بقانون تعبيراً عن شكر الشعب وعرفانه للقوات المسلحة وقادتها خلال حرب أكتوبر. ويهدف هذا القانون ـ إلى جانب تقدير وتكريم قادة هذه الحرب الظافرة ـ إلى تحقيق وضع خبراتهم النادرة فى خدمة القوات المسلحة والدولة مدى حياتهم وهى الخبرة التى اكتسبوها خلال خدمتهم الطويلة بالقوات المسلحة، حيث عاصروا نشأتها الحديثة والتطورات التى طرأت عليها والمعارك المتعددة التى خاضتها، وقد توجت هذه الخبرة بما أثبتوه من قدرة عالية فى فنون القيادة والقتال خلال عمليات حرب أكتوبر، وتحملهم أعباء مسئولياتهم الجسام أثناء الإعداد للقوات والتخطيط للعمليات وأثناء إدارة أعمال القتال بكل الكفاءة والاقتدار.

ويقضى القانون بأن يستمر الضباط الذين كانوا يشغلون وظائف رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وقادة الأفرع الرئيسية فى حرب أكتوبر فى الخدمة بالقوات المسلحة، وأن يقوم هؤلاء بتقديم المشورة وإبداء الرأى عندما يطلب منهم ذلك فى الموضوعات العسكرية ذات الأهمية الخاصة، وصدر القانون بالفعل ولكنه لم ينفذ، بل على العكس رأينا العقل المدبر للحرب يهان ويتم إهماله وتجاهله فى التكريم والتقدير، مع ملاحظة أن مشروع القانون يخص رئيس العمليات ولا يذكر رئيس الأركان وهو المنصب الذى كان الشاذلى يشغله، والقانون صدر بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وقد عارض الشاذلى هذه الاتفاقية.

المواجهة

وافق الشاذلى على أن يكون سفيراً، وهو لا ينكر المزايا العديدة التى سيفوز بها من خلال المنصب، لكنه من داخله يدرك أن السادات يتربص به ولن يتركه فى حاله، وهو لا شعورياً يشعر بالظلم والاضطهاد مهما يقدموا له، ولكنه فى الوقت ذاته يؤمن بشكل قاطع بأن يؤدى عمله فى أى موقع على أتم وجه، وألا يخفى الحقيقة، والدبلوماسية تلعب بكل الأوراق، وقد تلعب على عدة حبال ولها مبرراتها ويبدو أن الصحفى المخضرم اللبنانى سليم اللوزى كان يعرف هذا جيداً، وكان وقتها رئيساً لتحرير مجلة «الحوادث» اللبنانية وتحدث إليه الشاذلى بصراحته المعتادة، وقال إن هناك مؤامرة تدبر لعزل مصر عن الأمة العربية، مع ملاحظة أن هذا الحديث جرى فى عام ١٩٧٤، والمقاطعة العربية لمصر جرت بعد معاهدة كامب ديفيد فى عام ١٩٧٩، أى أنها كانت نبوءة مبكرة جداً تكشف عن الحس السياسى لهذا الرجل العسكرى. وقد جاء ذلك بعد أشهر قليلة من توليه مهام منصبه كسفير.

وتحدث عن الثغرة وضرورة تنويع السلاح، وبعدها بأيام التقى مع مجموعة من الطلبة العرب، وأكد مجدداً على وجود تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

وأعادت جريدة «السفير» اللبنانية نشر بعض أجزاء من حديث الشاذلى، وهى تابعة لمجلة «الحوادث» وتصدر أيضاً عن دار الصياد، وأبرزت فى عنوان كبير

انتقاد الشاذلى للسادات، الأمر الذى تحركت وزارة الخارجية على إثره، وطلبت استدعاء الشاذلى للقاهرة على وجه السرعة للتحقيق، وحضر بالفعل والتقى إسماعيل فهمى وزير الخارجية فى هذا الوقت، وهو نفسه الوزير الذى سيعلن استقالته المدوية بعد كامب ديفيد. وفى لقاء مع التليفزيون البريطانى انتقد الشاذلى رحلات كيسنجر المكوكية بين مصر وإسرائيل، وطالب بأن يأتى الحل من جنيف وعدم هيمنة أمريكا على الحل السلمى.

ثم استطاع الشاذلى أن يكسب احترام المجتمع البريطانى فى مواجهة جرت بينه وبين السفير الإسرائيلى، واشترط أن يكون كل واحد منهما فى مكان بعيد عن الآخر، وكأنه بهذا الحديث رد المكائد التى دبرها اللوبى الصهيونى كلها وعلى حساب سفير الصهاينة نفسه.

ومن داخل السفارة نفسها تأتى شهادة لرجل له وزنه وقيمته، وهو المفكر والدبلوماسى الشهير مصطفى الفقى، وقد نقلت هذه الشهادة عن كتاب مصطفى عبيد «العسكرى الأبيض»، يقول الفقى:

عندما تسلم الفريق الشاذلى عمله فى السفارة استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة، فالرجل معروف بصرامته العسكرية، وقد لا تكون إدارته لبعثة دبلوماسية كبيرة على هذا النحو المطلوب، ولكننا فوجئنا بعسكرى مصرى مشرف يتحدث بلغة إنجليزية طليقة تفوق فى جودتها عشرات السفراء المدنيين وبحسه الدبلوماسى تنبأ لوزيرة التعليم البريطانية بأنها ستكون فى الصدارة، وقد كانت بالفعل بعد سنوات وأصبح اسم مارجريت تاتشر يتصدر المشهد السياسى العالمى بأكمله، وعرفت بالمرأة الحديدية لذلك دعاها هى وزوجها إلى عشاء رسمى بالسفارة كما دعا (أسقف كانتبرى) ومعه كبار شيوخ الأزهر فى المركز الإسلامى، وهو تفكير ينم عن سعة الأفق والفهم البعيد لمسألة الوحدة الوطنية، وتقديم صورة راقية عن الإسلام وسماحته، وقد أسهم فى نشر الإسلام بصورة جيدة فى إنجلترا.

وهكذا تحول منفى الشاذلى الدبلوماسى إلى نجاح مدو لشخصه وبلده وعروبته وإسلامه، كان الهدف إبعاده وكانت النتيجة اقترابه أكثر من هموم وقضايا بلده فى قلب إنجلترا حتى أصبح عميداً للسفراء العرب فى لندن خلال زمن قياسى، وأقام أنشطة عديدة، ونجح فى قلب السحر

الصهيونى على الساحر، وأن يكتسب احترام العدو قبل الصديق فى عاصمة الضباب.

كان هناك عن بعد ينظر إلى مصر الحبيبة بعين القلب والعقل، وهو منهجه نفسه كرجل عسكرى، يعرف ما له وما عليه، وبدلاً من أن تأتى المكافأة من السادات للشاذلى الدبلوماسى بعد أن أبى واستكبر أن يقدمها للشاذلى البطل العسكرى، جاءت هدية أخرى من السادات على لسان إسماعيل فهمى وزير الخارجية:

يا سعادة الفريق مصر تقدر نجاحك الكبير فى لندن فى هذا الوقت القصير وتثمن جهدك العظيم، لذلك قررت تعيينك سفيراً لمصر فى البرتغال!!

البرتغال!!.. قالها الشاذلى مندهشاً ومتعجباً، وكانت المبررات: السلطة هناك فى البرتغال عسكرية، وأنت بخلفيتك العسكرية تستطيع أن تتعامل معها.

لم يكن فى البرتغال جالية مصرية بالمعنى الذى يدعو إلى وجود سفارة، تقوم على خدمة هؤلاء، ولو أن السفارة مطلوبة فى كل مكان وفى كل وقت، ولاحظ أن التوقيت تم فى لحظات مناسبة، حيث قامت الثورة فى البرتغال عام ١٩٧٤، وقررت منح الدول الإفريقية التى كانت تحتلها استقلالها، لذلك قررت مصر إعادة العلاقات الدبلوماسية معها، وأن يكون الشاذلى هو المفتتح فهل يقبل هذا الإبعاد الجديد وهذا المنفى الدبلوماسى المصنوع خصيصاً لأجله، فالدولة كانت من الممكن أن ترسل سفيراً جديداً يجيد البرتغالية، لكنها اختارت الشاذلى دون غيره، ووراء الحكاية ألف حكاية وحكاية!

22

آسف يا سيادة الرئيس!

إلى البرتغال يا سعد؟!... وكان عليه أن يراجع شريط حياته كله قبل أن يحزم حقائبه، ويترك لندن بعد أن حقق فيها نجاحاً شهد به العدو قبل الصديق... وتذكر كيف عاش فى مركز القيادة من أول أكتوبر وحتى ١٣ ديسمبر، ولم يذهب خلالها إلى منزله سوى مرة واحدة لمدة ساعتين فقط، وكان ١٣ ديسمبر عيد زواجه

وعندما عاد أخذ معه أوراقه كلها ومذكراته الخاصة، ولم يكن يعرف أن خدمته قد انتهت بالجيش، وأن أوراقه سوف تستقر فى بيته إلى الأبد.. وبعد أيام عندما عاد إلى مكتبه ليأخذ باقى أوراقه، حيث وجد أن المخابرات الحربية قد سبقته إلى هناك وقامت بالواجب وأخذت أغلب الأوراق ومنها برقيات تهنئة من جهات عديدة بالعبور .. فى مساء ذلك اليوم تلقى الشاذلى مكالمة تليفونية من المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية يطالبه بالحضور إلى مكتبه وبعد نصف ساعة كان هناك ووجد عنده الجمسى وسعد مأمون فأمرهما بالانسحاب لرغبته فى الحوار معى على انفراد، وظل يتحدث فى موضوعات مختلفة حتى انتهى الكلام، ولم يجد عنده سوى الخبر الذى استدعانى من أجله:

إسماعيل: لقد قرر رئيس الجمهورية إنهاء خدمتكم كرئيس للأركان، وأصدر قراراً جمهورياً بتعيينكم سفيراً فى وزارة الخارجية وعليكم التوجه اعتباراً من الثامنة صباحاً إلى وزارة الخارجية فى ميدان التحرير.

الشاذلى: أشكر الرئيس على هذا التعيين وأرجو أن تقوم بإبلاغه بأننى أعتذر عن عدم قبول المنصب، وأفضل أن أبقى فى منزلى.

الوزير: هل تعنى أنك ترفض أمر الرئيس الذى يقضى بذهابك إلى وزارة الخارجية؟

الشاذلى: سيادة الوزير يمكنك أن تفسرها كما تشاء إذا كان الرئيس يعتبر أن هذا التعيين خدمة لى فمن حقى أن أقبل الخدمة أو أرفضها، وإذا كان

المقصود بهذا التعيين هو العقاب فأنا أرفضه، وأفضل أن يكون هناك تحقيق ومحاكمة حتى تظهر الحقائق.

الوزير: إن ما تقوله شىء خطير، هل أقوم بإبلاغ الرئيس بما قلته؟

الشاذلى: الهاتف بجوارك ويمكنك أن تبلغه فوراً!!

الوزير: يا سعد اسمعنى بهدوء لو سمحت، رفضك سوف يغضب الرئيس وهو يقدر عملك وجهدك بالقوات المسلحة، وأراد تكريمك وأنت تعرف أهمية هذا المنصب وقيمته.

الشاذلى: آسف يا سيادة الوزير أنا أصر على الرفض، وأفضل أن يتم عزلى على نقلى إلى وزارة الخارجية، ومستعد لكتابة الاعتذار بطريقة رسمية وإذا علم الرئيس برفضى هل ستتم محاكمتى؟ إنى أفضل ذلك وأريده.

وراح الشاذلى يكتب اعتذاراً رسمياً ثم غادر مكتب الوزير بعد أن أكد له أنه لن يذهب إلى وزارة الخارجية.

وفى البيت شرح لزوجته ما جرى واستقبلت الأمر بشجاعة، وأيدته فيما فعل وحمدت الله لأنه كان يريد الاستقالة ولم يجد الوقت ملائماً لذلك، وقد جاء قرار العزل ليرفع عنه العبء، وكانت سعيدة لسبب آخر إنسانى أن زوجها ومنذ أن ارتبطت به يخرج من حرب ليدخل أخرى، وأفنى عمره ووقته كله فى خدمة الجيش بمواقع عديدة، وحمد الله أن زوجته لم تنزعج لإبعاده مثل أغلب الزوجات، وارتاحت لما جرى رغبة فى الراحة والاستمتاع بالحياة العائلية.

وبعد قليل كان الشاذلى ينتظر حضور (بور شجريف) مراسل جريدة «النيوزويك» الأمريكية، وكان قد اتفق معه صباحاً على اللقاء، خاصة أنه سوف يسافر إلى أمريكا فى اليوم التالى، وعندما جاء المراسل، قلت له: أنت صحفى محظوظ، وحكيت له ما دار فى مكتب الوزير، وكانت زوجته معه وظن لأول وهلة أننى أمزح، خاصة أننى الذى قدمت له الخبر، وأدهشه ذلك الارتياح بادياً على وجهى قلت له: هذه فلسفتى «لو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك بشىء ما نفعوك إلا بشىء كتبه الله لك، ولو اجتمع أهل الأرض على أن يضروك بشىء ما ضروك بشىء إلا كتبه الله عليك رفعت الأقلام

وجفت الصحف»، وكان المراسل قد نشر حواراً معى، وانتقد فيه السادات، وذكرت قصة الثغرة وهنا أعرب عن أسفه ظناً أنه كان سبباً فيما جرى لى.

وبعد مغادرة «بورشجريف» رن جرس التليفون وكان المتصل اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية، وطلب أن يقابلنى لأمر مهم، وحاولت أن أعتذر له وتأجيل الموعد إلى الغد، ولكنه أصر على المقابلة لأنه يحمل رسالة من الرئيس السادات وعند الحادية عشرة والنصف جاء مبارك وكان ملخص رسالته:

الرئيس يقدر تماماً جهدك فى القوات المسلحة والخلافات المستمرة بينك وبين الوزير بلغت مرحلة لا يمكن السكوت عليها وتعيينك كسفير لن يقلل من شأنك فسوف تستمر بدرجة وزير وتنال راتب الوزير وجميع مزاياه، ثم إن الرئيس اختار لك أن تكون سفيراً فى لندن وهو منصب رفيع يتطلع إليه الجميع، وحتى تطمئن فقد أمر الرئيس بترقيتك إلى رتبة فريق أول، والرئيس يتعشم أن تقبل المنصب، وقلت لحسنى مبارك: لو أن الرئيس استدعانى وبلغنى بهذا الأمر ما رفضته لكن إبلاغى به عن طريق أحمد إسماعيل يحمل الكثير من المعانى، خاصة أننى كنت وما أزال على خلاف شديد معه، ومرة أخرى طلبت من مبارك إبلاغ الرئيس السادات رفضى للمنصب.

وغادر حسنى مبارك منزلى دون أن ينجح فى إقناعى وظهرت الصحف فى اليوم التالى تحمل أنباء تعيين الجمسى رئيساً للأركان دون إشارة لمصير الشاذلى، هل أقيل؟.. استقال؟.. عين سفيراً؟.. هل مات؟.. لا شىء على الإطلاق ومع ذلك كانت إجراءات تعيين الشاذلى فى الخارجية تمضى فى سيرها المعتاد، وخرجت الصحف بعد أيام تحمل خبر اختياره سفيراً فى لندن، كل هذا تم دون علم الشاذلى الذى استفزه ذلك وطلب من رئاسة الجمهورية مقابلة السادات، وبعد أيام اتصل مكتب الرئيس وأبلغنى أنه سوف يستقبلنى فى أسوان يوم ٦ يناير ١٩٧٤، وقبلها كان أصدر قراراً جمهورياً بتعيينى سفيراً بالدرجة الممتازة، ولكنى لم اعترف به، لذلك سافرت على حسابى الخاص وعندما وصلت الطائرة إلى أسوان كان لا يزال أمامى ساعتان قبل موعد اللقاء، واتجهت إلى فندق كتراكت وهناك التقى الشاذلى مصادفة بالكاتب محمد حسنين هيكل وبالطبع جرى الحوار حول حرب أكتوبر وما فيها.

مع السادات

يعترف الشاذلى بأن السادات قابله بمودة ولطف وسأله عن أحوال زوجته وبناته ثم عاتبه بشكل فيه أيضاً الكثير من الظرف وقال:

لا لا. أنا زعلان منك إزاى تعمل كده أنت أتجننت أبعت لك حسنى مبارك برسالة ترفضها، وفكرت أبعت أجيبك لكن حسنى قال لى بلاش، لأنه راكب دماغه دلوقتى ومتعصب. وقال الشاذلى: سيادة الرئيس أنا لست منزعجاً من أن أترك القوات المسلحة هذه سنة الحياة، ولكن ما يضايقنى هو الأسلوب الذى أبلغتنى به بالقرار.

وضحك السادات قائلاً للشاذلى: واضح أن حسنى مبارك بيخاف منك قل لى ماذا تعمل لكى تجعل مرءوسيك يخافونك ويخشونك؟

واسترسل الرئيس فى حديثه وأثنى كثيراً على الشاذلى وأفاض فى ذلك كثيراً، وقال له أنت لا تزال موضع ثقتى، وأنا اخترت لك لندن، لأنى أحتاج لرجل ذى خبرة عسكرية فى لندن ونحن على اتصال بألمانيا الغربية، حيث ستقوم بإمدادنا بأسلحة متطورة ومتقدمة وسفيرنا فى ألمانيا رجل مدنى هو محمد إبراهيم كامل وكان معى فى السجن أيام قضية أمين عثمان ولا يستطيع أن يتابع المباحثات العسكرية وعليك أن تذهب من لندن إلى ألمانيا لمتابعة هذا الموضوع، مهمتك يا سعد هى تسليح الجيش، أى أن عملك كسفير هو امتداد لخدمتك فى القوات المسلحة. واعتبر الشاذلى أن كلام السادات هذا يكفى جداً لترضيته وقد أدرك الرجل هذا، وبدأ يتحدث عن العلاقات المصرية - البريطانية وانتهت المقابلة وعاد الشاذلى إلى فندق كتراكت لتناول الغداء فى انتظار الطائرة والعودة للقاهرة.

وفى الفندق التقى مرة أخرى بالكاتب محمد حسنين هيكل وعرف بما دار فى المقابلة مع السادات، وبالتالى وقع فى يده خبر لا بأس به فيما عدا مسألة التسليح من ألمانيا لأنها تدخل فى نطاق السرية. وعندما أذيع خبر تعيين الشاذلى سفيراً فى لندن تناثرت الأقاويل وقتها أن الهدف ليس فقط إبعاده عن مصر، لكنها مؤامرة لقتله، حيث إن المخابرات الإسرائيلية والطوائف الصهيونية المتعصبة سوف تنتهز هذه الفرصة فى لندن وهم

يعتبرون الشاذلى عدوهم الأول. وقال الشاذلى لنفسه: وما الجديد فى ذلك لقد كانت حياتى كلها سلسلة من المخاطر، وخدمتى فى لندن هى حلقة فى هذه السلسلة، ولو أننى مت اليوم فسوف أموت سعيداً لقد أعطيت بلادى كل ما أستطيع أن أعطيها وقد رأيت ثمرة كفاحى رأيت جنود مصر بعد أن هزمتهم إسرائيل فى ثلاث حروب سابقة، رأيتهم يعبرون قناة السويس، ويحطمون خط بارليف ويهتفون «الله أكبر» ماذا أريد بعد ذلك كله؟، لا شىء أيها الموت أهلاً بك فإنى لا أخشاك إن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولن يستطيع أحد أن يقدم أجلى أو يؤخره عن الوقت الذى حدده الله ولو بثانية واحدة. قبل سفرى إلى لندن بأيام طلبنى اللواء رفعت حسنى نائب رئيس المخابرات العامة وأخبرنى أن لديهم معلومات تفيد بأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن لاغتيالى وأن المخابرات الإنجليزية لديها المعلومات نفسها لذلك فإن ميعاد سفرى إلى لندن يجب أن يبقى سراً وألا أبوح به لأحد!، وعملاً بنصيحة المخابرات العامة سافر سراً من القاهرة إلى لندن فى ١٣ مايو ١٩٧٤.

وبعد وصوله بعدة أشهر بدأت تثور الشكوك حول السادات وأهدافه فيما يتعلق بشخص الشاذلى فقد بدأ يصعد هجومه ويوجه إليه الاتهامات بقوة.

وأيقن الشاذلى بأن من مصلحة السادات أن يتخلص منه أكثر من الصهاينة أنفسهم، وتذكر الشاذلى كيف مات الفريق الليثى ناصف بطريقة غامضة فى لندن (أغسطس ٧٣) وقيدت الحادثة على أنها انتحار، بينما يثور كثير من الجدل والتساؤلات حول وفاته وبطريقة سرية لم يعلم بها أحد من رجال السفارة المصرية أو الليبية وكنت قد حصلت على جواز سفر ليبى لى ولزوجتى وبأسماء مستعارة خوفاً من مؤامرة لاغتيالى!!.

23

واعترف إسماعيل.. على فراش الموت!!

إذا كان الذهاب إلى لندن لعبة لإبعاد الشاذلى فإنها لم تستمر، وظهرت لعبة أخرى لإبعاده إلى البرتغال والمبررات موجودة، حيث قامت ثورة عسكرية ولابد لعسكرى فاهم من أن يوجد هناك، حتى وإن كانت الجالية المصرية غائبة تماماً.

والشاذلى لا يعرف المستحيل كعسكرى خبير لذلك بدأ يؤهل نفسه برتغالياً، وكانت الخطوة الأولى أن يتقن لغة أهلها فى أسرع وقت، وأن يجمع المعلومات عن تلك البلاد التى تقع على جانب المحيط الأطلسى لشبه جزيرة أيبريا تحدها من الشمال والشرق إسبانيا، وتشمل جزر الأزور وماديرا، وينتشر الملايين من أهلها فى فرنسا وألمانيا وإنجلترا ويعتنق معظم أهلها الديانة المسيحية الكاثوليكية والعملة فيها (الأشكوذو)، قامت الثورة هناك فى ٢٥ أبريل ١٩٧٤، ولذلك يترأس رئيس الجمهورية المجلس العسكرى وهو القائد العام للقوات البرية والبحرية والجوية، ويعمل بالزراعة نحو ٣٠٪ من الشعب وأهم المحاصيل القمح والذرة والشعير والأرز، ويوجد بالبرتغال ثروة معدنية أهمها الفحم واليورانيوم، والسياحة هى أهم موارد الدخل القومى، وقد تم تأميم الإذاعة والتليفزيون بعد الثورة هناك.

والسؤال الآن ماذا سيفعل السفير وأمامه متسع من الوقت فى بلد تمرد على حاكمه الطاغية «سالازار» الذى استمر فى الحكم ٣٨ عاماً، وألغى الأحزاب، وزوَّر الاستفتاءات وكان الشاذلى يشبهه بالسادات، وحقيقة الأمر هو أقرب إلى مبارك الذى استمر فى الحكم ٣٠ عاماً من الاستبداد.

ولأن الفراغ هو العدو اللدود للشاذلى فقد فكر أن ينتهز الفرصة ويؤدى فريضة الحج وطلب سفير مصر فى الرياض ليسأله، وبعد أيام فوجئ بسفير السعودية فى المغرب يخبره بأن هناك دعوة ملكية مقدمة له ولزوجته للحج وحاول الاعتذار ولم يتمكن لأن دعوات الملوك لا ترد، وعاد إلى مصر أياماً قليلة التقى خلالها أهله وأصحابه فى شبراتنا الذين طالبوه بكتابة مذكراته،

ووعدهم بأن يفعل قريباً، وعندما سافر إلى الحج تلقى دعوة للقاء الملك الذى كان يجمع كبار الشخصيات خلال موسم الحج، وسأل الملك سعد الشاذلى عن رأيه فى زيارة السادات إلى إسرائيل، فرد أنها قفزة فى الظلام، وأنه لا يؤيده وقد التقى وقتها على حمدى الجمال رئيس تحرير «الأهرام» أيامها وسأله عن رأيه فى مبادرة السلام التى أطلقها السادات، وأكد أنه لا يؤيدها وسأله إن كان سيكتب هذا الكلام ورد الجمال بالإيجاب، ولكنه عندما عاد إلى القاهرة كتب مقالاً يمتدح فيه مبادرة السلام العظيمة.

ولعل من أفضل ما خرج به الشاذلى فى هذه الرحلة بعد المدد الروحانى أنه فكر بالفعل فى كتابة مذكراته، وقد استغرق ذلك نحو سنة، ويبدو أن هذه المذكرات كانت المسمار الأخير فى نعش علاقته العاصفة بالسادات بكل ما فيها من مد وجزر.

يستعيد الشاذلى بعد رحلة الحج المباركة كلمات زميله عبد المنعم واصل عندما قال له أثناء حرب أكتوبر: يا سعد تأكد بعد النصر أن البطل الوحيد الذى سيبقى على الساحة هو السادات، فقد مات أحمد إسماعيل نهاية عام ١٩٧٤ متأثراً بمرض السرطان، وكان ذلك فى لندن وقت عمل الشاذلى كسفير لها ومن باب الإنسانية والواجب زاره فى مستشفاه، حيث يعالج، والإنسان يستشعر بقرب أجله ويحاول أن يتخفف من أثقاله، لذلك همس أحمد إسماعيل إلى الشاذلى فى لحظة صفاء:

- يا سعد.. أنا لم أظلمك لكن السادات هو الذى طلب منى أن أستبعد اسمك من احتفالات تكريم أبطال أكتوبر التى جرت فى مجلس الشعب!!

ووقتها كان يتابعها كجندى مجهول أمام شاشة التلفزيون مثل غيره من الملايين ، وكأنه لم يحارب أو يخطط للعبور العظيم، وأحزنه أن تكرم سوريا أبطالها ومعهم الشاذلى ويتم تجاهله فى بلده، واستثمر السادات كتائب الإعلاميين والصحفيين من حوله وأوحى اليهم بمهاجمة الشاذلى، وقد فعلها موسى صبرى فى كتابه «وثائق ١٥ مايو» ثم حمدى لطفى فى كتابه «العسكرية المصرية فوق سيناء» الذى تناول سيرة أحمد إسماعيل والجمسى وفؤاد ذكرى قائد القوات البحرية وحسنى مبارك قائد القوات الجوية وسعيد الماحى قائد المدفعية وآخرين من قيادات متوسطة مثل كمال حسن على

وجمال الدين محمد، بينما تناسى الشاذلى ولم يذكر حرفاً واحداً عن دوره، وعندما أصدرت الشئون المعنوية كتاباً عن حرب أكتوبر فى عام ١٩٧٧، تحدثت فيه عن الخطط والمعارك والأحداث ولم تشر إلى اسم سعد الشاذلى بأى عبارة سلبية أو إيجابية، واكتمل الأمر بكتاب السادات نفسه «البحث عن الذات» ورأينا سابقاً كيف تجاهل الشاذلى وكأنه لم يكن فى صفوف الجيش ثم جاء مبارك من بعده، واستمر على المنوال نفسه، وزاد ذلك بأن سجن الشاذلى وجرده من أوسمته ونياشينه وامتيازاته، وتمت معاملته كمتهم ومجرم حرب أفشى أسرار الدولة، ومضى الإعلام على ذلك النحو نفاقاً لمبارك، الذى استبدل صورة الشاذلى فى غرفة العمليات بصورته هو، واختصر الحرب كلها فى ضربة جوية قام بها حسنى مبارك قائد هذا السلاح، وكأن الحرب كلها هى طلعات جوية فقط قادها مبارك وحده، ولذلك كان من الصعب أن يتم تصحيح وضع الشاذلى لأن هذا معناه ببساطة من وجهة نظر مبارك سحب البساط كبطل من تحت قدميه، وكشف الحقائق أمام شعبه وهو ما لا يريده لذلك حاول بكل ما يملك إبعاد الشاذلى عن دائرة الضوء، ولما بدأت قناة «الجزيرة» فى فتح صندوق الكنز الكبير المسمى بسعد الشاذلى، كانت ضربة موجهة إلى مبارك لم يقدر على صدها، لأن الشاذلى وقتها كان قد خرج من السجن بعد انقضاء فترة العقوبة ولم يكن سهلاً الإمساك به، وقد سجل حلقات «شاهد على العصر» التى فضح فيها كل شىء، خارج مصر، وشاهدها الملايين فى مصر والعالم العربى، ومع ذلك أطلق مبارك أجهزة الإعلام المصرية لتنافقه على حساب الشاذلى، حتى تم خلع مبارك من عرشه، فى الليلة نفسها التى رحل فيها الشاذلى لملاقاة ربه نقياً صادقاً حتى اللحظات الأخيرة.

نقطة تحول

هنا قصة طريفة من الهند كتبها الفرنسى فولتير عن زيارة قام بها إلى درويش هندى اسمه «بابابيك» كان يجلس عادياً على كرسى مطرز بالمسامير، وكأنه جالس على القطن والحرير، وكانت النساء تأتى للتبرك بهذا الدرويش الذى يعلق فى عنقه سلسلة ثقيلة وزنها يزيد على ٣٠ كيلوجراماً، النساء تسأل والدرويش فوق المسامير يجيب ويقدم النصائح ودار بينه وبين صديق للكاتب هذا الحوار:

الصديق: إننى مواطن صالح وزوج صالح وصديق وفى وأحترم جيرانى وأتصدق على الفقراء.. فهل تظن أننى سأبلغ الدرجات العليا فى الجنة؟

الدرويش: وهل تجلس على المسامير أحياناً؟

الصديق: لا أفعل ذلك.

الدرويش: هذا شىء مؤسف سوف لا تتجاوز السماء الـ١٩ فى حياتك الأخرى.

الصديق: وأنت أيها الناسك المحترم فى أى سماء ستكون مع كل هذه السلاسل؟

الدرويش: أعتقد أننى سأكون أقرب إلى الأعالى فى السماء الـ٣٥ مثلاً!!

إنها مجرد حكاية بطلها درويش هندى، لكن المعنى يصلح لكل شخص، وتبدو كما لو أنها قيلت خصيصاً للشاذلى الذى كان دائماً وأبداً جالساً على المسامير التى توضع فى طريقه طوال الوقت، وهو يحولها إلى قطن وحرير، ويرتفع بها إلى أعلى.

بطولة الشاذلى الحقيقية كما قال بعض النقاد والكتاب ليست فى عقليته الحربية الفذة، لكن فى وضوحه الباهر فى زمن ضبابى، هو دائماً لا يقصد إلا الخطوط المستقيمة والأمور من حوله تلف وتدور وتناور فى المنحنيات والدهاليز.

وعندما عاد من رحلة الحج المباركة كان الكثير من الأمور قد حسم أمامه، وقرر قطع الشعرة الأخيرة مع السادات وأن يواجهه بكل قوة، وأن يلقى إليه غير آسف بالبطاقة الدبلوماسية التى تربطه رسمياً بنظامه وحكومته وقوانينه.

كان يرى الصورة عن بعد من (لشبونة) عاصمة البرتغال وها هى العلاقات مع أمريكا تزدهر على حساب الجانب السوفييتى وقد كان الداعم الرئيسى لمصر فى معركتها رغم كل شىء بعكس أمريكا التى قدمت جسراً جوياً رهيباً لإسرائيل، وهذا معناه فتح الباب للاستدانة من الخارج وهى القروض التى صنعت انتعاشاً اقتصادياً مزيفاً، حيث إن فوائد هذه القروض بعد سنوات تحولت إلى قيود صلبة ضد اقتصاد مصر الذى اتبع سياسة انفتاح السداح

مداح كما وصفه الكاتب الراحل الكبير أحمد بهاء الدين، ثم هذه الحملة الشرسة المنظمة لتشويه صورة عبد الناصر وعصره بكل السبل ومحو إنجازات ثورة ٢٣ يوليو واستبدالها بحركة التصحيح التى أطلقها السادات على انقلاب ١٥ مايو، وبذلك استمر خداع الناس باسم الديمقراطية، وبلغت الأمور ذروتها بزيارة السادات لتل أبيب أو الأراضى الفلسطينية المغتصبة فى نوفمبر ١٩٧٧، والسعى لإقامة صلحه المنفرد مع العدو، وهو القرار الصدمة لأجيال عربية تربت على كراهية العدو الصهيونى وضرورة استعادة القدس الشريف والمسجد الأقصى السليب أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومركز الحجيج المسيحى فى كنيسة القيامة بما تمثله من قداسة فى قلب كل مسيحى وكل مسلم أيضاً.

عاد الشاذلى من الحج ونواياه خالصة وقد عقد العزم على مواجهة هذه الأباطيل كلها، وكأنه يودع أهله وأحبابه فى مصر، وسافر إلى لشبونة عاصمة البرتغال، ولحقت به السيدة زينات السحيمى زوجته بعد أن أخبرها بقراره أنه لم يعد يحتمل الاستمرار فى نظام متخاذل على هذا النحو.

وكانت الزوجة بنت الأكابر والأصول تدرك أن سعد يستمد قناعته من إيمانه بالله ووطنه وعروبته، وهى معه قلباً وقالباً، وكانت الجزائر واليمن وسوريا والعراق وليبيا قد قررت قطع علاقتها مع مصر احتجاجاً على زيارة السادات لإسرائيل.

ظلت مواعيده كسفير كما هى وبرنامج عمله كالمعتاد، حتى يطلق قنبلته المرتقبة فى توقيتها الصحيح، وكما بنى خطته فى حرب أكتوبر على عنصر المفاجأة، وقد اعترف بذلك العدو الصهيونى أكثر من مرة على لسان كبار قادته!

24

ماذا تحمل المظاريف المغلقة؟!

إنها الحرب مرة أخرى... ولكنها هذه المرة لا تدور على أرض سيناء بالملابس العسكرية، إن أبواقها تصيح من لشبونة عاصمة البرتغال، وتحديداً من مقر السفارة المصرية هناك

وعلى وجه الدقة أكثر من داخل مكتب السفير سعد الشاذلى، وعلى مقربة من حفيديه هشام وكريم، وقد ذهبا إليه فى عطلة الصيف، وكان قد قرر وانتهى الأمر، اتصل به السفير الكويتى الذى أخبره بقرب وصوله إلى البرتغال، واتصل به شقيق زوجته الذى أعلن عن زيارة عائلية قريبة، كل هذا يتم، وفى يوم ١٩ يونيو ١٩٧٨ كان سائق السفارة يحمل عدة مظاريف مغلقة إلى عدة جهات فيها ورقة الخلاص النهائية والقاطعة بينه وبين السادات، كانت المظاريف المغلقة تحمل بياناً من الشاذلى تم توزيعه على وكالات الأنباء والصحف وسنلاحظ أن الرجل استثمر المناخ الثورى فى البرتغال والذى يتفق مع قراره وطبيعته وقد قال فى بيانه الخطير: «لقد اتضح أن نظام السادات ليس أفضل من نظام سالازار أو نظام كايتانو الذى أسقطته الثورة البرتغالية فى ٢٥ أبريل ١٩٧٤ كما أنه ليس أفضل من نظام فرانكو الذى سقط فى إسبانيا بعد موته فى نوفمبر ١٩٧٤ إن إجراء الانتخابات وخلق بعض المؤسسات الدستورية فى بلد ما، لا يعنى بحال من الأحوال أن الديمقراطية قد تحققت فى هذا البلد».

إن القوانين التى أصدرها السادات مؤخراً لهى أشد قسوة من كل ما أصدره سالازار طوال حكمه من قوانين ظالمة، وتحت شعار الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى، لقد كان سالازار يزج بخصومه السياسيين فى السجون بموجب قوانين وضعها هو بنفسه وصادق عليها أعضاء البرلمان الذين أتى هو بهم بالتزوير، السادات يكرر المشهد بحذافيره، ويستطيع أن يسوق معارضيه إلى السجون، أو حتى إلى حبل المشنقة إنه يعتبر كل من ينتقد زيارته للقدس تهديداً للوحدة الوطنية.

ولو أن هناك ديمقراطية حقيقية فى مصر لما اختار أبناء مصر هذه السياسة الخارجية الخاطئة التى يدفعنا إليها السادات، وقد أدت إلى أن أصبحت إسرائيل أشد تعنتاً فى مطالبها، وتدهورت القدرة القتالية للقوات المسلحة لتصل إلى ٦٠٪ مما كانت عليه قبل حرب أكتوبر، واهتز التضامن العربى وبدأ يتفكك ولو أن هناك ديمقراطية فى مصر لما تجرأ السادات على نشر مذكراته بينما هو لا يزال فى موقعه كرئيس للجمهورية لقد تعودنا أن نقرأ مذكرات كبار السياسيين والعسكريين، ولكن بعد اعتزالهم الخدمة. أما أن يكتب أحدهم مذكراته وهو لا يزال يشغل منصبه فإن هذا لم يحدث قط فى بلد فى العالم...إن طريق الديمقراطية فى مصر هو طريق صعب ولكنه الطريق الوحيد الذى يمكن من خلاله أن تصل مصر إلى مستقبل أفضل، عاشت مصر وعاشت الديمقراطية».

هذا الجزء الأخير من البيان توقفت أمامه طويلاً بعد إعلان انتخاب الرئيس محمد مرسى كأول رئيس مدنى منتخب فى مباراة نزيهة تماماً، مع منافسه الفريق أحمد شفيق المحسوب على نظام مبارك...تذكرت بيان الشاذلى وكأنه قد كتبه أيضاً فى عصر مبارك وفى شكل حلم كان يراوده هو والملايين غيره، ويراه الغالبية صعب المنال لكنه تحقق فى مصر بعد ثورة ٢٥ يناير وقد رحل الشاذلى ليلة انتصارها وخلع مبارك وكأنه قد اطمأن إلى ذلك، وكان شديد الثقة أن الديمقراطية مقبلة لا محالة وكما تصورها قبل ٤٠ عاماً تقريباً، وهناك فى لشبونة، حيث يلعب العسكرى بأدوات وأسلحة السياسة على أعلى مستوى، ويخاطب شعب البرتغال بما يعرفه، ولكن البيان القنبلة سرعان ما كان صداه وردود أفعاله مدوية بعد ساعات قليلة من إعلانه فى جميع أنحاء العالم، سارعت وكالات الأنباء والقنوات الفضائية للاتصال بالسفير المتمرد وأجرت محطة (BBC) البريطانية حواراً مطولاً معه، وجرت عدة اتصالات مع مجموعة من السفراء العرب فى لشبونة يعلنون تضامنهم الكامل مع الشاذلى، ويعرضون استضافته فى بلادهم، وعرض صدام حسين نائب الرئيس العراقى وقتها أن يستضيفه، وفى مصر نشرت الصحف يوم ٢٠ يونيو قراراً من وزارة الخارجية بالاستغناء عن خدمات سعد الشاذلى لأن الوزارة علمت أنه على اتصال بالقذافى وأنه وعده بمنصب كبير فى الجيش

وراتب يوازى أضعاف راتبه كسفير عدة مرات،وقتها أخفى الشاذلى وجهته وطلب تأشيرة سياحية إلى إسبانيا وسافرت معه مجموعة تأمين جزائرية وعراقية إلى مدريد، ومن هناك أخذ الطائرة إلى الجزائر، حيث قوبل بحب وتقدير غير متوقعين وعاش هناك فترة من أجمل سنوات عمره.

وتحكى السيدة زوجته كيف كانت العائلات تتسابق لزيارة الشاذلى فى قصره الكبير وقد وفروا له جميع أسباب الراحة، ولكنه رفض معاملته كلاجئ سياسى، واعتمد على دخله من كتابة المقالات فهو شديد الحساسية فى مثل هذه الأمور مهما تكن درجة ترحيب القيادة الجزائرية به وكان أحفاده يذهبون إليه فى إجازاتهم الدراسية ولكنه المنفى وإن كان فى الجنة، ولابد من الوطن ولو طال الأمد.

وكثيراً ما كان الرئيس هوارى بومدين يلتقى به وكذلك كبار رجال الدولة واعتبره المصريون الذين يعملون فى الجزائر بالتدريس على وجه الخصوص سفيراً لهم يعرضون عليه مشاكلهم ويحاول حلها بكل الطرق، وكانوا قد شددوا الحراسة عليه خوفاً من اغتياله عن طريق السادات ورجاله ولكن حرية الحركة داخل الجزائر ومنها وإليها كانت مكفولة له،أما سر اختيار الجزائر دون غيرها فيرجع إلى ثورية الجزائر ونظامها الذى ينسجم إلى حد كبير مع أفكاره بعكس حزب البعث العراقى الذى يختلف معه، وقد ارتبط الشاذلى بصداقة وطيدة مع الرئيس الجزائرى هوارى بومدين عندما كان الشاذلى أميناً عاماً مساعداً عسكرياً لجامعة الدول العربية، وقد طلب بعد تعيينه رئيساً للأركان بعض الأسلحة من الدول العربية وكان رد السادات أن الجزائر والمغرب على وجه الخصوص لن يتعاونا مع مصر، لكن الشاذلى تصدى لهذه المهمة وسافر فى فبراير ١٩٧٢ إلى الجزائر والتقى بالرئيس بومدين ووعده بأن تقدم الجزائر جميع المساعدات العسكرية المطلوبة بشرط أن تكون هناك نية صادقة للحرب.

وفى سبتمبر ١٩٧٣ قبل الحرب بأسابيع قليلة سافر الشاذلى باسم مستعار إلى الجزائر والتقى بالرئيس الجزائرى وأخبره بميعاد الحرب وتباحثا بشأن السلاح وخطة الحرب ووعد بومدين أن يتصل بالسادات للاتفاق معه على التفاصيل، وعندما اندلعت الحرب قدمت الجزائر سرب (ميغ ٢١) وسرب (سوخوى ١٧) وسرب (ميغ ١٧) ولواءً مدرعاً واحتلت المركز الثانى فى ترتيب

الدول العربية الداعمة لمصر وسوريا فى حرب أكتوبر، بينما احتلت العراق المركز الأول، وجاءت ليبيا ثالثاً يليها على الترتيب: الأردن، المغرب، السعودية، السودان، الكويت، تونس.

وكان من الممكن للتعاون العربى أن يحقق أفضل صورة مما ظهر به لولا التأخير فى إرسال الأسلحة أحياناً وعدم ملاءمة نوعيتها لخطط المعركة ومواجهة أسلحة إسرائيل المتقدمة جداً، لكن حسن النوايا هنا يكفى ويستحق الشكر لأن هذا الحشد العربى لم يحدث منذ إنشاء دولة إسرائيل.

ويكتب الشاذلى وثيقة وتوصية عسكرية بالغة الأهمية للعرب، يقترح فيها بناء نظام دفاع جوى يستطيع الدفاع عن القوات المسلحة، ويوفر لها الحماية قبل بدء العمليات الحربية مع العدو.

وتكون أسبقية رفع الكفاءة للجيوش العربية للقوات الجوية والدفاع الجوى ثم القوات المدرعة، ونصح الأمين العام المساعد العسكرى لجامعة الدول العربية فى هذا الوقت، بشراء السلاح وفق احتياجات كل دولة، وأن تكون الأسلحة حديثة، ويتم التدريب عليها أولاً بأول، مع الاهتمام بالإنتاج الحربى.

١٣ عاماً

١٣ عاماً قضاها الشاذلى بالجزائر ضيفاً عزيزاً كريماً ومحارباً صلباً ومعارضاً للسادات يتحرك بين الدول التى عرفت بالصمود والتصدى كرجل سياسى وطنى، واستثمر وقته على أفضل ما يكون.

نشر مذكراته عن أكتوبر ثم أتبعها بكتاب «٤ سنوات فى السلك الدبلوماسى»، وكتاب «الخيار العربى الاستراتيجى» وكان كتابه الرابع «الحملة الصليبية الثامنة»، وعندما دخلت الجزائر فى نفق الحرب الأهلية بعد انقلاب القادة العسكريين على نتائج الانتخابات البرلمانية التى جاءت بالإسلاميين إلى الحكم، وعلى إثرها تم عزل الشاذلى بن جديد رئيس الجمهورية وتحديد إقامته وتم إعلان الأحكام العرفية وبدأ الجيش الجزائرى فى الإجهاز على رموز وقادة جبهة الإنقاذ، وإثارة الاضطرابات فى مختلف أنحاء البلاد وتم تدبير عدة مذابح وإلصاق تهمة فعلها بالإسلاميين لكن الرجل الذى انتصر دائماً وأبداً للديمقراطية رفض أن ينقاد لأعداء الديمقراطية.

وقد استعان العسكر فى الجزائر ببطل سابق شارك فى ثورة التحرير هو محمد بوضياف لتولى الحكم بدلاً من الشاذلى بن جديد وبدأت مضايقات بعض المسئولين لسعد الشاذلى بعد اغتيال محمد بوضياف، وبدأ البعض يخطط للاستيلاء على القصر الذى يسكنه فور أن علموا بنواياه فى العودة إلى مصر.

ويذكر الكاتب مصطفى عبيد على لسان أحد الصحفيين الجزائريين الذى التقى الشاذلى بالخرطوم بعد سنوات حبسه فى مصر وسأله إن كانت فى نفسه غصة مما فعله بعض الجزائريين فقال ضاحكاً للصحفى:

- يا أخى لا يمكن أن آخذ الشعب الجزائرى كله بذنب قلة قليلة، ويكفى أن هذا الشعب قد احتضننى بكل الحب سنوات طويلة.

وعاد الشاذلى إلى مصر وكان هناك من أوحى إليه بالبراءة من الحكم الذى صدر بسجنه عام ١٩٨٣ بسبب نشر الأسرار الحربية فى مذكراته وإفشاء معلومات تخص أمن الدولة، وأبلغ أسرته بعودته، وكانت قد سبقته إلى مصر، ونزلت الطائرة به إلى مطار القاهرة وتأكدوا أنه كان بين ركابها ولكنه لم يغادر المطار، ولم يصل إلى بيته.

وبدأت المخاوف تتسرب إلى قلب زوجته وابنته وعائلته وأدركوا أن المسألة لم تعد تحتمل السكوت، واتصلت الزوجة بقصر الرئاسة وطلبت إبلاغ مبارك بأنها سوف تعتصم أمام القصر إذا لم يتم الإعلان عما جرى له وعن مكان وجوده، وقامت شهدان ابنته الكبرى بإبلاغ الإذاعة البريطانية باختطاف والدها، وفى اليوم التالى تم إبلاغهم بأن الفريق محتجز فى التحريات العسكرية، وأن سيارة خاصة دخلت إلى حرم المطار واصطحبته من بين الركاب مقبوضاً عليه، ويجب ترحيله فوراً إلى السجن الحربى!!.

25

وتصرف طنطاوى بشهامة الرجال!!

لحظة لم يكن يتصورها مدير السجن الحربى.. عندما وجد نفسه وجها لوجه أمام أستاذه فى العسكرية ومعلمه.. ولكنه يحمل لقب سجين!!

فجأة وجد مدير السجن الحربى اللواء محمد أشرف أن السجين الذى يقف أمامه هو الفريق أول سعد الدين الشاذلى أستاذه ومثله العسكرى الأعلى، فقام تلقائياً وأدى له التحية العسكرية رغم أن هذا يخالف التعليمات، وبعد قليل تلقى مكالمة تليفونية تخبره بضرورة الذهاب صباحاً إلى مكتب وزير الدفاع المشير طنطاوى لأمر مهم، وظل يضرب أخماساً بأسداس للعقاب الذى ينتظره بسبب ما أقدم عليه رغماً عنه ودخل إلى مكتب طنطاوى، وقال له بوضوح:

- الخلاف السياسى مع الفريق سعد الشاذلى لا ينسينا أفضاله على الجيش وعلى مصر كلها.

ثم بدأت الاتصالات تنهال على مدير السجن من كبار ضباط الجيش يوصونه خيراً بالفريق المعتقل، وكانت تعليمات طنطاوى صريحة يجب أن توفر كل أسباب ووسائل الراحة للفريق الشاذلى، فقام بتجهيز جزء من مستشفى السجن كجناح خاص به أجهزة رياضية لرجل تخطى السبعين فى هذا الوقت وحرصه على الرياضة بلا حدود، كان صلباً كسنديانة، ويقظاً كشاب يتفجر بالحيوية، صافى الذهن كحكيم شديد الحرص على كل ثانية من الوقت، يحفظ نتائج التحليل الطبى الدورى الذى يجريه، ويناقش الأطباء كأنه من خريجى الطب، ويناقش هيئة الدفاع عنه وهم من كبار المحامين مثل: سليم العوا، عبد الحليم رمضان، محمد حلمى مراد، كأنه يحفظ القانون عن ظهر قلب.

هو الآن السجين الذى يسأل عن حقوقه وواجباته، لا يريد أكثر من حقه، ولا

يزيد رغم أنهم فتحوا له المجال، زيارات بلا حدود، ووضع لنفسه برنامجاً لا يحيد عنه:

الاستيقاظ فى السادسة صباحاً يصلى الصبح ويقرأ القرآن الكريم لمدة نصف ساعة، ثم يمارس الرياضة على الأجهزة لمدة ساعتين، بعدها يأخذ الحمام ثم الإفطار، وهو لا يزيد على ملعقتى فول وقطعة من الجبن، وربع رغيف وكوب من اللبن، ثم يقرأ الصحف ويتابع المستجدات فى نشرات الأخبار تلفزيونياً ويسجل ملاحظاته فى نوتة لم تكن تفارقه فإذا دقت الثالثة عصراً جلس إلى الغداء المكون من الخضار السوتيه وقطعة لحم لا تزيد على ٩٠ جراماً، وملعقتى أرز بالعدد ويرتاح لمدة ساعة، وعند الخامسة يتناول ثمرة طماطم واحدة ومثلها من الخيار، ثم يعود لقراءة الصحف ومشاهدة الأخبار ويكون العشاء زبادى وملعقة عسل وينام بعد نشرة أخبار التاسعة، ويقوم على خدمته مجند خريج سياحة وفنادق وحارس خاص مراسلة، كان يسحب سلك الكهرباء ويحسب بالدقيقة كم يستغرق غلى الماء لكى يفصله، ولا يجلس أمام التليفزيون أكثر من اللازم، وعائلته تعرف أنه سوف يأمرها بالانصراف بعد نصف ساعة هى زمن الزيارة مثل غيره من سجناء ونزلاء السجن الحربى، وكان يلتقى بهم فى صالون ملحق بمكتب مدير السجن الذى كان يتعذب وهو يرى هذا القائد فى محبسه، وغيره فى أعلى المناصب، وطلب منه أن يكتب عفواً لكى يتم الإفراج عنه بقرار من مبارك وحذره من أن يعيد هذا الكلام عليه مرة أخرى حتى لو قضى فى السجن ما تبقى من العمر، ولما قضى نصف المدة وهى سنة ونصف السنة كتب مدير السجن اسمه فى كشف المفرج عنهم لحسن السير والسلوك وهو أمر متبع فى السجون، ولكنه أيضاً رفض خوفاً من أن يتم شطب اسمه، أو يظهر أمام مبارك فى حالة ضعف وتوسل، وكان مبارك هو الذى يرسل إليه بالمندوبين يخبرونه بذلك ولكنه يردهم، فى خيبة ويفوت الفرصة عليه أن يكسب بطولة زائفة على حساب بطل حقيقى دخل سجنه زوراً وبهتاناً، حتى يكسر شوكة المهندس الحقيقى لحرب أكتوبر.

وجمعته مع مدير السجن جلسات طويلة ودية، ونصحه خلال إحداها بأن يكثف الحراسة على السجن والرجل يعرف أنه مستهدف، وكان من بين من ذهبوا إلى الشاذلى فى محبسه ينصحونه بكتابة التماس إلى مبارك اللواء

هتلر طنطاوى وكان وقتها الأمين العام لوزارة الدفاع. وفى لحظات الأنسٍ التى زادت أواصر المحبة بين مدير السجن وأستاذه الشاذلى تحدث طويلاً عن أمنيته أن يتوحد العرب وأخبره بزيارته للعراق قبل هجوم قوات التحالف لتحرير الكويت فهو يؤمن بأن غزو العراق للكويت كان خطيئة كبرى، فالكويت دولة عربية ذات سيادة ويجب احترام حدودها، وقد نصح صدام بأن يترك الكويت وينسحب ، لأن أمريكا تريد استثمار هذه الفرصة، ووضع يدها على المنطقة بأكملها، ولكن صدام لم يستمع إلى النصيحة. ولما عرف بأمر الإفراج عنه لمرور نصف المدة انزعج وطلب أن يقرأ نص القرار حتى يتأكد أنه ليس منحة من مبارك أو تفضلاً عليه.

دراما المذكرات

ماذا فى تلك المذكرات التى أصر الشاذلى على نشرها وفضح المؤامرة عليه وكشف الحقيقة للتاريخ بعد أن رفضوا محاكمة علانية، وعندما علم نظام مبارك بأمر المذكرات وكان يعرف بها من أيام السادات وقت أن كان نائباً، استخدم كل نفوذه خارج مصر لمنع نشرها بالترهيب والترغيب مع دور النشر العالمية.. والحكاية ترويها شهدان ابنة الفريق الكبرى التى علمها كيف تقفز بالمظلات وفعلتها أمام جمال عبد الناصر، لكى يثبت أن البنت قد تكون أشجع ألف مرة من عشرات الرجال تقول:

توجهت إلى إنجلترا ومعى نسخة إنجليزية من المذكرات، وقابلت باتريك سيل وهو صحفى ومحلل مشهور فى صحيفة الأوبزرفر، ويمتلك داراً للنشر وله علاقات عربية واسعة واقتنع بأهمية الكتاب ولكنه سرعان ما تهرب ولا يرد حتى على تليفوناتى، واتجهت بالكتاب إلى أمريكا، وتحديداً إلى مجموعة (أراب أمريكا) ورفضوا نشر الكتاب فى بلد الحرية، وبعض الأصدقاء رشحوا لى الدكتور الكيالى الفلسطينى الذى يمتلك دار نشر العالم الثالث، ومرة أخرى دخلت فى دوامة من الرفض غير المقنع، وعدت مرة أخرى إلى أمريكا وعرفت أن اللوبى الصهيونى كان أيضاً يمارس ضغطه لعدم نشر الكتاب الذى يروى حقائق حرب أكتوبر بالأرقام وبكل دقة، وكان هدفهم إفساح المجال للكتب الإسرائيلية وحدها لكى تعطى انطباعاً للعالم بأن إسرائيل قد انتصرت فى حرب ٧٣ ولم تخسرها، خاصة بعد ثغرة الدفرسوار.

والمفاجأة التى عرفت بها بعد ذلك اغتيال الناشر الفلسطينى الكيالى بعد أن عاد وأبدى موافقته على نشر الكتاب. وكان الحل الأخير هو نشر الكتاب على نفقة المؤلف وتم ذلك بالفعل وسط مخاوف من مصادرة الكتاب أو منعه وهو ما فعله نظام مبارك بالفعل، حيث لم يتم الإفراج عن المذكرات إلا بعد رحيل مبارك لدرجة أن بعض دور النشر قامت بطبع الكتاب دون إذن المؤلف فى طباعات رخيصة، ورغم الضجة التى أثيرت حول الكتاب إلا أن مبيعاته فى بداية الأمر كانت متواضعة وتدريجياً بدأ تسريبه إلى مصر وارتفعت معدلات التوزيع ونفدت الطبعات الواحدة بعد الأخرى فى لغات مختلفة بعد أن تناولت كبرى الصحف الإنجليزية موضوع المذكرات. لقد اكتشف الملايين فى الشاذلى محللاً سياسياً بارعاً كما عرفوا عنه بطولاته العسكرية التى حاول السادات ومن بعده مبارك على وجه الخصوص حجبها فإذا بها تزداد وتكبر.

ورغم رحيل مبارك عن السلطة، ورحيل الشاذلى عن الحياة فى يوم واحد (١١ فبراير٢٠١١م)، فإن أعوان مبارك حاولوا بكل السبل وفى شركات الإنتاج الدرامى على وجه الخصوص منع ظهور مسلسل تلفزيونى عن الشاذلى كنت قد شرعت فى كتابته، بعد أسابيع قليلة من هذا التاريخ، خاصة أن الأخبار التى نشرت حول المسلسل أكدت أن حلقاته سوف تكشف بالدليل القاطع عن جريمة مبارك فى حق الشاذلى وسر كراهيته له، وخوفه من الشعبية الطاغية التى يتمتع بها هذا البطل، والمعروف أن أغلب شركات الإنتاج الكبرى لها علاقة من قريب أو بعيد بمبارك، وكانت تعليماتهم، بعمل المسلسلات السطحية التى تبعد العقول عن التفكير فى هموم الوطن، وصرف الأنظار عن الأبطال الآخرين والتركيز فقط على بطل الضربة الجوية.

قمت بزيارة شبراتنا وتقابلت مع عدد من أفراد عائلة الشاذلى من أبناء عمومته، وزرت المسجد الذى قام بتشييده فى القرية بجوار فيللا صغيرة خصصها لسكنه خلال وجوده فى القرية وقد كان حريصاً على التواصل مع أهله وأقاربه وحل مشاكلهم ومساعدة فقراء القرية وأنشأ لهم بجوار المسجد عيادة طبية مجانية، ومع ذلك حاربت وزارة الأوقاف إقامة المسجد ورفض هو أن ينضم إليها ويصبح تحت ولايتها.

ومن العجيب أنك فى مدخل القرية سترى لافتة كبيرة على مبنى المدرسة

الابتدائية تحمل اسم (حسنى مبارك)، وبعد ثورة ٢٥ يناير نزع الأهالى هذه اللافتة التى كانت فى مرمى البصر للقادم والذاهب من بيت الشاذلى إلى خارج القرية أو داخلها، وكثيراً ما قال لأقاربه. وهو يرتدى الجلباب والعباءة مثلهم: أنا لا أكره مبارك ولا أكن له أدنى عداوة، لكنى اختلف معه فى أسلوب حكمه، وأتمنى أن أرى بلادى تعيش حياة ديمقراطية سليمة، يتم فيها انتخاب رئيس الجمهورية عن طريق الشعب.

وفى آخر أيامه كان يحذر من عملية التوريث ويخشى منها، ويرى أن الشعب ربما يستسلم لها فى أول الأمر، لكنه حتماً سوف يتمرد عليها ويرفضها ويحاربها، كان يعرف جيداً أن الشعب مهما يظهر صبوراً حمالاً للظلم، فإنه عندما يصل إلى نقطة النهاية يقهر ظالمه مهما يكن، ويستشهد فى ذلك بالتاريخ العظيم لمصر التى قهرت المستعمر عبر معاركها وغزواتها العديدة، لكن أهمها وأخطرها معركة بناء وطن قوى مستقل غير تابع أو ذليل يمد يد التسول إلى أمريكا وغيرها، وهو الذى يمتلك كنوز الأرض كما جاء فى القرآن الكريم.

فى أيامه الأخيرة كان يراهن على انتصار الشعب، وكسب رهانه، ومن ير أسرته وأحفاده كيف شبوا على الوعى والكبرياء ونزلوا ميدان التحرير مع ملايين الشباب من أمثالهم فى ثورة يناير فسوف يدرك أن الشاذلى انتصر فى معركته مع العدو وانتصر فى معركة الحياة وقهرها فى أصعب المراحل والمواقف، لأنه ببساطة (رجل ضد الكسر).

26

أمتار قليلة بين الجانى والمجنى عليه!

فى المركز الطبى العالمى قضى الفريق الشاذلى أيامه الأخيرة، وهو لا يعرف أن أمتاراً قليلة سوف تفصله عن مبارك عندما يحل ضيفاً على المركز أثناء محاكمته فى قضية قتل المتظاهرين التى حصل فيها على المؤبد، وكان قبلها يعيش فى شرم الشيخ بعيداً عن المناطق المشتعلة بالغضب والتى تنادى فى أغلب ميادين مصر بالقصاص منه ومن نظامه.

على غير موعد أو ترتيب وبفارق زمنى بسيط جمع المركز العالمى على طريق مصر - الإسماعيلية المختلفين، الشاذلى الذى اختار أن يكون عسكرياً صادقاً ووطنياً وعربياً إلى آخر المدى مهما يكلفه ذلك من تضحيات ومواجع وخسارة خاصة، وبين مَن ارتضى بالسلطة والصولجان حتى لو كان الثمن أن يدوس على أبطال وقيم ومواثيق، ولِمَ لا وهو الذى انبهر مبكراً بكل ما هو أمريكانى وبالتالى بالصداقة مع إسرائيل على حساب شهداء غزة وضحايا الجبروت الصهيونى، بينما اتجهت بوصلة العداء المبالغ فيه نحو إيران بحجة الخوف من التشيع أو الهيمنة!!

وقبل أن يدخل الشاذلى فى مرضه الأخير، كان يصلى الجمعة فى أحد المساجد القريبة من بيته ويلتقى مع قادة قدامى أصابهم التجاهل والنسيان، وأهملهم الإعلام لحساب محاسيب مبارك ونظامه وكان يقول لهم بابتسامته المشهورة:

- يا أولاد لقد فعلنا ما فعلناه ليس من أجل الإعلام ولا من أجل التاريخ ولكن ابتغاء وجه الله، وهو وحده سبحانه الذى يعلم النوايا وما تخفى الصدور، وسيحاسب كل إنسان على عمله، ويجب أن نبتهل إلى الله أن يتقبل منا ولا تخشوا شيئاً وسيأتى اليوم الذى تظهر فيه الحقيقة سواء كنا فى دار الفناء أو دار البقاء، ولا تنسوا أن الملك رمسيس قام بحذف آثار كل من سبقوه، ونسب كل شىء إلى نفسه فقط، وبعد آلاف السنين عاد الحق إلى أهله والحق أحق أن يُتبع.

وفى بيته وخلال زيارة قمت بها للأسرة، فى حضور ابنتيه سامية وناهد وزوجها والحفيدين طارق وكريم قالت لى زوجة الفريق السيدة زينات:

- عندما يسألنى صحفى من أين أتى الشاذلى بهذه النظرة البعيدة التى يستطيع بها تحليل أمور السياسة كأنه أحد رجالها، ثم يتحدث فى العسكرية وتاريخه فيها يتحدث عن نفسه، كانت إجابته: لابد للإنسان فى كل موقع أن يتسلح بالمعرفة، وهى التى تحقق له أن يتخذ القرار الصائب، لقد كنا نعانى خاصة فى حرب عام ١٩٦٧ من العشوائية فى اتخاذ القرارات دون دراسة أو علم أو تخطيط، ولما أدركنا ذلك وبدأنا نصحح هذا المفهوم كان لنا النصر فى أكتوبر.

وتضيف السيدة زينات:

كان الفريق الشاذلى لا يبخل بوقته فى القراءة ومهما تكن مشاغله فهو يحرص على متابعة كل ما ينشر هنا وهناك فى مجالات المعرفة المختلفة، لذلك أجاد عدة لغات أسهمت فى تعمقه ثقافياً ومتابعة الأحداث العالمية من منابعها، وقد استثمر فترة سجنه وقرأ القرآن الكريم وختمه ثلاث مرات وحفظ الكثير منه، وتدينه هذا جعله لا يتنازل عن حقه ولا يفرط فيه، وإذا كان خلافه مع السادات كما يراه البعض خلافاً بين قائد سياسى وقائد عسكرى وهذا صحيح، لكن الأصح أن القرار فى يد رئيس الدولة لكن وجهة النظر السياسية ليست حكراً على الرئيس، وفى النظم الديمقراطية تتدخل المؤسسات المختلفة حسب تخصصها، وأكثر ما كان يزعجه الكذب ومغالطة الواقع والخصومة غير الشريفة بحيث تظهر أمامه بوجه ومن خلفه بوجه آخر مختلف تماماً، وقد عانى من ذلك كثيراً، وكان يعرف ويردد أمامنا أن الانسان مهما يأخذ من الدنيا فلن يأخذ معه إلا عمله الصادق والنافع للناس.

وقد أجرى الشاذلى حواراً مطولاً مع صحفى جزائرى انتهز فرصة وجوده فى طرابلس (أكتوبر ١٩٨١) وكان وقتها شكل ما يسمى بالجبهة الوطنية وكان حسنى مبارك فى مستهل ولايته بعد أيام من رحيل السادات وقيمة الحوار وأهميته أنه يكشف عن عبقرية الرجل وثوريته التى لم تتوقف يوماً، فقد كان مصرياً عربياً حتى النخاع، وفى البداية سأله مالك على:

● من هى الأطراف المشاركة فى الجبهة الوطنية؟ وما هو برنامج الحد الأدنى الذى تتفق عليه اليوم القوى المشاركة فى الجبهة. واستطراداً: هل جميع الأطراف متفقة على قيادتكم اليوم وفى المستقبل، والعلاقة مع (الإخوان المسلمين) إذا كانت موجودة، هل تتخذ طابع التنسيق؟

●● فيما يتعلق بالقوى الأساسية داخل الجبهة، فهى كما أعلنا فى ميثاق الجبهة فى ٢٧ مارس فى دمشق: خمسة تيارات رئيسية هى: التيار الدينى والتيار الناصرى والتجمع الوطنى المصرى فى الخارج والمستقلون والماركسيون، هذه هى القوى الرئيسية التى كانت موجودة فى الجبهة عند تشكيلها، وهذه هى القوى المنضمة تنظيمياً إلى الجبهة، والتى تتكون منها القيادات فى الجبهة، ولكن هناك قوى أخرى تعتبر من القوى المؤيدة للجبهة وإن كان ليس لها وجود تنظيمى داخلها، هذا فيما يتعلق بالداخل.

أما الجزء الثانى من السؤال حول ما يتعلق بالإخوان المسلمين كقوة سياسية فلا يوجد أى ارتباط تنظيمى بين التيار الدينى الموجود داخل الجبهة والإخوان المسلمين كحركة سياسية.

● ما موقفكم من النظام المصرى بعد ذهاب السادات للقدس؟ هل يمكن التعاون مع النظام الجديد، وبأية شروط، ولأى مدى؟

●● الخلاف بيننا وبين السادات لم يكن خلافاً شخصياً، لقد كان الخلاف بيننا وبين السادات كنظام وكرمز لنظام معين، نظام ديكتاتورى يفرض ما يريد على الشعب، ويصدر القوانين التى يريد، ويرفع شعار سيادة القانون، ولكن هذه القوانين هى قوانين ظالمة وكان شعار السادات تقنين الظلم، ولو قرأ المرء ما قام به السادات وقارن بينه وبين سالازار يجد تطابقاً شديداً، لأن سالازار فى البرتغال كان يقتص من خلال القوانين ويعاقب كل واحد بحجة مخالفة القوانين فى كل الميادين، والسادات يقوم بنفس العملية، وفى القرن الماضى كانت هناك قوانين تقنن الرق، فهل معنى هذا أننا يجب أن نأخذ بهذه القوانين؟، كلا!، لأن هذه القوانين تتعارض مع وثيقة حقوق الإنسان التى وافقت عليها الأمم المتحدة، ووافقت عليها مصر، وتعتبر مصر لذلك ملتزمة بها، وأية قوانين تصدرها مصر أو أى بلد آخر تتعارض مع هذه المبادئ تعتبر ظالمة ولا يجوز الاعتراف بها، نحن إذن ضد هذا النظام الذى يسن القوانين كما يشاء، فالسادات تجاوز كل ذلك عندما أصدر قانون العيب، وهذا القانون غريب جداً لم يحدث قبل ذلك وليس له سابقة فى التاريخ، وكلمة العيب هذه كلمة متروكة، والسادات كان يقول دولة العلم والإيمان فكيف يقول بذلك، وكان يستخدم هذا القانون ضد كل من يعارضه.

إذن، لم تكن هناك خلافات شخصية بيننا وبين السادات، بل إن الخلاف كان بيننا وبين النظام القمعى الذى نريد أن نسقطه ونتخلص منه، فعندما جاء حسنى مبارك حاولنا أن نفتح له الباب ونعطيه الفرصة، نحن نعلم أن النظام الديمقراطى يمنحه سلطات ضعيفة ومحدودة ويكون مضطراً - لكى يواصل العيش - أن يوافق على إرساء ما ليس مقتنعاً به، فأعلنا فى البيان رقم ٢ أننا لا نعتبر حسنى مبارك مسئولاً عن جميع الأخطاء لنفتح أمامه الباب ليستغل هذه الفرصة، ويصحح المسار، فما كان منه إلا أن أعلن أنه سيسير على درب السادات فى كذا وكذا، وكأن السادات لم يمت، وفى حديث أجراه مبارك مع «النيوزويك» قال لهم حول سؤال عن أفكاره الجديدة والمستقبلية إنه ليس له أى أفكار بل سيتابع نفس أفكار السادات وتصورات السادات، إذن السادات لم يمت، وهو يعيش اليوم فى حسنى مبارك، وهنا نختلف مع حسنى مبارك، ولابد أننا سنصطدم بالنظام ونعتبره نظاماً فاشياً يسير على أسلوب السادات نفسه.

أقول هذا وأضيف، إنه فى أى وقت يتخذ فيه حسنى مبارك خطوة إيجابية فسنكون أول المهنئين بذلك، مثل الإفراج عن المعتقلين، وإنهاء قانون الطوارئ وتجميد القوانين سيئة السمعة، وهذه خطوة نحو الديمقراطية التى نريدها، نحن نريد حكماً ديمقراطياً سليماً أساسه الجمهورية البرلمانية، حيث لا يتمتع رئيس الجمهورية بأى سلطات سياسية أو بسلطات بسيطة جداً، وتبقى السلطة الحقيقية فى يد البرلمان، ويجب طبعاً تعديل الدستور، لأن الدستور المصرى كما هو حالياً يجعل من أى مصرى ديكتاتوراً لأنه يمنح الحاكم، أى رئيس الجمهورية، سلطات واسعة تجعله ديكتاتوراً حتى لو لم يكن يريد ذلك، خاصة بعد التفاف المنافقين حوله والتأثير عليه، فيصبح الحاكم وهو يحسب نفسه ظل الله على الأرض، كل هذا يشكل خطوة نحو الديمقراطية.

● ما الوسائل التى تعتبرونها أكثر فعالية للوصول إلى أهدافكم هذه؟

●● كما سبق أن قلت، إن النظام الديكتاتورى للسادات ومن بعده حسنى مبارك هو نظام عنيف لا يقاوم إلا بالعنف المضاد، ونحن نقوم بالعنف المضاد بكل الوسائل الممكنة والمتيسرة لدينا.

وجوه

و

ملامح

(1)

والله العظيم اقول الحق

مثيرة وحافلة بأشكال الدراما كلها، حياة الفريق الشاذلى وسترى كيف أن بطولاته تجاوزت الميدان العسكرى، إلى الميدان الإنسانى فهو مقاتل شرس فى الدفاع عن قناعته، ويذهب فى ذلك إلى حد المطالبة بالتحقيق معه، ومع غيره، وهنا يكتب مقدمة الطبعة الرابعة لكتابه «مذكرات حرب أكتوبر» الذى أثار جدلاً واسعاً، وصدر لأول مرة فى عام ١٩٨٦، ثم يتحدث عن قرار اتهامه بإفشاء أسرار عسكرية من خلال هذا الكتاب، ويقول فى المقدمة مع ملاحظة أنه كثيرا ماً يتحدث عن نفسه بقوله الشاذلى ولا يقول (أنا)، وهذا التعبير يعنى الكثير.

الأشغال الشاقة

عزيزى القارئ مضى أكثر من ١٢ سنة منذ أن صدرت الطبعة الثالثة، وقعت خلالها عدة أحداث مهمة تتعلق بما جاء فى هذا الكتاب، وقد رأيت أنه من واجبى تجاه القارئ أن أنوه عن هذه الأحداث، وأعقب عليها، ويمكن إجمال هذه الأحداث فيما يلى: أصدرت محكمة عسكرية بتاريخ ٨٣/٧/١٦ حكماً غيابياً على مؤلف الكتاب بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات بتهمة إفشاء أسرار عسكرية، وترتب على إذاعتها الإضرار بأمن وسلامة البلاد، نشر الفريق أول محمد فوزى (الذى كان يشغل منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة من يونيو ٦٧حتى مايو ١٩٧٠) عام ١٩٨٣ كتاباً سمّاه «حرب الثلاث سنوات»، (يقصد ٦٧-٧٠)، نشر المشير محمد عبدالغنى الجمسى

(الذى كان يشغل منصب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ برتبة لواء) عام ١٩٩٢ كتاباً عن حرب أكتوبر سمّاه «يوميات حرب أكتوبر» جاء على لسان الفريق أول فوزى والمشير عبدالغنى الجمسى سواء فى كتابيهما، أو على لسانيهما فى محاضرات أو أحاديث لوسائل الإعلام ما يعتبر مخالفاً لما جاء فى كتاب الفريق الشاذلى فى النقاط التالية: يقول الفريق أول فوزى إنه كانت هناك خطة هجومية قبل عام ١٩٧٠، بينما يقول كل من الشاذلى والجمسى عكس ذلك، يقول الجمسى إن فشل هجومنا نحو المضايق يوم ١٤ من أكتوبر يرجع إلى تأخر الهجوم حتى هذا التاريخ، وأنه لو تم الهجوم يوم ٩ أو ١٠ من أكتوبر لكانت فرصته فى النجاح أفضل، ولكن الشاذلى يرفض ذلك ويقول إن قرار الهجوم وهو قرار سياسى كان خطأ وإنه كان محكوماً عليه بالفشل سواء تم يوم ٩ أو قبل هذا التاريخ أو بعده، ولكى أناقش هذه النقاط الخلافية كان أمامى أحد حلين: فإما أن أناقش كل نقطة من تلك النقاط الخلافية فى الفصل والمكان الذى ورد فيه ذكر هذه النقطة فى كتابى فى الطبعات السابقة، وإما أضيف باباً آخر فى الكتاب (فى هذه الطبعة الرابعة) أناقش فيه تلك النقاط، واخترت الحل الثانى حتى يبقى كتابى عن حرب أكتوبر مرجعاً ثابتاً للباحثين والمؤرخين ترتبط وقائعه وتحليلاته بالوقت الذى وقعت فيه تلك الأحداث، والوقت الذى أجريت فيه تلك التحليلات، والله ولى التوفيق.

باطل.. باطل

إن اتهامى أمام محكمة عسكرية بأننى أفشيت أسراراً عسكرية فى كتابى الذى نشرته عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٩، هو اتهام باطل لا يستند إلى أى دليل، إنى أتحدى من يدعى بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة يعتقد أنها من وجهة نظره تعتبر معلومة عسكرية سرية، لقد جاء فى تعليق مدير إدارة القضاء العسكرى الذى نشر فى مجلة المجلة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٩٣ «إن الفريق الشاذلى بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسراراً عن أسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وأفراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية، وذلك من خلال ما كتبه فى الخارج من مقالات نشرت فى مجلة الوطن العربى، بالإضافة إلى كتاب

صـدر فى باريس تحت عنوان «حـرب أكـتـوبر» دون إذن خطى من السلطات العسكرية المختصة، كما يوجب القانون «وأرى أن الجملة الوحيدة الصادقة فى كل هذا التصريح هى أننى لم أحصل على تصريح كتابى من وزارة الدفاع بنشر كتابى عن حرب أكتوبر، أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكرى من اتهامات أخرى فهى ادعاءات باطلة لا تستند إلى أى دليل، نعم لم أطلب تصريحاً من وزارة الدفاع لأننى أرى أن أى قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة الحصول على إذن مسبق من القيادة العامة للقوات المسلحة، قبل إجراء أى حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستورى ويتعارض مع مبدأ حرية الرأى التى كفلها الدستور لجميع المواطنين، وإن كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله إذا افترضنا احترامها للدستور هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى أسراراً عسكرية، ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل فى الدعوى، نعم لم أطلب تصريحاً من وزير الحربية لأننى على قناعة بأنى لست أقل منه علماً أو وطنية عند تقييمى لما أكتب.

(2)

هذا هو البطل!

الفريق سعدالدين الشاذلى، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣.. ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون فى محافظة الغربية فى دلتا النيل.. يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصرى الناجح على خط الدفاع الإسرائيلى (بارليف) فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .

أهم المناصب التى تقلدها:

- مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلية فى مصر (١٩٥٤-١٩٥٩).
- قائد أول قوات عربية (قائد كتيبة مصرية) فى الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة (١٩٦٠-١٩٦١).
- ملحق عسكرى فى لندن (١٩٦١-١٩٦٣).
- قائد لواء المشاة (شارك فى حرب اليمن) (١٩٦٥-١٩٦٦).
- قائد القوات الخاصة (المظلات والصاعقة) (١٩٦٧-١٩٦٩).
- قائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية (١٩٧٠-١٩٧١).
- رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية (١٩٧١-١٩٧٣).
- سفير مصر فى بريطانيا (١٩٧٤-١٩٧٥)
- سفير مصر فى البرتغال (١٩٧٥-١٩٧٨).

حظى بشهرته لأول مرة عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية فى الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب بقى الملازم الشاذلى ليدمر المعدات المتبقية فى وجه القوات الألمانية المتقدمة.

أثبت الشاذلى كفاءته مرة أخرى فى نكسة ١٩٦٧ عندما كان برتبة لواء يقود وحدة من القوات المصرية الخاصة مجموع أفرادها نحو ١٥٠٠ فرد والمعروفة بمجموعة الشاذلى فى مهمة لحراسة وسط سيناء إثر أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصرى فى العصر الحديث وانقطاع الاتصالات مع القيادة المصرية، وكنتيجة لفقدان الاتصال بين الشاذلى وبين قيادة الجيش فى سيناء، اتخذ الشاذلى قراراً جريئاً فعبر بقواته الحدود الدولية قبل غروب يوم ٥ يونيو وتمركز بقواته داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة بنحو خمسة كيلو مترات، وبقى هناك يومين إلى أن تم الاتصال بالقيادة العامة المصرية التى أصدرت إليه الأوامر بالانسحاب فوراً.

فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلاً قبل غروب يوم ٨ يونيو فى ظروف غاية فى الصعوبة، حيث كان يسير فى أرض يسيطر العدو تمامًا عليها، ومن دون أى دعم جوى، وبالحدود الدنيا من المؤن، استطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضى سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربى لقناة السويس (نحو ٢٠٠ كيلومتر).. وقد نجح فى العودة بقواته ومعداته إلى الجيش المصرى سالماً، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة تترواح ١٠ و ٢٠ فى المائة.. فكان آخر قائد مصرى ينسحب بقواته من سيناء.

رئيس الأركان

فى ١٦ مايو ١٩٧١، وبعد يوم واحد من إطاحة الرئيس السادات بأقطاب النظام الناصرى، فيما سماه بثورة التصحيح عين الشاذلى رئيسًا للأركان بالقوات المسلحة المصرية، باعتبار أنه لم يكن يدين بالولاء إلا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبًا على أى من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك..

يقول الفريق الشاذلى: كان هذا نتيجة ثقة الرئيس السادات به وبإمكانياته،

ولأنه لم يكن الأقدم والمؤهل من الناحية الشكلية لقيادة هذا المنصب، ولكن ثقته فى قدراته جعلته يستدعيه، ويتخطى نحو أربعين لواءً من الألوية (جمع لواء) الأقدم منه فى هذا المنصب..

دخل الفريق الشاذلى فى خلافات مع الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك حول خطة العمليات الخاصة بتحرير سيناء، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصرى يتعين عليه ألا يقوم بأى عملية هجومية إلا إذا وصل إلى مرحلة تفوق على العدو فى المعدات والكفاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها.

وجد الفريق الشاذلى أن هذا الكلام لا يتماشى مع الإمكانيات الفعلية للجيش، ولذلك طالب بأن يقوم بعملية هجومية فى حدود إمكانياته، تقضى باسترداد من ١٠ إلى ١٢ كيلومترًا فى عمق سيناء.. بنى الفريق الشاذلى رأيه ذلك على أنه من المهم أن تفصِّل الاستراتيجية الحربية على إمكانياتك وطبقاً لإمكانيات العدو.

وسأل الشاذلى الفريق صادق: هل لديك القوات التى تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟

فأجاب: لا..

فقال له الشاذلى: على أى أساس إذن نضع خطة وليست لدينا الإمكانيات اللازمة لتنفيذها؟

أقال الرئيس السادات الفريق صادق وعين المشير أحمد إسماعيل على وزيراً للحربية وكان بينه وبين الفريق الشاذلى خلافات قديمة.

(3)

حلم العرب النووى

فى ٢٩ مايو ١٩٩٨ نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية تصريحات على لسان أحد القادة العسكريين الإسرائيليين تفيد بأن إسرائيل اعتمدت سياسة القوة مع دول الشرق الأوسط، فقامت بعمليات نشر واسعة لعناصر قوتها النووية ميدانياً، بحيث تكون جاهزة للاستخدام وتطول جميع العواصم والمدن الرئيسية العربية، بل والمنشآت النووية الإيرانية والباكستانية والقاهرة والسد العالى، وفى الوقت نفسه حذر الكيان الصهيونى من امتلاك العرب للسلاح النووى، وأكد أنه لن يسمح بذلك، فماذا يمتلك العرب للدفاع عن أنفسهم، وهل يحتفظون بصواريخ ذات رءوس كيماوية وجرثومية؟!

سألت جريدة «الشعب» الفريق الشاذلى فى ظل وجود مبارك، وكان جوابه كاشفاً للمستقبل وتحدث كخبير استراتيجى، سألته: هل يمكن لنا ـ كعرب ـ أن نتخذ من باكستان نموذجاً حيث لم تترك الهند تنفرد بالقوة النووية فى المنطقة حتى امتلكت أسلحة الردع النووى، فقال الشاذلى: المعلومات المعلنة والمتاحة لنا قبل إجراء التفجيرات النووية الهندية هو أن كلاً من الهند وباكستان لديها القدرات لتصنيع القنبلة النووية، ولكن هناك فرقاً بين المعلومات المعلنة والحقيقة، وتحقق لنا ذلك عندما قامت الهند بالتفجيرات النووية الأخيرة.. أما هذه الحقيقة بالنسبة لباكستان فهى فى دور الافتراض وتصريحات رئيس وزراء باكستان بأن بلاده

تستطيع إجراء تفجير نووى فنحن نرحب بذلك إلى أن يتم، وإننى أناشد باكستان عدم الاستجابة للضغوط الأمريكية التى تسعى لمنعها من إجراء تفجيرات نووية.

الشعب: «نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية الأيام الماضية تصريحات (شاحاك) الخبير الاستراتيجى الإسرائيلى عن امتلاك إسرائيل ٨٠ رأساً نووياً موجهًا للعواصم والمدن الرئيسية العربية والمنشآت النووية الباكستانية والإيرانية والسد العالى والقاهرة.. ما مدى إمكانية ضرب القوة النووية الإسرائيلية لهذه الأهداف؟، وهل تستطيع إسرائيل استخدام القوة النووية ضد دول الطوق المجاورة لها؟

الشاذلى: المشكلة أننا ننسى حقائق معروفة منذ سنوات طويلة، ونعلم أن إسرائيل منذ ١٩٧٥ لديها قدرات نووية إجمالى قوتها التفجيرية مليون طن من مادة (تى. إن. تى) ومن يمتلك هذه الإمكانيات فإنه يستطيع أن يستخدمها متى يشاء والمفترض أن هذه الحقيقة يعلمها كل الزعماء العرب، وكان لابد من امتلاك الدول العربية لنفس هذه الإمكانيات التى تملكها إسرائيل.

الشعب: ما مدى قدرة الصواريخ طويلة المدى التى تحمل رءوسًا كيماوية وجرثومية على تشكيل دفاع رادع للقوة النووية الإسرائيلية؟

قال الفريق سعدالدين الشاذلى: لا شك أن الأسلحة الكيماوية والجرثومية قوية، إذا قورنت بالأسلحة التقليدية، وهناك معاهدات دولية تجرم استخدام الأسلحة النووية، وللأسلحة الكيماوية قوة تدميرية ونفسية أكثر من الأسلحة التقليدية، لكنها لا تصل لمستوى الأسلحة النووية، أما فيما يتعلق بالجزء الثانى من السؤال عن قدرة الأسلحة الكيماوية على تشكيل رادع لإسرائيل يجعلها تتردد قبل استخدامها السلاح النووى فليس بالقدر الكافى من الردع، وعلى سبيل المثال عند إسرائيل سلاح قوته التدميرية تعادل مائة مرة ما تملكه القوة العربية، ومن هنا فإن الردع يكون من جانب من يمتلك السلاح الأقوى.

الشعب: على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تضمن أمن إسرائيل وترتبط معها باتفاق استراتيجى، وعلى الرغم من التفوق الإسرائيلى المطلق

على جميع الدول العربية، فإن الولايات المتحدة مارست ضغوطاً للحيلولة دون امتلاك العرب للأسلحة النووية، فكيف يمكن الإفلات من الحصار الأمريكى والتهديد الصهيونى؟

الشاذلى: من حق أمريكا أن تمارس ضغوطاً على الدول العربية لإرغامها على اتباع السياسة الأمريكية، ومن حق الدول العربية أن ترفض هذه الضغوط التى ليست فى مصلحتها وأمنها، وكان الأجدر بالزعماء العرب رفض هذه الضغوط ما دامت تعرض أمنهم للخطر، وكان خطأً كبيراً توقيع الأقطار العربية على معاهدة منع الانتشار النووى، ولقد انتقدتُ بشدة تراجع الموقف العربى نتيجة الضغوط الأمريكية على البلاد العربية بما فيها مصر لتعديل مطلبها بشأن ضرورة أن توقع إسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووى، وكنت أشيد فى حديث مع «ديفيد هيرست» الكاتب المعروف عام ١٩٩٥ بالموقف العربى الموحد وأشجع الموقف المصرى على رفض التوقيع، وفوجئنا بالتراجع، واكتفى العرب بعد التوقيع على المعاهدة بضمانات أن إسرائيل لن تستخدم السلاح النووى فى أى حرب مع العرب!!

وإنى أناشد زعماء البلدان العربية والإسلامية اتخاذ التفجير النووى الهندى ذريعة للانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووى؛ لأن هذه المعاهدة لا تطبق إلا على الضعفاء، والباب لايزال مفتوحاً للانسحاب من هذه المعاهدة إذا كان القادة العرب يفكرون فعلاً فى الخروج من الحصار والضغوط، وأن يجعلوا مصلحة الأمن العربى فوق كل شىء.

الشعب: هل هناك عقوبات يمكن أن يفرضها المجتمع الدولى على البلدان التى تقرر الانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووى؟

الشاذلى: عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة وأمن الأمة العربية فلا يجوز أن نتكلم عن العقوبات التى يمكن أن توقع علينا نتيجة التزامنا بموقف الأمن العربى، الرئيس مبارك فى عدة مناسبات قال إننا لا نقبل الضغوط من أى جهة أخرى، وإن مصلحة بلدنا فوق كل اعتبار، وقد آن الأوان أن توضع هذه التصريحات موضع التنفيذ.

الشعب: ماذا يقول الفريق سعدالدين الشاذلى عن تصريحات (شاحاك) عن توجيه الأسلحة النووية الإسرائيلية للسد العالى؟

الشاذلى: لا أستطيع أن أستبعد ذلك فهذا ضغط نفسى رهيب والحل الوحيد أن يكون عندى رادع يمنع إسرائيل من قصف السد العالى والقاهرة، فالذى يردع إسرائيل هو أن تعلم أن مصر قادرة على ضرب تل أبيب والقدس وأى مكان فى إسرائيل، وإن لم تمتلك مصر ذلك فإننى لا أستبعد أن تقوم إسرائيل بأى ضربة نووية للقاهرة والسد العالى.

الشعب: من هنا يمكن أن نتنبأ بأن إسرائيل لن تتخلى عن الخيار النووى والتفوق النووى، واستخدام هذا السلاح كأداة مساومة أو ضغط بهدف إجبار الدول العربية على قبول ما تريده إسرائيل وقيامها فعلياً بفرض ما تريد تحت مظلة القوة النووية؟

قال الشاذلى: إن المستقبل فى صالحنا وليس ضدنا، فالدول العربية بإمكانياتها البشرية وثرواتها الطبيعية الهائلة تتفوق تفوقاً ساحقاً من وجهة النظر الاستراتيجية على إسرائيل، وهذه حقيقة يعلمها الاستراتيجيون العسكريون الأمريكيون والإسرائيليون، وإنهم يريدون استغلال الضعف العربى الحالى نتيجة السيطرة الأمريكية على النظام الدولى الجديد ونتيجة اختلال التوازن العسكرى بين العرب وإسرائيل بسبب التفكك العربى، ويطالبوننا بأن نوقع على اتفاقات صلح مع إسرائيل بالشروط الإسرائيلية التى ليست فى صالح العرب، وأقول لزعماء الأمة العربية إذا كان الجيل الحالى لم يستطع أن يسترد الأرض العربية التى اغتصبها الكيان الصهيونى فليتركوا الباب مفتوحاً أمام الأبناء والأحفاد ليحققوا ذلك وألا يوقعوا على معاهدة تكون وثيقة لتكريس الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية.

(4)

الكتابة تحت التهديد

هذه مذكرات عسكرية: سجلى كرئيس أركان القوات المسلحة المصرية أثناء الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣، وعلى حد علمى، تعتبر هذه المذكرات فريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة من نوعها لقائد عربى معاصر، كتبتُ هذه المذكرات مكرها وآسفاً وغاضباً، وعندما أقول إن غضبى موجه بصفة رئيسية ضد الرئيس المصرى أنور السادات يمكنكم فهم لماذا، بعد أن قضيت عمرى كله كجندى فى خدمة بلادى.

أهدى هذه المذكرات إلى جنود وضباط القوات المسلحة المصرية البواسل، فهذه قصتهم، فهى تروى أخيراً الحقيقة عن انتصارهم العظيم، إننى فخور بكل يوم أمضيته كرئيس للأركان، إننى فخور لأنه أثناء وجودى بهذا المنصب تم التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربى ناجح ضد إسرائيل، أهدى تحياتى لكل ضابط وكل جندى اشترك فى هذه الحرب، وأعاد بذلك العزة للجندى المصرى، وهناك شهود على صحة ما كتبته، فبعض أجزاء من القصة معروف لآلاف الأفراد، وبعضها معروف لمئات من الأفراد، وأجزاء أخرى لا يعلمها إلا أفراد يعدون على الأصابع.

أرجو من الله تعالى أن يعيننا ويهدينا ويهبنا الشجاعة لقول الحق أيا كانت العواقب.

خطة المآذن العالية

يقول الشاذلى عن الخطة التى وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التى سماها «المآذن العالية»: إن ضعف الدفاع يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن من قال إننا نريد أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ففى استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة، وندمر خط بارليف، ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومتراً شرق القناة.

وكانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول: هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظراً لقلة عدد أفرادها.. المقتل الثانى: هو إطالة مدة الحرب، فهى فى كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التى تنتهى خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨ فى المائة من الشعب الإسرائيلى وهذه نسبة عالية جداً.

ثم إن الحالة الاقتصادية تتوقف تماماً فى إسرائيل، يتوقف التعليم والزراعة والصناعة كذلك؛ لأن معظم الذين يعملون فى هذه المؤسسات فى النهاية ضباط وعساكر فى القوات المسلحة؛ ولذلك كانت خطة الشاذلى تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

الخطة كان لها بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلى: «عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق ١٠: ١٢ كيلومترا شرق القناة بطول الجبهة (نحو ١٧٠كيلومترا) سأحرم العدو من أهم ميزتين له؛ فالميزة الأولى تكمن فى حرمانه من الهجوم من الأجناب؛ لأن أجناب الجيش المصرى ستكون مرتكزة على البحر المتوسط فى الشمال، وعلى خليج السويس فى الجنوب، ولن يستطيع الهجوم من المؤخرة التى ستكون قناة السويس، فسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة، وعندها سيدفع الثمن فادحاً».

وعن الميزة الثانية قال الشاذلى: «يتمتع العدو بميزة مهمة فى المعارك التصادمية، وهى الدعم الجوى السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التى تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى

من القادة بالاستعانة بالدعم الجوى، وهو ما سيفقده لأنى سأكون فى حماية الدفاع الجوى المصرى، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلى فى المعركة».

حرب أكتوبر

فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى الساعة ١٣٠٠ شن الجيشان المصرى والسورى هجوماً كاسحاً على إسرائيل، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصرى خطة «المآذن العالية» التى وضعها الفريق الشاذلى بنجاح غير متوقع، لدرجة أن الشاذلى يقول فى كتابه «حرب أكتوبر»: «فى أول ٢٤ ساعة قتال لم يصدر من القيادة العامة أى أمر لأى وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدى مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر كأنها تؤدى طابور تدريب تكتيكيًا».

(5)

أسرار الدولة وأسرار الحكومة

لم أفش أى أسرار عسكرية، إن اتهامى أمام محكمة عسكرية بأننى أفشيت أسراراً عسكرية فى كتابى الذى نشرته عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٩، هو اتهام باطل لا يستند إلى أى دليل، إننى أتحدى من يدعى بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة، يعتقد أنها من وجهة نظره تعتبر معلومة عسكرية سرية.

لقد جاء فى تعليق مدير إدارة القضاء العسكرى الذى نشر فى مجلة «المجلة» بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٩٣ «إن الفريق الشاذلى بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسراراً عن أسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وأفراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية.. وذلك من خلال ما كتبه فى الخارج من مقالات نشرت فى مجلة «الوطن العربى»، بالإضافة إلى كتاب صدر فى باريس تحت عنوان «حرب أكتوبر»، دون إذن خطى من السلطات العسكرية المختصة كما يوجب القانون.

وأرى أن الجملة الوحيدة الصادقة فى كل هذا التصريح هى أننى لم أحصل على تصريح كتابى من وزارة الدفاع بنشر كتابى عن حرب أكتوبر.. أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكرى من اتهامات أخرى فهى ادعاءات باطلة لا تستند إلى أى دليل.

نعم لم أطلب تصريحاً من وزارة الدفاع لأننى أرى أن أى قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة الحصول على إذن مسبق من القيادة العامة

للقوات المسلحة، قبل إجراء أى حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستورى ويتعارض مع مبدأ حرية الرأى التى كفلها الدستور لجميع المواطنين.. وإن كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله- إذا افترضنا احترامها للدستور- هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى أسراراً عسكرية.. ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل فى الدعوى».

نعم لم أطلب تصريحاً من وزير الحربية لأننى على قناعة بأنى لست أقل منه علماً أو وطنية عند تقييمى لما أكتب من حيث إن ما أكتبه يمكن أن يستفيد منه العدو فى تهديد أمن وسلامة وطنى.. وإذا علمنا بالكم الهائل من المقالات والكتب التى يتحتم عرضها على وزارة الحربية لاحتوائها على موضوعات عسكرية.. وأن الوزير وكبار معاونيه لا يستطيعون مراجعة كل هذه المقالات والكتب.. وأن الأمور عادة ما تنتهى بإحالة هذه الكتب والمقالات إلى ضباط ينقصهم العلم والخبرة، اتضحت لنا خطورة النتائج التى يمكن أن تسفر عنها مثل هذه الرقابة والتى عادة ما تتمسك بالشكل دون المضمون والتى قد تخضع أحياناً لعوامل شخصية وتصفية حسابات قديمة، أو قد تتأثر بموقف انتهازى من الضابط الرقيب إذا شعر أن رفضه التصريح بنشر كتاب لمؤلف ما، قد يرضى رئيسه، نظراً لما يعلمه من وجود خلافات سابقة بين المؤلف وبين رئيس الضابط الرقيب.

نعم رفضت طلب التصريح بالنشر من وزير الحربية، لأن كتابى عن حرب أكتوبر كان مليئاً بالنقد اللاذع لرئيس الجمهورية ولوزير الحربية.. ولأننى طالبت فى هذا الكتاب بإلغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة، وإبعاد وزير الحربية عن القرارات العسكرية.

(6)

أحمد عبد العزيز

ولد أحمد عبدالعزيز فى ٢٩ يوليو ١٩٠٧(١٨جمادى ثانى ١٣٢٥ هجرية) استشهد عن طريق الخطأ برصاص مصرى فعندما كان فى طريقه بصحبة اليوزباشى صلاح سالم (أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مصر فيما بعد) إلى القيادة المصرية فى «المجدل» ليلة ٢٢ أغسطس ١٩٨٤م (الموافق ١٦ من شوال ١٣٦٧هـ) ووصل بالقرب من مواقع الجيش المصرى فى الفالوجة أطلق أحد الحراس (واسمه العريف بكر الصعيدى) النار على «سيارة الجيب التى كان يستقلها أحمد عبدالعزيز بعد اشتباهه فى أمرها، فأصابت الرصاصة صدر القائد البطل الذى ما لبث بعدها أن لفظ أنفاسه الأخيرة وأسلم الروح شهيداً.. وهناك رواية أخرى عن استشهاده أثناء قيام أحد الجنود بتنظيف سلاحه فأنطلقت رصاصة منه وقتلته.

يقال إنه قد تم نقل جثمانه إلى بيت لحم حيث دفن فى مقبرة قبة راحيل شمال المدينة، حيث أقيم نصب تذكارى له؛ عرفاناً بما قدم على أرض فلسطين، وشاهداً على جهاده ونضاله المشرف، وهناك رواية مختلفة بأنه دفن فى غزة، ومن المرجح أن الحكومة نقلت رفاته مع إخوته من الشهداء المصريين إلى مصر لاحقاً.

لتقديم لمحة موجزة عن البطل للأجيال التى لا تعرف من هو هذا القائد الذى روى بدمائه الزكية تراب فلسطين، وقدر الله له أن تصعد روحه الطاهرة إلى

بارئها على أرض الفالوجة الحبيبة إنه بطل معارك العريش وخان يونس ورامات راحيل وغيرها من مواقع الشرف والبطولة، الذى سطر اسمه بأحرف من نور تفوح عطراً ومسكاً فى سجل الخلود.

ولد فى مدينة الخرطوم بالسودان حيث كان والده الأميرالاى (العميد) محمد عبدالعزيز فى مهمة عسكرية كقائد للكتيبة الثامنة بالسودان عاد بعدها إلى مصر.

وقد عرف عن البطل أحمد عبدالعزيز الحس الوطنى والرجولة المبكرة منذ صغره فقد اشترك وهو لم يزل بعد فى الثانية عشرة من عمره فى ثورة ١٩١٩، وفى العام ١٩٢٣ دخل السجن بتهمة قتل ضابط إنجليزى ثم أفرج عنه وتم إبعاده إلى المنصورة.

التحق البطل بالمدرسة الحربية وتخرج فيها، وصار لاحقاً ضابطاً متميزاً بسلاح الفرسان الملكى لكى يصبح بجدارة آنذاك أحد ألمع الطيارين المصريين، ودرس التاريخ الحربى فى الكلية الحربية، كما أن القائد الشهيد كان كاتباً فى العلوم العسكرية والسياسة ومن أعماله:

رسالة عسكرية سماها «السياسة والحرب» وكتاب «النجاة من الموت فى البحار والغابات والصحارى» بالاشتراك مع صديق عمره ورفيق سلاحه «عبدالرحمن زكى» رحمهما الله جميعاً.

حينما صدر قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، كان البطل «أحمد عبدالعزيز» هو أول ضابط مصرى يطلب بنفسه إحالته للاستيداع، هكذا تخلى عن رتبته وامتيازاته من أجل الجهاد فى سبيل الله على أرض فلسطين ليشكل كتائب المجاهدين المتطوعين الفدائيين لإنقاذ فلسطين من أيدى اليهود، ويصبح قائداً لما يعرف بالقوات الخفيفة فى حرب فلسطين.

فتولى إعداد أولئك المجاهدين وتسليحهم وتدريبهم على ما أمدّته به قيادة الجيش من مدافع خفيفة وأسلحة وقدر من الذخائر بعد أن ألح فى طلب ذلك، واتخذ كل وسيلة لإقناع المسئولين بأهمية تزويد المتطوعين بالسلاح، كما اعتمد على ما جمعه مع المتطوعين من الأسلحة التى خلَّفتها الحرب العالمية الثانية؛ فأصلح ما يُمكن إصلاحه منها.

من كلماته

« ... أيها المتطوعون، إن حربنا هذه أهدافها لهى الحرب المقدسة، وهى الجهاد الصحيح الذى يفتح أمامنا الجنة، ويضع على هاماتنا أكاليل المجد والشرف؛ فلنقاتل العدو بعزيمة المجاهدين، ولنخشَ غضب الله وحكم التاريخ إذا نحن قصرنا فى أمانة هذا الجهاد العظيم...».

وكان له رأى مغاير حيال دخول الجيش المصرى الحرب، على أساس أن قتال اليهود يجب أن تقوم به كتائب الفدائيين والمتطوعين، لأن دخول الجيوش النظامية يعطى اليهود فرصة كبرى فى إعلان أنفسهم كدولة ذات قوة تدفع بالجيوش العربية إلى مواجهتها إلا أن معارضته لم تمنعه من القتال بمعية الجيوش النظامية.

وبرغم صغر حجم قواته، وانخفاض مستواها من حيث التسليح والتدريب مقارنة باليهود، فإن البطل اقتحم بهم أرض فلسطين، ودارت بين الجانبين معارك حامية الوطيس، بداية من معركة مدينة العريش، مروراً بمعركة خان يونس، وكان يساعده فى قيادة هذه الكتائب كل من اليوزباشى «النقيب» كمال الدين حسين (عضو مجلس قيادة الثورة فى مصر لاحقاً) واليوزباشى عبدالعزيز حماد.

وعلى الرغم من مماطلة المسئولين فى القاهرة فى إرسال أسلحة للمتطوعين، فإن قوات الفدائيين بقيادة البطل أحمد عبد العزيز حققت انتصارات مذهلة على اليهود، فقطعت الكثير من خطوط اتصالاتهم وإمداداتهم، وأسهمت فى الحفاظ على مساحات واسعة من أرض فلسطين، ودخلت مدينة القدس الشريف ورفعت العلم الفلسطينى والعلم المصرى جنباً إلى جنب.

وأعادت بعد ذلك رسم الخرائط العسكرية للمواقع فى ضوء الوجود اليهودى، ما سهل من مهمة القوات النظامية العربية التى دخلت فيما بعد فى حرب ١٩٤٨.

حين وصل البطل أحمد عبدالعزيز إلى بيت لحم، لم يلبث حتى بدأ باستكشاف الخطوط الدفاعية للعدو التى تمتد من «تل بيوت» و«رمات

راحيل»، فى الجهة الشرقية الجنوبية للقدس، ليس بعيداً كثيراً عن قبة راحيل فى مدخل بيت لحم الشمالى، حتى مستعمرات «بيت هكيرم» و«شخونات هبوعاليم» و«بيت فيجان» و«يفنوف» ونشر قواته مقابلها.

والتحق به منضوياً تحت امرته القائد الأردنى البطل عبدالله التل بما معه من قوات الجيش الأردنى، وبمعية هؤلاء الرجال خاض معركة «رمات راحيل»، حيث كانت مستعمرة «رمات راحيل» تشكل خطورة نظراً لموقعها الاستراتيجى المهم على طريق قرية «صور باهر»، وطريق القدس - بيت لحم، لذا قرر أحمد عبدالعزيز احتلال المستعمرة وقاد هجوماً عليها يوم الاثنين ١٩٤٨/٥/٢٤م، بمشاركة عدد من الجنود والضباط من قوات الجيش الأردنى، بدأ الهجوم بقصف المدافع المصرية للمستعمرة، بعدها زحف المشاة يتقدمهم حاملو الألغام الذين دمروا أغلب الأهداف المحددة لهم، ولم يبق إلا منزل واحد احتمى فيه مستوطنو المستعمرة، وحين انتشر خبر انتصار أحمد عبدالعزيز، بدأ السكان يفدون إلى منطقة القتال لجنى الغنائم، وتربص العدو بالمقاتلين، وذهبت جهود أحمد عبدالعزيز فى إقناع الجنود بمواصلة المعركة واحتلال المستعمرة أدراج الرياح، وأصبح هدف الجميع إرسال الغنائم إلى المؤخرة، ووجد «أحمد عبدالعزيز» نفسه فى الميدان وحيداً إلا من بعض مساعديه ممن لم يبدلوا تبديلاً. وتغيرت نتيجة المعركة.

وقادت العصابات الصهيونية هجوماً فى الليل على أحمد عبدالعزيز ومساعديه الذين بقوا معه، وكان النصر فيه حليف الصهاينة، والمؤرخون يقارنون بين هذا الموقف وموقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين سارع الرماة إلى الغنائم وخالفوا أوامره فى معركة «أحد» وتحول النصر إلى الهزيمة.

بعدما قبل العرب الهدنة فى عام ١٩٤٨، نشط اليهود فى جمع الذخيرة والأموال، وقاموا باحتلال قرية العسلوج التى كانت مستودع الذخيرة الذى يمون المنطقة، وكان احتلالها يعنى قطع مواصلات الجيش المصرى فى الجهة الشرقية، ومع فشل محاولات الجيش المصرى استرداد هذه القرية استنجدوا بالبطل أحمد عبدالعزيز وقواته التى تمكنت من دخول هذه القرية والاستيلاء عليها.

حينما حاول اليهود احتلال مرتفعات جبل المكبر المطل على القدس، وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التى تتولاها قوات أحمد عبدالعزيز المرابطة فى قرية صور باهر، قامت هذه القوات برد اليهود على أدبارهم وكبدتهم خسائر كثيرة، واضطرتهم إلى الهرب واللجوء إلى المناطق التى يوجد فيها مراقبو الهدنة ورجال هيئة الأمم المتحدة.

هذه ومضات من تاريخ نورانى لرجل نذر نفسه للكفاح فوهبه الله الخلود بين حنايا الشهادة والبطولة.

(7)

الفريق محمد أحمد صادق

تخرج الفريق أول محمد أحمد صادق فى الكلية الحربية عام ١٩٣٩، عمل ضابطاً فى الحرس الملكى.

واستبقى فى صفوف القوات المسلحة بعد تطهيرها عام ١٩٥٢، خدم فى الفرقة الثانية بسيناء فى حرب ١٩٥٦، وكبيرًا لمعلمى الكلية الحربية أوائل الستينيات، ثم ملحقاً عسكرياً بألمانيا الغربية، حيث يحسب له أنه من كشف الستار عن صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل مطلع عام ١٩٦٥ صيف ١٩٦٦، وكافأه المشير عامر باختياره مديراً للمخابرات العسكرية ليستأمنه على أسرار القوات المسلحة إثر اكتشاف اختراق الإخوان المسلمين المحدود لها ضمن مؤامرة ١٩٦٥.

والبادى أن أداءه فى منصبه، كما امتحن فى أزمة ١٩٦٧، قصُر عن المطلوب لاسيما لجهة الإنذار عن نوايا العدو وتوفير دقيق المعلومات عن إمكاناته.. لكنه استبقى فى تطهير ٦٧، فى ذات المنصب أمضى صادق فى المخابرات سنوات ثلاثاً ونيفاً إلى أن وقعت حادثة الزعفرانة يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩.

يومها كان عبدالناصر مصحوباً بالفريق أول محمد فوزى وزير الحربية واللواء أحمد إسماعيل على رئيس أركان الحرب (من خلف الفريق عبدالمنعم رياض إثر استشهاده فى مارس ١٩٦٩ صاعداً من رئاسة هيئة العمليات)

يحضرون مناورة حية لفرقة مدرعة حين وصلت أخبار نزول إسرائيلى برمائى على شاطئ خليج السويس فى منطقة الزعفرانة.

أعلنت إسرائيل بفرقعة إعلامية مدوية أن قواتها الآن على أرض أفريقيا، وأنها لم تواجه البتّة أى مقاومة مصرية.. أمر عبدالناصر من فوره رئيس الأركان بالتوجه لموقع الحدث وإدارة المواجهة من هناك على الطبيعة، لكن أحمد إسماعيل فضّل العودة للقاهرة مخالفاً أوامر قائده ومقنعاً نفسه بأن أداءً أفضل ينتظره فى غرفة العمليات عنه فى الزعفرانة.. استشاط عبدالناصر غضباً من فعلة رئيس الأركان فأمر بعزله فى التو واللحظة ومعه قائد البحرية اللواء فؤاد ذكرى، والذى فشل فى تحريك قطعة بحرية واحدة تعترض الإنزال.

وفى مذكراته يقول الشاذلى:

فى عام ١٩٦٣ تم تعيين صادق ملحقاً حربياً فى ألمانيا، وكانت له على حد قوله عدة مهام خاصة، منها ما يذكره بفخر من أنه كان الابن الشرعى لعملية إلقاء القبض على قائد نازى كبير، حيث أودعته السلطات الألمانية السجن رهن المحاكمة، ومن خلال المحنة التى كان يعيشها، قرر أن يرسل صديقته لى، لتعقد معى صفقة، ففى مقابل تهريبه من السجن، سأحصل على حقائب من الوثائق عن اليهود والصهيونية وإسرائيل. ودرست الأمر من كل أبعاده، بعد أن تيقنت من صدق الرجل، وأن الأمر ليس كميناً للملحق الحربى المصرى. ورأيت أن الصفقة متكافئة، فقررت تعيين صديقة القائد سكرتيرة بمكتب الملحق الحربى المصرى، لسهولة الاتصال ونقل المعلومات والتعليمات.. ووضعت خطة لتهريب القائد وحارسه معاً، بعد أن وافق الحارس على الهرب وتهريب القائد، وفى مزرعة استأجرتها من أجل خطة التهريب كانت تنتظرهما طائرة صغيرة (بروبيلر)، لتنقلهما إلى مزرعة خيول بالقرب من الحدود السويسرية.. وفى المزرعة كان فى انتظار الجميع جوازات سفر جديدة وبطاقات سفر إلى القاهرة، وهناك كانت فى انتظارهما مجموعة خاصة من المخابرات العامة.

وبعد سفرهما نظمت سفر أطفالهما والمربية الخاصة، ليقيم الجميع معاً بالقاهرة. وسلم الرجل الوثائق للقاهرة، وكانت قيمتها عالية.. وللقصة فى

مصـر بقيـة فـالقـائد الألمانى بعـد أن اسـتقـرت أوضـاعـه بـالقـاهرة، اكـتـشف الجـمـيع أنه زير نسـاء، وأنـه كـان علـى عـلاقـة بكل من صـديقـتـه والمربيـة، واكتشفت صديقته ما يجرى، فما كان منها إلا أن أخبرت صحفياً ألمانيا، يقيم بالقـاهرة ويعمل بهـا، عن وجود القـائد النازى الهارب بالقـاهرة.. وخططت مع الصـحفى لتصويره بما يؤكد صـدق قصـته الصـحفيـة، وفعـلاً تمكن الصـحفى من التقاط صورة له بفندق مينا هاوس.

وذاع الخـبـر، وفـوجـئت سلطات الأمن الألمانيـة بوجـود القـائد الهـارب فى القـاهرة، وكـانت الشكوك قـد اتجـهت إلى الاتحـاد السـوفـيـيتـى ودول أوروبا الشرقية، وحضـر إلى القاهرة أكثر من٧٠ صحفياً ومصوراً ألمانيا، وبصحبتهم عـدد من المسئولين بالمخابرات الألمانية، وروت لهم السكرتيرة كل ما عـرفتـه، وكـان مـا تعـرفـه قليـلاً جـداً، ولكن أهم مـا اكتشـفـتـه السلطات الألمانيـة أننى طرف فى هذه القضيـة، وفى مقابل اعترافها، حصلت من السلطات الألمانية على قـرار يعفيـها من كل المسئولية، كمـا سبق أن تعهدوا لهـا، وبعـدهـا سـعى الصـحفيـون ورائى دون جـدوى، وانتـهت القصـة بأن وافق القـائد الألمانى على تسليم نفسه لألمانيا الغربية لاستكمال فترة سجنه، ولم تعترض القـاهـرة على قرار القائد الألمانى.

لم الشمل

وفى موضوع آخر، حـاول صـادق، قبل سفره إلى ألمانيا، جمـع المعلومات المتاحة وقـراءة التقـارير السـيـاسيـة والأمنيـة الخـاصـة بالجـاليـة المصـرية، ومن بين مـا سـمـع – وفـقـاً لـروايتـه ـ اتهـام الطلبـة المـصـريين الموجـودين بألمانيـا، بالانتـمـاء للإخـوان المسلمين، أو على الأقل، العمـل على نصـرة قضـيـة الإخـوان، نـتـيـجـة نشـاط سـعيد رمضـان ورجـاله الموجـودين بألمانيـا، بل رأيت أن هذا الاتهـام قـد تحـول إلى اقـتـناع لدى المسـئولين، وأدى هـذا الاقـتـناع إلى التـوقف عـن بحث واستقصـاء الموقف، أو محـاولة معرفـة الأسبـاب التى أدت إلى ذلك، هـذا فيـمـا إذا كان هـذا الاتهام يمثل الحقيقـة، ورفضت هذا الاتهـام وهذه الصورة، وبعـد أن وصلت ألمانيـا، وحتـى قبل أن أستقـر، بدأت أتصل بهم وأدعوهم وأحـاورهم وأناقشـهم وأجيب عن أسئلتهم، كانوا فـى حاجة للرعـاية، فـالبعـثـة التعليـمـيـة والمكتب الثقـافى والسـفـارة، ككل، تنـأى عنهم ولا يقـوم أى من هؤلاء المسـئولين

بدوره تجاههم، وكان الطلبة، من جانبهم، ساخطين متبرمين من هذا الموقف السلبى للمسئولين المصريين.

بل كانت لديهم شكوك عميقة فى أن معظم الموجودين تابعون لأجهزة الأمن ومن كتبة التقارير، وحاولت تصحيح هذه الأوضاع بقدر ما أستطيع، وتدخلت وضغطت واتصلت بالقاهرة من أجل هذا الهدف، وكانت الغالبية منهم قد ابتعدت كثيراً عن الوطن، وافتقدوا بذلك أسرهم التى غابوا عنها طويلاً.

وكان معظمهم يرفض العودة للقاهرة خشية عدم الخروج منها مرة أخرى لأى سبب من الأسباب، ومن لم يسافر للقاهرة استفاد من درس البعض الذى سافر للزيارة ولم يتمكنوا من الخروج، وأسهم البعد عن الوطن فى الانقطاع عن الأخبار، وكان مصدر معلوماتهم أجهزة ووسائل الإعلام الأجنبية، بكل ما هو معروف عن موقفها السلبى من مصر ومن جمال عبدالناصر، ولم أخف عنهم الحقيقة، أجبت عن أسئلتهم، وأرضيت فضولهم وشوقهم للمعلومات، وبحثهم عن حقيقة ما يجرى فى الوطن، وحاولت أن أزيل الشبهات التى رأوا أنها تحيط بمستقبلهم، وبالاتصال المباشر والحوار تولدت علاقة صداقة واحترام بيننا ولم أحاول، من قريب أو بعيد، أن أشير إلى الصورة المرسومة لهم أو الاتهامات الموجهة إليهم.

(8)

أحمد إسماعيل بعين أخرى

قصدت هنا ألا اكتفى بسرد حقائق ومعلومات مجردة عن المشير أحمد إسماعيل ورأيت من الأفضل أن أقدم له هذه الصورة التى تعطيه حقه كواحد من أبطال الجيش كتبتها هويدا يوسف فى مجلة «نصف الدنيا» ونشرت بعد ٣٦ عاماً من وفاته وقد جاء فيها :

أول قائد مصرى ١٠٠ فى المائة ينتصر منذ الملك أحمس.. هكذا وصف الكاتب على أمين عام ١٩٧٤ المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء فى عموده الشهير فكرة.. ووصفه الرئيس السادات بصاحب الشخصية القوية التى ظهرت فى وقت مبكر وهو تلميذ فى الكلية الحربية، بينما توقع زملاؤه أن يكون قائداً ممتازاً، تحلى بخفة الدم المصرية الأصيلة والحزم والذكاء الفطرى الفذ، خاض ثلاث حروب تجرع فيها مرارة الهزيمة، وعندما تولى مهمة القيادة لجيش العبور كان النصر فى أكتوبر حليفاً لمصر بعد سنوات الهزيمة.

تتذكره شريكة عمره السيدة سماح الشلقانى، وتقول: كان زوجاً حنوناً فلم أسمع منه طوال الثلاثين عامًا التى عشتها معه كلمة جرحت كرامتى، بل كان زوجاً وأباً فى منتهى الحنان فرغم أننا تزوجنا فى سن صغيرة وبطريقة تقليدية، إنما كان بيننا تفاهم كبير لدرجة أن ابننا عندما كبر سأل والده: «ليه أنت وماما مش بتتخانقوا»، فرد عليه وقال: والدتك سيدة عظيمة وتستاهل

أعظم وسام، فقال له: «ليه هيه حاربت معاك»، فقال له: «لولاها ما كنت تفرغت لمسئوليتى ووصلت إلى ما أنا فيه»، فقد وضع مبادئ للبيت ولمعاملة بعضنا البعض وسرنا عليها فهو لم يكن يسير فى أى شىء ارتجالياً، فكان يخطط لكل شىء حتى إذا أراد شراء شىء معين فلابد أن يخطط له ويفكر فيه، كان الذى لا يسمح به لى لا يسمح لنفسه به، فكان لنا نزهات فى أوقات معينة مثل يوم الجمعة كنا نذهب إلى النادى، إنما بعد حرب ١٩٦٧ كان يعطى كل وقته للقوات المسلحة وأنا مع الأولاد ولم أتضايق من ذلك لأننى كنت منذ صغرى وأنا أعلم بأننى أتزوج ضابط جيش وأتفهم طبيعة عمله، ورغم انشغاله كان يتابع البيت والأولاد عن طريقى، فكان يجىء من الجبهة ٤ أيام فى الشهر، لكنه يتابع حياتنا فى البيت ساعة بساعة، فكان يحدثنى فى التليفون كل يوم ليلاً ويعرف منى ما دار مع الأولاد خلال اليوم، صحيح كنت أدارى عنه بعض الهموم لأن لديه ما يكفيه فى عمله.

كان يحب العلم ويقدر التعليم فهو كان يدرس ويقرأ كثيراً وكان يدخل جميع مسابقات القوات المسلحة ويفوز بالمركز الأول فى أغلبها، فهو أب وزوج مثالى، لذلك لم أخلع الملابس السوداء، سواء داخل البيت أو خارجه منذ وفاته من ٣٦ عاماً.

وتروى السيدة سماح عن فترة ما قبل حرب أكتوبر، وتقول: عندما بدأ فى رسم خطة حرب أكتوبر كان يرسمها فى البيت على ترابيزة السفرة، وفى أثناء عمله بها كان ممنوعاً على أى أحد أن يدخل عليه وكان يغلق الباب وكان يزوره فى هذه الأثناء الرئيس الراحل أنور السادات ليناقش معه الخطة، ويحضر معه سبورة كبيرة للرسم، فكان الجيران يقولون: إن الرئيس أنور السادات يزورنا كل يوم ومعه هدايا كثيرة، ولم يعرفوا أنها السبورة التى يرسم عليها خطة حرب أكتوبر، وعندما قرروا ميعاد الحرب لم يخبر أحداً منا بالميعاد وتصرف يوم الحرب بطريقة عادية داخل البيت وعرفنا ببدء الحرب من الإذاعة مثل سائر الشعب، وكان لديه يقين أنه لا يمكن أن نستريح مع إسرائيل طالما هناك مهانة فى جبين الجيش المصرى ،ولابد أن ندخل معركة وننتصر، وبعد ذلك نسعى إلى السلام، فالهزيمة كانت تؤلمه جدًا.

وتتذكر السيدة سماح أنه قبل وفاته بيوم قال لها: سأقول شيئاً لك للتاريخ، إن حرب أكتوبر لم ننتصر فيها بالمصادفة أو الحظ، إنما هذه الحرب خطط لها جيداً ولم يترك شىء صغير لم يوضع فى الاعتبار.

ويقول السفير د. محمد إسماعيل، أكبر أبناء المشير أحمد إسماعيل: كان والدى قدوة لنا منذ الصغر، فكانت تصرفاته باستمرار عاقلة وسليمة ومتزنة، وكان يحثنا على أنه لابد أن يكون الشخص محترماً صادقاً مع نفسه ومع الناس وإن عمل عملاً لابد أن يجيده ويبتكر فيه، فمسيرته بالنسبة لى شخصياً رمز للإصرار فهو تقدم للكلية الحربية ورُفض وتقدم مرة أخرى ورفض وأصر وتقدم للمرة الثالثة، وعندما أصبح ضابطاً أخذ دورات تدريبية فهو كان باستمرار مهتماً بالعلم والتدرج فى التعليم، وطريقة إعداده للأبحاث وأيضاً للحرب كل هذا كان يمثل لنا قدوة يحتذى بها.

وأضاف د. محمد: إنه كان مرفوضاً تماماً أن نذكر أننا أبناء مَنْ، ولم يتجرأ أحد منا أن يذهب إلى مكان ويقول إنه ابن الوزير أو المشير أحمد إسماعيل، وحتى الآن إذا عرف أحد أننى ابن أحمد إسماعيل فبالتأكيد أنه عرف من شخص آخر غيرى رغم أننا فخورون بأننا أبناء هذا الرجل العظيم، لكننا تربينا على هذا، فكان لديه مبدأ وهو لماذا تحصل على شىء لا تستحقه لأنك ابن فلان وأبناء الناس الآخرين لا يحصلون عليها لمجرد أن أباهم فى غير مركز، وكان يرى أن رفع الظلم جائز لمن يستحق، إنما إعطاء ما لا يستحق فهو شىء مرفوض، كذلك تعودنا أن ننجز ما نريد بأنفسنا ونقف فى الطابور ونشعر بضيق شديد عندما يخترق أحد الطابور لأن لديه واسطة.

ويرى د. محمد أن والده حصل على التقدير الذى يرضى أسرته، ويقول: إن والدى حصل على تقدير كبير من الشعب، فالناس تتعامل معنا بكل الحب والتقدير بمجرد معرفتهم أننا أبناؤه، فسائق تاكسى غلبان رفض أن يأخذ ثمن توصيل ابنى عندما جاء لزيارة جدته، وعلم السائق أن هذا البيت هو بيت المشير أحمد إسماعيل، وهذا بعد مرور ٣٥ عاماً من وفاته، وهناك مدارس وشوارع باسمه وأيضاً دفعات بالقوات المسلحة باسمه، ويرجع الدكتور محمد عدم تسليط الأضواء على دوره فى حرب أكتوبر لسبب تواضعه، فهو عندما كتب خطاباً بعد انتصارنا فى حرب أكتوبر قال: «ما أنا

إلا واحد من هؤلاء الناس وضعنى الله فى موقع المسئولية فانتصرت بهم»، فهو كان رمزاً للتواضع وإنكار الذات، فكل الذى كان يهمه أن تنجح العملية العسكرية وليس إبراز دوره.

وتقول د. نرمين إسماعيل: والدى كان قائداً عظيماً، وإنساناً أعظم.. فقد كان يمتلك كل مفردات الرحمة والحب، وفى الوقت نفسه الحزم والشدة والهدوء والثقة، وفوق ذلك كان يتحلى بالإيمان، والحقيقة أن جميع أبنائه تعلموا منه فنون القيادة التى تربينا عليها.

(9)

أسد الصاعقة

هذا واحد من أبرز تلاميذ الفريق الشاذلى فى ميدان الصاعقة.. إنه العميد ابراهيم الرفاعى عبدالوهاب لبيب (٢٧ يونيو ١٩٣١ ـ ١٨ أكتوبر ١٩٧٣) قائد سلاح العمليات الخاصة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣. قائد المجموعة ٣٩ الشهيرة بأداء العمليات الانتحارية. أسطورة العمليات الخاصة. قام بتنفيذ ٧٢ عملية انتحارية خلف خطوط العدو ما بين ٦٧ و١٩٧٣. قام بتدمير معبر الجيش الإسرائيلى على القناة (الدفرسوار). حصل على ١٢ وساماً تقديرياً لشجاعته، استشهد فى حرب أكتوبر فكان استشهاده أروع خاتمة لبطل عظيم.

ولد إبراهيم الرفاعى فى حى العباسية بالقاهرة لأسرة تنحدر من محافظة الدقهلية فى ٢٧ يونيو ١٩٣١، وقد ورث عن جده (الأميرالاى) عبدالوهاب لبيب التقاليد العسكرية والرغبة فى التضحية فداءاً للوطن، كما كان لنشأته وسط أسرة تتمسك بالقيم الدينية أكبر الأثر على ثقافته وأخلاقه.

التحق إبراهيم بالكلية الحربية عام ١٩٥١ وتخرج ١٩٥٤، وانضم عقب تخرجه إلى سلاح المشاة وكان ضمن أول فرقة قوات الصاعقة المصرية فى منطقة (أبوعجيلة) ولفت الأنظار بشدة خلال مراحل التدريب؛ لشجاعته وجرأته منقطعة النظير.

تم تعيينه مدرساً بمدرسة الصاعقة، وشارك فى بناء أول قوة للصاعقة المصرية وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ شارك فى الدفاع عن مدينة بورسعيد. يمكن القول إن معارك بورسعيد من أهم مراحل حياة البطل إبراهيم الرفاعى، إذ عرف مكانه تماماً فى القتال خلف خطوط العدو، وقد كان لدى البطل اقتناع تام بأنه لن يستطيع أن يتقدم ما لم يتعلم فواصل السير على طريق اكتساب الخبرات وتنمية إمكانياته فالتحق بفرقة بمدرسة المظلات، ثم انتقل لقيادة وحدات الصاعقة للعمل كرئيس عمليات.

وجاءت حرب اليمن لتزيد خبرات ومهارات البطل أضعافاً، ويتولى خلالها منصب قائد كتيبة صاعقة بفضل مجهوده والدور الكبير الذى قام به خلال المعارك، حتى أن التقارير التى أعقبت الحرب ذكرت أنه «ضابط مقاتل من الطراز الأول، جرىء وشجاع ويعتمد عليه، يميل إلى التشبث برأيه، محارب ينتظره مستقبل باهر».

خلال عام ١٩٦٥ صدر قرار بترقيته ترقية استثنائية تقديرا للأعمال البطولية التى قام بها فى الميدان اليمنى.

بعد معارك ١٩٦٧ وفى يوم ٥ أغسطس ١٩٦٨ بدأت قيادة القوات المسلحة فى تشكيل مجموعة صغيرة من الفدائيين للقيام ببعض العمليات الخاصة فى سيناء، باسم فرع العمليات الخاصة التابعة للمخابرات الحربية والاستطلاع كمحاولة من القيادة لاستعادة القوات المسلحة ثقتها بنفسها، والقضاء على إحساس العدو الإسرائيلى بالأمن، وبأمر من مدير ادارة المخابرات الحربية اللواء محمد أحمد صادق وقع الاختيار على إبراهيم الرفاعى لقيادة هذه المجموعة، فبدأ على الفور فى اختيار العناصر الصالحة للتعاون معه.

كانت أولى عمليات هذه المجموعة نسف قطار للعدو عند «الشيخ زويد» ثم نسف «مخازن الذخيرة» التى تركتها قواتنا عند انسحابها من معارك ١٩٦٧، وبعد هاتين العمليتين الناجحتين، وصل لإبراهيم خطاب شكر من وزير الحربية على المجهود الذى يبذله فى قيادة المجموعة.

مع الوقت كبرت المجموعة التى يقودها البطل، وصار الانضمام إليها شرفاً يسعى إليه كثيرٌ من أبناء القوات المسلحة، وزادت العمليات الناجحة، ووطأت أقدام جنود المجموعة الباسلة مناطق كثيرة داخل سيناء، فصار اختيار اسم لهذه المجموعة أمراً ضرورياً، وبالفعل أُطلق على المجموعة اسم «المجموعة ٣٩ قتال»، وذلك من يوم ٢٥ يوليو ١٩٦٩، واختار الشهيد البطل إبراهيم الرفاعى شعار «رأس النمر» كرمز للمجموعة، وهو الشعار نفسه الذى اتخذه الشهيد أحمد عبدالعزيز خلال معارك ١٩٤٨.

كانت نيران المجموعة أول نيران مصرية تطلق فى سيناء بعد نكسة ١٩٦٧، وأصبحت عملياتها مصدراً للرعب والهول والدمار على العدو الإسرائيلى أفراداً ومعدات، ومع نهاية كل عملية كان إبراهيم يبدو سعيداً كالعصفور، تواقاً لعملية جديدة، يبث بها الرعب فى نفوس العدو. تناقلت أخباره ومجموعته الرهيبة وحدات القوات المسلحة، لم يكن عبوره هو الخبر إنما عودته دائماً ما كانت المفاجأة، فبعد كل إغارة ناجحة لمجموعته تلتقط أجهزة التنصت المصرية صرخات العدو واستغاثات جنوده، وفى إحدى المرات أثناء عودته من إغارة جديدة قدم له ضابط مخابرات هدية عبارة عن شريط تسجيل ممتلئ باستغاثات العدو وصرخات جنوده.

وللأسف لم تُجمع بسالة وشجاعة المجموعة ٣٩ قتال حتى اليوم نظراً لانتساب جميع أفرادها للمخابرات وطبقاً لمبدأ حماية هوياتهم لم يتم نشر موسع لعملياتهم.. وقد يكون ما أعلمه عنهم ضحلا للغاية ولا يذكر، فهم الذين قاموا صباح استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض بعبور القناة واحتلال موقع المعدية رقم ٦ الذى أطلقت منه القذائف التى تسببت فى استشهاد الفريق رياض وإبادة ٤٤ عنصراً إسرائيلياً كانوا داخله بقيادة الشهيد إبراهيم الرفاعى الذى كانت أوامره هى القتال باستخدام السونكى فقط. وكانت النتيجة أن إسرائيل تقدمت باحتجاج لمجلس الأمن فى ٩ مارس ١٩٦٩ أن قتلاها «تم تمزيق جثثهم بوحشية».

كما أن المجموعة ٣٩ قتال هى صاحبة الفضل فى أسر أول أسير

إسرائيلى فى عام ١٩٦٨ عندما قامت أثناء تنفيذ إحدى عملياتها بأسر الملازم الإسرائيلى دانى شمعون بطل الجيش الإسرائيلى فى المصارعة والعودة به للقاهرة دون خدش واحد.

وكانوا أول من رفع العلم المصرى فى حرب الاستنزاف على القطاع المحتل، حيث بقى العلم المصرى مرفرفاً ثلاثة أشهر فوق حطام موقع المعدية رقم ٦٠، وفى ٢٢ مارس ١٩٦٩ قام أحد أفراد المجموعة القناص مجند أحمد نوار برصد هليوكوبتر عسكرية تحاول الهبوط قرب الموقع وبحاسته المدربة ومن مسافة تجاوزت الكيلو ونصف الكيلومتر اقتنص رأس أحدهم، وكان القائد الإسرائيلى العام لقطاع سيناء. كانوا الفرقة الوحيدة التى سمح لها الرئيس جمال عبدالناصر بكسر اتفاقية روجرز لوقف إطلاق النار عندما تم تغيير اسم الفرقة من المجموعة ٣٩ قتال إلى «منظمة سيناء العربية» وسمح لهم بضم مدنيين وتدريبهم على العمليات الفدائية، وتم تجريدهم من شاراتهم ورتبهم العسكرية ليمارسوا مهماتهم بحرية خلف خطوط العدو، ويقال إن أفرادها هم الذين ألّفوا نشيد الفدائيين المعروف... وقد استردوا شاراتهم ورتبهم العسكرية واسمهم القديم (المجموعة ٣٩ قتال) صباح الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ عندما تم إسقاطهم خلف خطوط العدو لتنفيذ مهمات خاصة واستطلاعات استخبارية أرضية تمهيداً للتحرير، وأطلق عليهم الجيش الإسرائيلى فى تحقيقاته فيما بعد مجموعة الأشباح.

☆☆☆

وهنا نستكمل قصة إبراهيم الرفاعى أحد أبطال الصاعقة الكبار، وخلف منه دائماً سنجد تعليمات وتعاليم أستاذه الشاذلى.

عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ تطوع الضابط إبراهيم الرفاعى ليقود إحدى مجموعات الفدائيين التى أرعبت القوات الغازية فى مدينة بورسعيد التى ظل يقاتل بها حتى انسحاب قوات العدوان، وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ عبر إلى سيناء ليجمع الجنود

والضباط العائدين ويعود بهم، شرع الرفاعى فى تكوين مجموعته ويبدأ فى مهاجمة العدو بسيناء.

وفى عام ١٩٦٨ عاد الرفاعى من إحدى العمليات ومعه أول أسير إسرائيلى، هو الملازم دان شمعون (كان عبدالناصر لا ينام قبل أن يعود الرفاعى من عمليات العبور، ويتصل به شخصياً ليطمئن منه على نجاح العملية).

وبعد استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض فى ١٩٦٩/٣/٩ أثناء تفقده لجبهة القتال، طلب الرفاعى الإذن بمهاجمة الموقع الإسرائيلى الذى خرجت منه الطلقة وعبر ورجاله وقتلوا كل من فى الموقع .

فى يوم ١٨ أكتوبر ١٩٦٩ تم تكليف مجموعة البطل بمهمة اختراق مواقع العدو غرب القناة والوصول إلى منطقة (الدفرسوار) لتدمير المعبر الذى أقامه العدو لعبور قواته، فقد تقدم شارون ومعه ٢٠٠ دبابة من أحدث الدبابات الأمريكية للاستيلاء على مدينة الإسماعيلية.

وعلى ضوء التطورات الجديدة بدأ الرفاعى فى التحرك ونظم مجموعة من الكمائن على طول الطريق من جسر (المحسمة) إلى قرية (نفيشة)، وما إن وصلت مدرعات العدو حتى انهالت عليها قدائف الـ(آر. بى. جى) لتثنيه عن التقدم.

وأدرك شارون أن أحلامه تبخرت، وأنه فشل فى أداء مهمته بعد أن رأى اشتعال دباباته، وسمع صرخات جنود المظلات وهم يطلبون الرحمة، ثم يدعى الإصابة ويربط رأسه ويطلب طائرة هليوكبتر تنتشله من الجحيم الذى اشتعل حوله ويترك جنوده.

وحدهم يواجهون الموت وشراسة أبناء الرفاعى ويفر الجنود اليهود مذعورين بعد معرفتهم بفرار قائدهم ما دفع بعض القادة اليهود للمطالبة بمحاكمة شارون لفراره من أرض المعركة بعد انكشاف كذبة إصابته، ولفشله فى تحقيق مهمته، رغم كل القوة الرهيبة التى وفرتها له القيادة الإسرائيلية.

وتظل الإسماعيلية صامدة حرة

وبينما يخوض رجال المجموعة قتالاً ضارياً مع مدرعات العدو، وبينما يتعالى صوت الأذان من مسجد قرية (المحسمة) القريب، تسقط إحدى دانات مدفعية العدو بالقرب من موقع البطل، لتصيبه إحدى شظاياها المتناثرة، ويسقط الرجل الأسطورى جريحاً، فيسرع إليه رجاله فى محاولة لإنقاذه، ولكنه يطلب منهم الاستمرار فى معركتهم ومعركة الوطن.

(10)

هذا هو فوزى

محمد فوزى أمين فوزى من مواليد القاهرة - العباسية فى ١٩١٥/٥/١٣ متزوج وله أربعة أبناء.

العمل : متقاعد من ١٩٧١/٥/١٣ حيث قدم استقالته كوزير للحربية وقائد عام للجيوش العربية المواجهة لإسرائيل، أما المناصب التى شغلها فقد تخرج سنة ١٩٣٦ برتبة ملازم ثان وتدرّج فى الرتبة وفى خدمة وحدات مدفعية الميدان حتى ١٩٣٨، ثم انتقلً إلى خدمة المدفعية المضادة للطائرات فى اللواء الأول المضاد للطائرات، ثم انتقل إلى الخدمة الميدانية فى الساحل الشمالى لمصر عام ١٩٣٩ فى بداية الحرب العالمية الثانية حيث تولى قيادة البطارية الثالثة (م. ط. ب) بالمنطقة الغربية فى مرسى مطروح إلى الضبعة إلى فوكة إلى العامرية إلى الدخيلة إلى ميناء إسكندرية الغربى، حيث وقعت أعنف المواجهات العسكرية بين وحدتى البطارية الثالثة المضادة للطائرات وبين طائرات المحور ألمانيا - إيطاليا حتى عام ١٩٤٢، وانتدب بالكلية الحربية مدرس توبوغرافيا ثم عاد إلى اللواء الأول (م. ط) حيث رشح اللواء للعمل فى مسرح عمليات فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٥ وكان قائداً للبطارية الرابعة (م. ط) واشترك بوحدته ضد الإسرائيليين فى مستعمرة الدنجور ونستليم ويسليم إلى أن أصيب وأدخل المستشفى بالقاهرة.

تأهل عملياً فى جميع الفرق العملية لفن المدفعية المضادة للطائرات التى تغير

اسمها لتكون الدفاع الجوى عام ١٩٦٨، اشترك فى خلايا الثورة منذ عام ١٩٤٨ وبعد نجاحها رشح ليكون كبير معلمى الكلية الحربية ثم مديراً لها، عاصر حرب ١٩٥٦ ثم حرب ١٩٦٧ثم عين قائداً عاماً للقوات المسلحة اعتبار من ١٩٦٧/٦/١١ وعين وزيراً للحربية اعتباراً من مارس ١٩٦٨ وكان قد وصل إلى رتبة فريق أول وأعاد بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ كما أعاد الثقة للجندى المقاتل فى مواجهة العدو، قاد حرب الاستنزاف من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ بنجاح حيث أجبر الجندى الإسرائيلى على الدفاع لأول مرة. أعدّ الخطة «جرنيت» التى تعنى تحرير سيناء بقوة السلاح بالتعاون مع القوات المسلحة السورية قدم استقالته يوم ١٩٧١/٥/١١، ورفضها الرئيس محمد أنور السادات وحولها إلى محاولات انقلاب ضد الحكم وقدم للمحاكمة العسكرية حيث حكمت المحكمة عليه بالسجن ١٥عاما أشغالاً شاقة، وبضغط من القوات المسلحة حصل على إعفاء صحى بعد ٤ سنوات وشهرين خرج بعدها من السجن ليقوم بمهمة التأليف والنشر والتوعية السياسية والعسكرية.

(11)

عبدالمنعم رياض

ولد الفريق محمد عبدالمنعم محمد رياض عبدالله فى قرية سبرباى إحدى ضواحى مدينة طنطا بمحافظة الغربية فى ٢٢ أكتوبر ١٩١٩، ونزحت أسرته إلى الفيوم، وكان جده عبدالله طه على الرزيقى من أعيان الفيوم، وكان والده القائم مقام (رتبة عقيد حاليا) محمد رياض عبدالله قائد بلوكات الطلبة بالكلية الحربية والتى تخرج على يديه كثير من قادة المؤسسة العسكرية.

درس فى كتاب القرية وتدرج فى التعليم وبعد حصوله على الثانوية العامة من مدرسة الخديو إسماعيل التحق بكلية الطب بناء على رغبة أسرته، ولكنه بعد عامين من الدراسة فضل الالتحاق بالكلية الحربية التى كان متعلقا بها، انتهى من دراسته فى عام ١٩٣٨م برتبة ملازم ثان، ونال شهادة الماجستير فى العلوم العسكرية عام ١٩٤٤، وكان ترتيبه الأول، وأتم دراسته كمعلم مدفعية مضادة للطائرات بامتياز فى إنجلترا عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦. أجاد لغات عدة منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية، وانتسب أيضاً لكلية العلوم لدراسة الرياضة البحتة، وانتسب وهو برتبة فريق إلى كلية التجارة لإيمانه بأن الاستراتيجية هى الاقتصاد.

فى عام ١٩٤١ عين بعد تخرجه فى سلاح المدفعية، وألحق بإحدى البطاريات المضادة للطائرات فى المنطقة الغربية، حيث اشترك فى الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا وإيطاليا.

وخلال عامى ٤٧ و١٩٤٨ عمل فى إدارة العمليات والخطط فى القاهرة، وكان

همـزة الوصل والتنسـيق بينهـا وبين قـيـادة الميـدان فى فلسـطين، ومنح وسـام الجدارة الذهبى لقدراته العسكرية التى ظهرت آنذاك.
فى عـام ١٩٥١ تولى قيادة مدرسـة المدفعيـة المضـادة للطائرات وكان وقـتهـا برتبة مقدم.
فى عام ١٩٥٣ عين قائداً للواء الأول المضاد للطائرات فى الإسكندرية.
من يوليـو ١٩٥٤ وحتى أبريل ١٩٥٨ تولى قيـادة الدفـاع المضـاد للطائرات فى سلاح المدفعية.
فى ٩ أبريل ١٩٥٨ سافر فى بعثة تعليمية إلى الاتحـاد السوفييتى لإتمام دورة تكتيكية تعبوية فى الأكاديمية العسكرية العليا، وأتمها فى عام ١٩٥٩ بتقدير امتياز وقد لقب هناك بالجنرال الذهبى.
عام ١٩٦٠ بعد عودته شغل منصب رئيس أركان سلاح المدفعية.
عام ١٩٦١ عين نائباً لرئيس شعبة العمليات برئاسـة أركان حرب القوات المسلحة، وأسند إليه منصب مستشار قيادة القوات الجوية لشئون الدفاع الجوى.
فى عـامى ٦٢ و١٩٦٣ اشـتـرك وهو بـرتبـة لواء فـى دورة خـاصـة بالصـواريخ بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات حصل فى نهايتها على تقدير الامتياز.
وفى عام ١٩٦٤ عين رئيسا لأركان القيادة العربية الموحدة.
ورقى فى عام ١٩٦٦ إلى رتبة فريق، وأتم فى السنة نفسها دراسته بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وحصل على زمالة كلية الحرب العليا.
وفى ١١ يونيو ١٩٦٧ اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فبدأ مع وزير الحـربيـة والقـائد العـام للقـوات المسلحـة الجـديد الفـريق أول محـمـد فوزى إعادة بنائها وتنظيمها.
وفى عام ١٩٦٨ عين أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية.
حقق عبدالمنعم رياض انتصارات عسكرية فى المعارك التى خاضتها القوات المسلحة المصرية خلال حرب الاستنزاف مثل معركة رأس العش التى منعت فيها قوة صغيرة من المشاة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة بور فؤاد المصرية الواقعة على قناة السويس، وذلك فى آخر يونيو ١٩٦٧، وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، وإسقاط بعض الطائرات الحربية الإسرائيلية خلال عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ .

(12)

لغز.. عبدالحكيم!!

هو المشير محمد عبد الحكيم عامر ١١ ديسمبر١٩١٩ - ١٤سبتمبر ١٩٦٧، كان وزير الحربية فى مصر، واحد من الضباط الأحرار.

عامر شارك مع الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨، وفى انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقاد الجيش المصرى فى حرب السويس ١٩٥٦، وفى حرب اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧وفى حرب ١٩٦٧،.. وقد جمعته علاقة قوية مع عبد الناصر، وحاولا دراسة الحقوق ولم يكملا لظروف الثورة وعبدالحكيم هو ابن شقيق حيدر باشا وزير الدفاع.. ويقال إنه توسط لجمال لكى يدخل الحربية..

وقد أثارت مذكرات عبدالحكيم عامر الكثير من الأقاويل حولها: وهل ما نشر منها هنا وهناك هو فعلا ينتمى إلى المشير أم أنها أوراق مدسوسة عليه، والهدف منها ضرب عبدالناصر من وراء ستار، وهنا أستشهد بما جاء فى مقال للكاتب عمرو صابح قال فيه : المدهش فى الأمر أن هناك كتباً عربية عديدة، ظهرت كان مرجعها الأساسى والرئيس هو كتاب «لعبة الأمم» مثل كتاب «ثورة يوليو الأمريكية» لمحمد جلال كشك، وقد راجت تلك الكتب وأصبح بعض الموتورين يستعينون بها فى إطار هجومهم على ثورة ٢٣ يوليو. والحقيقة أن الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر والتى ظهرت حتى الآن هى مشروع البيان الذى أعده المشير، لكى يذيعه من الإسماعيلية فى حال نجاح الخطة التى كانت مرسومة لوصوله إلى موقع

القوات المسلحة هناك أثناء محاولة الانقلاب التى كان يعد لها مع رجاله عقب النكسة، وقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل بنشر هذا البيان فى كتابه «الانفجار ١٩٦٧»- طبعة الأهرام، فى الصفحات من ١٠٨١ إلى ١٠٨٩.

وفى هذا البيان المكتوب بخط يد المشير الراحل، يقول عبد الحكيم عامر: «نتيجة لكل ذلك.. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر، ومنعه من تدميرها، وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال».

هذا اعتراف صريح من المشير الراحل بأنه هو الذى أصدر قرار الانسحاب غرب القناة، وفيه رد مفحم على بعض الأقلام التى مازالت تصر على أن الرئيس عبد الناصر هو الذى أصدر قرار الانسحاب، وفرضه على المشير عامر.

من المحزن أن شهداء مصر فى اليوم الأول للقتال كان ٢٩٤ شهيداً، وبعد قرار المشير المنفرد بالانسحاب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧، وبالطريقة التى تم تنفيذ القرار بها، وصل عدد الشهداء المصريين إلى ٦٨١١ شهيداً مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ عندما قبلت مصر قرار وقف إطلاق النار.

والآن ما دامت لم تظهر ورقة واحدة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر بعد مرور ٤٣ عاما على وفاته؛ فيمكننا القول بعدم وجود أى أساس من الصحة لتلك الأقاويل عن وجود مذكرات مكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر؛ وإلا فأين ذهبت تلك المذكرات؟ ومن يمتلكها؟ ولماذا يخفيها حتى الآن؟!!

(13)

واصل..
نجم من أكتوبر

البطل عبدالمنعم واصل بعد حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية التجارة جامعة القاهرة، وبعد حصوله على البكالوريوس ألتحق بالكلية الحربية عام١٩٤٠، وحصل على العديد من الدورات فى الاتحاد السوفييتى وبريطانيا وأمريكا، ويعد من الضباط المصريين القلائل الذين شاركوا فى الحرب العالمية الثانية، وحرب فلسطين، وحروب ١٩٥٦ وكان وقتها قائداً لتشكيل مدرع. تدرج فى العمل بالقوات المسلحة خلال مشواره الذى استمر لأكثر من ربع قرن.

فى حرب ١٩٦٧، كان عبدالمنعم واصل برتبة عميد، وقاد اللواء ١٤ مدرع، مسانداً للواء ١١ مشاة فى منطقة أم القطف وجبل لبنى بوسط سيناء، ورفض الاستسلام للهزيمة، وأدار معركة من أقوى المعارك، وكبد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٤٧ دبابة، ٦ عربات مجنزرة اعترف بها موشى ديان، وغيره من قادة إسرائيل. وواصل دوره فى إعادة بناء القوات المسلحة لخوض معركة النصر.

كان للفريق واصل دور كبير فى صد الثغرة التى حدثت فى الدفرسوار خلال معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

فى الثامن عشر من شهر فبراير ١٩٧٣، تم تكريمه ضمن الأبطال المكرمين فى الجلسة التاريخية لمجلس الشعب حيث منحه الرئيس السادات أرفع الأوسمة العسكرية، ويعد من القادة العسكريين القلائل الذين مُنحوا وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

فى السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٧٤ تم تعيينه محافظا لسوهاج، وفى الثانى عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٧٦، تم تعيينه محافظاً للشرقية، وظل حتى شهر نوفمبر ١٩٧٨ .

فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر مايو عام ٢٠٠٢ انتقل إلى الدار الآخرة، وشيع فى جنازة عسكرية.

(14)

عندما تكلم فوزى

هو الرجل الذى تولى حقيبة الحربية بعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر، وبدأت معه أولى خطوات إعادة بناء الجيش المصرى، من مواليد ١٩١٠ بمحافظة المنوفية، وأصوله شركسية وكان والده ضابطاً كبيراً بالجيش، وجده ياور خديو مصر كان رئيس أركان حرب الجيش المصرى خلال حرب ٦٧، وتولى صفوف الجيش، وجرى عزله من منصبه بعد وصول السادات إلى الحكم، وتم اعتقاله مع مجموعة من المسئولين بتهمة التآمر ضد السادات فيما عرف بانقلاب ١٥مايو .. عرف عنه الحزم إلى درجة الشدة، وأمر مبارك بعلاجه على نفقة الدولة وتوفى فى ١٦فبراير٢٠٠٦، وكان مبارك فى مقدمة مشيعيه. وقد دارت معه مقابلة صحفية قبل وفاته بفترة قصيرة، وكان فى مقدمة الأسئلة سؤال حول الثغرة وكيف تم معالجتها، ومن يتحمل مسئوليتها فى المقام الأول.. وكذا سؤال حول حرب ٥يونيو ١٩٦٧ .. فقال:

المسئول عن الثغرة هو الرئيس محمد أنور السادات، إذ إنه يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ أصدر قراراً رئاسياً خاطئاً من الناحية العسكرية أدى إلى الثغرة، ويعتبر الفريق سعد الشاذلى كبش فداء لهذه العملية، وبدل أن يوجه الاتهام إلى القائد العام جعل الشاذلى كبش فداء لكن الخطأ الأساسى من أنور السادات بإصداره القرار يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ وهو خاطئ عسكرياً عرض أمن القوات المسلحة فى جبهة قناة السويس إلى الخطر؛ الأمر الذى استغله

الإسـرائيليـون، ونفـذوا خطـة الثـغرة التـى كـانـت مـعـروفـة لنا مـن سـنة ١٩٧١، وكانوا يسـمونهـا الغـزالة، وتدربت عليهـا القـوات المصـرية تدريباً يسـمح بفشل أى هجوم عليها، ولكن الظروف تغيرت وأغلب القادة دخلوا السجن، ومن حل محلهم لم يحضروا حـرب الاستنزاف بالكامل، لا المشير أحمد إسـماعيل ولا الشـاذلى الذى كـان مـوجـوداً فى منطقـة البـحـر الأحـمـر، وجـمـيع قـادة الفـريق أحيلوا على المعـاش مع أحمـد إسـمـاعيل بعـد سـنة ١٩٦٧ فكل الأوراق والوثائق الخـاصـة بعمليات حـرب الاسـتنزاف ضد العـدو بما فيهـا حكاية الثـغرة كلهـا كـانـت مـوجـودة ورغـم ذلك وقـعت ، وشـارون أشـار إلى أمـاكن الاخـتـراق بخط أحـمـر وهـى تمـتـد ٦ كيلومـتـرات سنة١٩٧١، ولما حـصلت الغلطة التى ارتكبـهـا السـادات كـان ديان مـوجـوداً فـى الجـانب الآخـر وربت على كـتف شـارون، وذلك بعدمـا زودته الطائرات بصـور وقـال له يبدو أنك ولـدت وفى فمك ملعقة ذهب ، نفذ الخطة ونفذت الخطة ونجحت.

(15)

اعرف عدوك

موشيه ديان، وزير الدفاع الإسرائيلى حتى عام ١٩٧٤، ظل لعقد من الزمان رمزاً للحماية المقدسة لليهود وحامى نجمة داوود المقدسة، ولد فى فلسطين ويعتبر من الصابرا (الجيل الإسرائيلى الذى ولد فى فلسطين ولم يشهد الشتات)، كان والده من رواد الاستيطان وقد عاش لفترة فى إحدى مزارع الموشاف، ودرس الزراعة بها وانضم للهاجاناه، وعندما بلغ ١٤ عاماً، التحق دايان بمنظمة الهاجاناه العسكرية والبالماخ فى بداية تكوينها قبيل الحرب العالمية الثانية. وعمل مع مجموعات الحراسة التى نظمها الانتداب البريطانى لمواجهة المظاهرات العربية، كما اشترك فى الوحدات التى نظمها وينجت للحراسة الليلية، وتأثر بنشاطه فى العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية، وقبضت عليه السلطات البريطانية لنشاطه السرى فى الحركة الصهيونية المسلحة عام ١٩٣٩، وأفرج عنه عام ١٩٤١ لكى يقود جماعات البالماخ التى كانت مكلفة بمهام استكشافية (وليست قتالية) إبان الغزو البريطانى حين فقد عينه اليسرى فى اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشى، وقد عمل مع المخابرات البريطانية فى إقامة شبكة إذاعية تعمل فى حالة وقوع فلسطين تحت الاحتلال الألمانى، كما عمل كضابط اتصال وتخابر مع البريطانيين فى القدس حتى١٩٤٤، وفى حرب ١٩٤٨ قاد ديان عمليات القوات الصهيونية فى وادى الأردن، كما قاد القوات التى استولت على اللد والرملة وعمل فى جبهة القدس قبل اشتراكه فى محادثات

رودس ١٩٤٩ مع الأردن، كرئيس للوفد العسكرى فى لجان الهدنة المشتركة، وفى عام ١٩٥٠ عين قائداً للقطاع الجنوبى، ثم قائداً لقطاع الشمال، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات الحربية، وفى عام ١٩٥٢ تولى رئاسة الأركان العامة ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٩٥٣، وبهذا يكون قد تولى أهم المناصب الرئيسية فى الجيش الإسرائيلى، وقد قام ديان بتدبير سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد مصر وسوريا والأردن ولبنان عام ١٩٥٥، وبدأ نجمه فى الصعود بعد توليه قيادة حملة سيناء عام ١٩٥٦ (العدوان الثلاثى). وفى أواخر عام ١٩٥٧ درس القانون والاقتصاد و العلوم السياسية، وقد تولى «دافيد بن جوريون» حضانة ديان سياسياً فدخل الكنيست الإسرائيلى عام ١٩٥٩، وأسندت إليه وزارة الزراعة فى عام ١٩٥٩، إلا أنه ترك الوزارة عام ١٩٦٤ على إثر نشوب خلاف بينه وبين «ليفى أشكول»، وما لبث أن انشق عن الماباى مقتفياً خطى بن جوريون لتكوين حزب رافى، وذهب بعد ذلك إلى فيتنام الجنوبية لدراسة أسلوب مقاومة الشعب الفيتنامى للجيش الأمريكى الذى يستخدم معدات حربية متقدمة، وقد كان لآراء ديان بشأن ضرورة التفوق العسكرى الإسرائيلى كأسلوب للتعامل مع الدول العربية المجاورة أكبر الأثر فى تدعيم التصور الصهيونى للأمن، وفى تزايد سطوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وقد كان من الطبيعى أن يتولى وزارة الدفاع الإسرائيلية فى أغسطس ١٩٦٦ إبان إعداد إسرائيل لشن حرب يونيو ١٩٦٧.

وفى الفترة التالية للحرب صار ديان رمزاً لتسلط فكر المؤسسة العسكرية على المجتمع، وتولى إدارة الأراضى المحتلة من خلال الحكم العسكرى، وباعتباره وزيراً للدفاع كان ديان مسئولاً عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضى العربية المحتلة باستخدام أسلوب العقاب الجماعى، ونسف المنازل، وتبنى سياسة الجسور المفتوحة والردع الجسيم ضد الفدائيين الفلسطينيين فى أعقاب أى من عملياتهم العسكرية.

وفى أيامه الأخيرة أبدى مواقف معارضة لأى تنازلات للعرب قد تقوم بها وزارة (رابين)، وكان موشيه ديان سبباً فى تهجير العديد من يهود المغرب واليمن والحبشة (الفالاشاه) إلى إسرائيل، وكان من أهم ألقاب موشيه ديان فى إسرائيل لقب بحامل المينوراه.

(16)

إلى النائب العام

السيد النائب العام

تحية طيبة.. وبعد

أتشرف أنا الفريق سعدالدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣، أقيم حاليا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر العاصمة، وعنوانى هو صندوق بريد رقم ٧٧٨ الجزائر - المحطة بأن أعرض على سيادتكم ما يلى:

أولا : إنى أتهم السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بأنه خلال الفترة ما بين أكتوبر ١٩٧٣ ومايو ١٩٧٨، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية بأنه ارتكب الجرائم التالية:

الإهمال الجسيم: وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل فى مسئولياته إهمالاً جسيماً، وأصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التى أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلى:

(أ) نجاح العدو فى اختراق مواقعنا فى منطقة الدفرسوار ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ١٩٧٣ فى حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقاً.

(ب) فشل قواتنا فى تدمير قوات العدو التى اخترقت مواقعنا فى الدفرسوار، فى حين أن تدمير هذه القوات كان فى قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.

(ج) نجاح العدو فى حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣، فى حين أنه كان من الممكن تلافى وقوع هذه الكارثة.

تزييف التاريخ: وذلك أنه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر، ولكى يحقق ذلك فقد نشر مذكراته فى كتاب سمَّاه البحث عن الذات» وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التى تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البرىء.

الكذب: وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصرى فى بياناته الرسمية وفى خطبه التى ألقاها على الشعب، أذيعت فى شتى وسائل الإعلام المصرى، وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب فى مذكراته البحث عن الذات، ويزيد عددها على خمسين كذبة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

(أ) إدعاءه بأن العدو الذى اخترق فى منطقة الدفرسوار هو سبع دبابات فقط، واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.

(ب) ادعاءه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط فى حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

الادعاء الباطل: وذلك أنه ادعى باطلاً بأن الفريق الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهاراً يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣، وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، فى حين أنه لم يحدث شىء من ذلك مطلقاً.

إساءة استخدام السلطة: وذلك أنه بصفته السابق ذكرها سمح لنفسه بأن يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة فى ترويج هذه الإدعاءات الباطلة. وفى الوقت نفسه فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية التى تعتبر من الوجهة القانونية ملكاً للشعب للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة.

ثانياً: إنى أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير ارتكابه تلك الجرائم ونظراً لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

ثالثاً: إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية فى ظل الدستور الحالى على تلك الجرائم، فإن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم هو محاكمتى لأننى تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التى قد تعتقدون من وجهة نظركم أنها اتهامات باطلة، إن البينة على من ادعى وإنى أستطيع - بإذن الله - أن أقدم البينة التى تؤدى إلى ثبوت جميع هذه الادعاءات وإذا كان السادات يتهرب من محاكمتى، على أساس أن المحاكمة قد تترتب عليها إذاعة بعض الأسرار، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتى فى مجلة «الوطن العربى» فى الفترة ما بين ديسمبر ١٩٧٨ ويوليو ١٩٧٩ للرد على الأكاذيب والادعاءات، الباطلة التى وردت فى مذكرات السادات. لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع إلى محتوياتها عشرات الملايين من البشر فى العالم العربى ومئات الألوف فى مصر.

التوقيع :

الفريق أول سعد الدين الشاذلى

الجزائر/يوليو/١٩٧٩

(17)

بالعبرى الصريح

فى كتاب إيلى زعيرا رئيس المخابرات الحربية الإسرائيلية فى حرب ١٩٧٣ بعنوان «حرب الغفران: الأسطورة أمام الواقع» نقرأ عن نظرة العدو الصهيونى لهذه الحرب التى عدت انتكاسة إسرائيل الكبرى حتى الآن ، والكتاب صدرت ترجمته للعربية بعد أكثر من عشرين عاماً على صدور تقرير لجنة (اجرانات) التى تم تشكيلها لمعرفة من المسئول عن الهزيمة فى الحرب.

وذكرت الصحف آنذاك أن الكتاب هز الأوساط الأمنية والاجتماعية فى إسرائيل مما حدا بالحكومة إلى مصادرته قبل طبعه من قبل جهاز الرقابة العسكرية التابع رأسا للمخابرات الحربية الإسرائيلية، وللموساد أكثر من مرة، فهو يكشف عن أسرار لم تنشر من قبل فى أى مكان، لأن إيلى زعيرا نفسه ظل صامتاً بعد إقالته إلى وقت تأليف هذا الكتاب، وبعد أن انتهت فترة الحظر المفروضة على الأسرار العسكرية فتح زعيرا النار على كل من علّقوا به وعليه أخطاء الهزيمة ليقول: «كلكم مخطئون عدا المخابرات الحربية وأنا».

فى مذكراته هذه التى ترجمها توحيد مجدى يقول زعيرا إن المخابرات المصرية دست معلومات مضللة على جولدا مائير بدون تحليل من المخابرات على أساس أنها موثوق بها وكانت هذه المعلومات هى السبب الأساسى وراء التقديرات الخاطئة التى اتخذتها الحكومة الإسرائيلية.

ويشير إلى أن خط بارليف لم يكن حصناً منيعاً كما صورته إسرائيل للعالم،

فحين قامت طائرات السلاح الجوى المصرى بتصوير الضفة الشرقية لقناة السويس اكتشفوا أن خط بارليف ليس خطاً متصلا ،ولكنه شبكة من المواقع المتباعدة جداً وبين كل موقع وآخر توجد مسافة كبيرة لا يسيطر عليها الجيش الإسرائيلى على الإطلاق، وعلى وجه الخصوص فى ساعات الليل.

وفى موضوع الخسائر فى الدبابات يقول الباحث: «لقد كانت النتيجة أنه من بين ٢٨٠ دبابة كانت موجودة لدى مجموعة عمليات سيناء ظهر السادس من أكتوبر، لم يبق فى الغداة سوى ١١٠ دبابات، ولقد أصيبت ١٥٣ دبابة نصفها غرق فى المستنقعات أو دمر».

ويؤكد المؤلف أنه فى حرب أكتوبر فقد سلاح الطيران ١٠٩ طائرات، سبع طائرات فقط فقدناها فى معارك جوية، أما الباقى أكثر من مائة طائرة فقدناها نتيجة نيران أرضية من صواريخ متطورة، أما سوريا فكان كل ما فقدته أربع بطاريات صواريخ أرض/ جو، من بين ٣٠ بطارية صواريخ (أرض/جو) على طول الجبهة.

(18)

حقائق للتاريخ

يرتبط تاريخ الشعب اليهودى كما هو وارد فى أسفار موسى الخمسة بمصر والمصريين منذ البداية، إذ يبدأ التاريخ بالعبودية فى مصر ثم الخروج منها، وهى اللحظة التى تحول اليهود فيها إلى شعب، لهذا أصبحت مصر رمزاً للعبودية والمنفى وتحول المصريون رمزاً للأغيار ، وهذا (التاريخ المقدس) لا علاقة له بالتاريخ الحقيقى، فالعلاقة بين الإمبراطورية المصرية القديمة والمملكة العبرانية لم تكن دوماً سيئة، كما أنها لم تكن طيبة طوال الوقت، فإذا نظرنا إلى الجانب الإيجابى فى العلاقة نجد أن العبرانيين كثيراً ما انضموا للقوات المصرية كمرتزقة، وقبل سقوط الهيكل على يد (تيتوس الرومانى) كانت توجد مستوطنة يهودية فى جزيرة الفنتين بأسوان، يقوم سكانها من الجنود المرتزقة بحماية حدود مصر الجنوبية، كما كان اليهود يهاجرون بأعداد كبيرة إلى مصر،

والتاريخ اليهودى المقدس يذكر زواج الملك (سليمان) من أميرة فرعونية (وإن كان هذا الحدث الأخير يؤخذ كمؤشر على مدى تدهور سلطة ملوك مصر الفراعنة، أما من الناحية السلبية فنجد أن كثيراً من ملوك مصر القديمة قاموا باحتلال فلسطين لحماية حدود مصر الشرقية، أو ليفرضوا حكومة تابعة لهم، كما أن الأقلية اليهودية فى مصر تحالفت مع الغزاة الهكسوس، من كل هذا نستنتج أن علاقة المصريين باليهود كانت علاقة عادية تتسم

بالصداقة أحياناً وبالعداوة أحياناً أخرى، ولكن التاريخ الحقيقى لا علاقة له بالتاريخ المزيف الذى يدرسه الطالب اليهودى ثم الطالب الإسرائيلى فى «المدرسة التلمودية» أو فى دروسه الدينية، وهو (التاريخ) الذى تنظر أوروبا إلى مصر من خلاله، وهو الأساس الفكرى لكثير من الأفكار الغربية العنصرية عن مصر والعرب، وحقوق اليهود المطلقة فى أرض الميعاد.

قبل وأثناء حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كان يحكم إسرائيل جيل كامل منذ عام ١٩٤٨، وكان هذا الجيل هو (الواجهة الديمقراطية) للحكم الديكتاتورى للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى كانت تحكم إسرائيل، وكان لهذا الجيل دور فى خداع الرأى العام الأمريكى، حتى أعلنت بعض الأقلام العالمية أكثر من مرة أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تمارس الديمقراطية.

(19)

الرئيس اللغز!

اسمه بالكامل محمد نجيب يوسف عباس القشلان، عانى أبوه "يوسف نجيب" اليتم مبكرا فى قرية النحارية ، ونشأ معتمدا على نفسه ليعمل فى الزراعة والرعى، واستطاع بمشقة أن ينتظم فى التعليم إلى أن التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها ١٨٩٦، ليخدم بالكتيبة "١٧ مشاة" فى السودان، تزوج من "زهرة" ابنة أحد وجهاء أم درمان، فرُزقا عام ١٨٩٦ بابنهما الأكبر "محمد نجيب" الذى لم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى مُنى بفقد والده يوسف نجيب -الذى ذاق اليتم هو الآخر فى نفس السن- وكان محمد وقتها طالبًا بالقسم الداخلى بكلية "غوردون"، التى كانت مدة الدراسة بها ٤ سنوات، عانى خلالها من التعالى الذى كان يتعامل به المدرسون الإنجليز مع أهل البلد، ومن ذلك أن "سمبسون" مدرس اللغة الإنجليزية كان يملى عليهم قطعة إملاء جاء فيها: "إن مصر يحكمها البريطانيون"، فتوقف محمد نجيب عن الكتابة، وصرخ فى وجهه: عفوا أستاذ.. مصر تحتلها بريطانيا فقط.. لكنها مستقلة داخليا وتابعة لتركيا، فثار المدرس الإنجليزى، وقرر معاقبة هذا الطالب المصرى / السودانى بالجلد.. وبالفعل طُبق عليه هذا الحكم العجيب!!

عقب وفاة والده اضطر إلى العمل كموظف صغير براتب شهرى ٣ جنيهات، ثم قرر دخول المدرسة الحربية. والطريف أنه كان خائفا من قصر قامته سنتيمترا واحدا عن الحد المطلوب، وحين أسرّ برغبته لصديقه «إبراهيم» بن أحمد

عرابى باشا، حاول إبراهيم إثناءه عما ينتوى؛ لأنه يرى أن "الضابط فى بلد محتل ليس إلا مقاول أنفار للحفر والردم، ومتابعة أعمال السكك الحديدية"، لكن "نجيب" قَبِل التحدى، وقرر خوض التجربة.

الثائر يرتحل للقاهرة ويصر على حلمه

كان كل ما يمتلكه هو ٩ جنيهات، ترك منها ٦ جنيهات لأمه، واحتفظ بالثلاثة الباقيات لرحلته، ارتدى الملابس الشعبية السودانية ليتسنى له الركوب فى القطار بتخفيض، وبعد رحلة استغرقت ٦ أيام وصل إلى القاهرة، لكنه فوجئ بتأخره ١١ يوما، وأن الدفعة المطلوبة قد بدأت دراستها بالفعل، فصُدم لذلك صدمة عنيفة، لكنه لم يسلم نفسه لليأس، وسعى حتى اتصل بالسلطان حسين كامل وسِردار الجيش البريطانى، فاختُبر فى لجنة خاصة تحت ظل شجرة كافور، وأُلحق بالمدرسة ليتخرج ويعمل فى نفس كتيبة والده ١٧ مشاه"، وعاد إلى السودان لينتظم فى عمله، لكن بعد مرور بضعة أشهر أدرك أن حديث صديقه "إبراهيم عرابى" كان صائبًا، وأنه لا يعدو كونه "مقاول أنفار"؛ ولهذا لم يجد أمامه إلا إكمال دراسته فى محاولة لتحسين أوضاعه، وبدأ فى المذاكرة مرة أخرى حتى حصل على الكفاءة ثم البكالوريا...

الوطن شغله الأول والحرية أمله الكبير

اهتم محمد نجيب بالوطن وكان شغله الأول، ففى ١٩١٩ كان بركان الثورة قد انفجر فى القاهرة، فقرر نجيب السفر ليشارك فى العمل الوطنى، وفى طريقه مر أمامه ضابط إنجليزى، وكانت التقاليد العسكرية تستدعى أن يؤدى له نجيب التحية العسكرية، لكنه لم يفعل، فتوقف الإنجليزى ووبخه طالبا منه تأدية التحية، وأصر نجيب على موقفه، ولم يتراجع إلا عندما بادله الإنجليزى التحية العسكرية بمثلها، وليس أدل على وطنيته من موقفه حين تزعم مجموعة من زملائه الضباط يرتدون زيهم الرسمى متوجهين صوب بيت الأمة، معبرين عن احتجاجهم وسخطهم لنفى سعد زغلول وأقاموا اعتصامًا على سلم بيت الأمة «منزل سعد زغلول».

حاول التخلص من وظيفته بالجيش لتبعيته العمياء لإنجلترا، فدخل مدرسة البوليس لدراسة القانون الإدارى واللوائح ليتسلم العمل فى أقسام الشرطة

بالقاهرة، فأفادته هذه الفترة فى التعرف على قاع الحياة فيها، واحتك بطبقاتها المطحونة وشعر بآلامها.. لكن سرعان ما قرر العودة ثانية لصفوف الجيش.

درس من النحاس فى احترام الحرية

عاد إلى السودان.. لكنه عكف هذه المرة على تأمل علاقة مصر والسودان ببريطانيا، وأصدر كتابًا يرصد فيه أهم مشكلات السودان والخطر الذى يهدد وحدة وادى النيل، وبعد فترة قصيرة نُقل إلى الحرس الملكى، وفى عام ١٩٢٧ حصل على ليسانس الحقوق، وتزوج للمرة الأولى.. وهو العام نفسه الذى أصدر فيه الملك فؤاد قراره بحل البرلمان -لأن أغلبية أعضائه كانوا من حزب الوفد الذى كان دائم الاصطدام بالملك- فتخفى محمد نجيب فى ملابس سودانية، وقفز فوق سطح منزل مصطفى النحاس باشا، وعرض عليه تدخل الجيش لإجبار الملك على احترام رأى الشعب، لكن النحاس رفض ذلك بشدة، وطالب بأن يبتعد الجيش عن الحياة السياسية، وضرورة ترك هذا الأمر للأحزاب.

كان ذلك درسا مهما تعلم من خلاله محمد نجيب الكثير حول ضرورة فصل السلطات، واحترام الحياة النيابية الديمقراطية، ويبدو أنه الدرس الذى أراد تطبيقه بعد ذلك عام ١٩٥٤، ولكن الأمور جرت على غير ما يريد.

نجيب والضباط الأحرار

منذ اعتلاء فاروق العرش شهدت مصر تدخلات كثيرة من الإنجليز، وكانت حرب ١٩٤٨ وما حدث للجيوش العربية فيها هو القشة التى قصمت ظهر البعير؛ فقد رجع بعض الضباط الشباب الذين ذاقوا مرارة هذه الهزيمة محمّلين بهاجس قوى يدفعهم نحو ضرورة التغيير، والتقت حماستهم مع حنكة اللواء أركان حرب محمد نجيب، وأخبروه بما ينوونه، وأعلن الرجل موافقته وإيمانه بألفكرة ولم يكن نجيب آنذاك نكرة بل كان رجلا عسكريا فقد حصل على نجمة فؤاد الأول مرتين لبسالته، كما حارب فى فلسطين ١٩٤٨، ونال شرف الإصابة فيها ٣ مرات، وحصل على رتبة فريق، بالإضافة إلى ذلك كانت للرجل مكانة علمية مرموقة فهو مؤلف لعدة كتب قيمة، وكذلك

حصل عام ١٩٢٩ على دكتوراة فى الاقتصاد وكان أول اختبار حقيقى لشعبية الرجل داخل الجيش هو انتخابات نادى الضباط التى فازت فيها قائمة الضباط الأحرار بقيادة نجيب بـ ٩٥ ٪ من الأصوات فى مواجهة قائمة القصر، حينها أدرك الملك الشعبية الطاغية لنجيب وسط الضباط، فرشحه وزيرا للحربية قبيل الثورة بأيام؛ فى محاولة لامتصاص غضب الضباط، لكن يبدو أنها محاولة تأخرت كثيرا حيث لم يتبق على الثورة إلا إعلانها وهو ما تم بالفعل فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث حاصرت قوات الجيش قصر عابدين، ولم تكد تمر أيام حتى أجبروا "فاروق" على مغادرة مصر، والتفت الجموع حول محمد نجيب الذى أعلن أن الجيش سيؤدى ما عليه، ويرجع ثانية للثكنات، تاركا لحكم لأولى الأمر.

وكانت روح الحرية التى حملتها البيانات هى السبب فيما تعرض له؛ فقد تصادمت هذه النظرة الراقية للثورة مع طموحات الضباط الشباب الذين وجدوا أنفسهم يحكمون مصر بين عشية وضحاها، وما جاءوا إلا ليبقوا، وجاء الأمر أسهل مما تصوروا، فالانقلاب الذى جاء لتصحيح الأوضاع والرجوع للثكنات تحول فى لحظة إلى ثورة ٢٣ يوليو المجيدة، ومنذ هذه اللحظة بدأت الشباك تُنصب حول محمد نجيب وحول الديمقراطية بشكل عام، وبدأ رجل قوى آخر يخرج من الظل الذى ارتاده لحاجة فى نفسه، وكان هذا الرجل هو جمال عبد الناصر الذى شرع فى التخلص ممن ظن أنهم يمثلون خطرا عليه، وأولهم محمد نجيب، فبدأ أولا فى تدبير أزمة مارس ١٩٥٤، ثم حانت الساعة الفاصلة فى نوفمبر ١٩٥٤ عندما فوجئ الرئيس وهو يدخل قصر عابدين بضباط البوليس الحربى، وإذا بهم يقتادونه إلى فيلا قديمة فى ضاحية المرج أقصى شرق القاهرة، على وعد بأن يعود بعد أيام، ولكنه ظل حبيس هذه الفيلا حتى عام ١٩٨٢، إلى أن نقلوه إلى شقة أكثر ضعة مكث بها حتى وفاته عام ١٩٨٤، وظل عبد الناصر قائما بأعمال الرئيس إلى أن تم انتخابه فى يونيو ١٩٥٦ رئيساً لجمهورية مصر العربية بعد حصوله فى استفتاء شعبى على نسبة ٩٩,٨٪ (!!!) من مجموع الأصوات.

القطط والكلاب أوفى من البشر أحيانا؟!

لم يجد أول رئيس جمهورية مصرى من سلوى إلا تربية القطط والكلاب.. طيلة ٣٠ عاما هى فترة إقامته الجبرية فى منزل بعيد بضاحية المرج، مُنع من مقابلة أحد حتى أنه ظل لسنوات عديدة يغسل ملابسه بنفسه، حتى سمح له جنوده "ضباط الثورة" بخادم عجوز يرعاه، ولم يقفوا معه عند هذا الحد بل تفننوا فى إيلامه وتعذيبه ، وانسحب ذلك على أسرته أيضًا وتلك مأساة أخرى، فابنه الأكبر "فاروق" اتهم بمعاداة النظام بعد أن افتعل معه أحد أفراد الشرطة مشاجرة وزج به فى السجن ليتعرض لأقسى ألوان التعذيب النفسى والجسدى ثم يخرج ليموت كمدا وقهرا.

والابن الأوسط "على" الذى كان يكمل دراسته بألمانيا، ويقوم بنشاط مهم فى الدفاع عن القضية العربية وعن مصر ضد من يهاجمونها، اتُّهم من قبل أصدقاء والده القدامى الذين لم يعجبهم أمره بأنه يريد أن يعيد صورة والده إلى الأضواء، وقُتل فى بلاد الغربة وأحضروا جثته، ومُنع الأب رغم توسلاته من شهود دفن ابنه أو الصلاة عليه، ولم يتبق له من الدنيا سوى ابنه الأصغر يوسف الذى تعثر فى دراسته، وحصل على شهادة متوسطة ثم التحق للعمل بالحكومة، وتم فصله بقرار رئاسى (!!) ولم يجد أمامه إلا أن يعمل سائقا للتاكسى.

رحل الرجل فى صمت فى عام ١٩٩٤، رحل بهدوء شائن لكل الأطراف ليترك لنا كتابه "كنت رئيسا لمصر" الذى حكى فيه مذكراته دون أن يسب أحدا أو ينال من أحد حتى أعنف ظالميه، وليترك علامات تعجب حول معانى الوفاء والغدر، وسؤالا كبيرا لا يزال يطرق أذهاننا: ألا يصلح الطيبون للسياسة فى أوطاننا؟

فى آخر سطور كلمته للتاريخ يقول: «والآن لم يعد عندى حديث، ولم يعد عندى ما يقال، ولم يعد عندى إلا رجاء وهو أن أدفن فى السودان بجوار أبى وخالى هناك».

(20)

بطل الحرب الخاسرة

فى اليوم الرابع من الحرب - يوم ٩ أكتوبر - تقدم جنرال الجو "بيليد" بخطة عرضها على رئاسة أركان القوات الإسرائيلية، وكانت تلك الخطة موجهة ضد مصر، وعلى الفور اجتمع كل قادة إسرائيل فى مكتب جولدا مائير رئيسة وزرائها آنذاك، ووافقوا على تنفيذها لأنها كانت تهدف إلى الهجوم على العمق المصرى بكل طائرات سلاح الجو الإسرائيلى، وذلك فى هجمة واحدة فقط، تستهدف ضرب الكيان الاقتصادى والصناعى، بجانب الهجوم على تجمعات مدنية ومراكز صناعية بجانب المناطق العسكرية... وكان من المقرر أن تبدأ الخطة بهجوم جوى مركز فى الساعات الأولى من صباح العاشر من أكتوبر، وذلك على بطاريات الصواريخ والقواعد الجوية..

واستعدت إسرائيل بالفعل للعملية، وبدأ العد التنازلى لها.. لكن الغريب أن العملية ألغيت قبيل دقائق من ساعة الصفر المقررة لها "الخامسة من صباح العاشر من أكتوبر"، وكان الإلغاء بقرار من مكتب رئيسة الوزراء أثناء اجتماعها مع موشى ديان ودافيد إليعازر رئيس الأركان وعقب اجتماعها مع "كينيث كيتنج" سفير أمريكا فى إسرائيل آنذاك، وكان سبب الإلغاء معلومات سرية مزودة بصور التقطتها أقمار التجسس الأمريكية تؤكد استعداد وقدرة القوات المصرية على صد ومواجهة تلك العملية.. ولو كان سلاح الجو الإسرائيلى قد قام بهذه المغامرة لفقد أكثر من ثمانين فى المائة من طائراته،

وهو ما كان سيعنى تأكيد السيطرة المصرية على سماء سيناء بل وأجواء إسرائيل..

بطل لحرب خاسرة..!!

فى كل حرب تنشب بين إسرائيل والعرب تتقدم المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ببطل شعبى ليعبده الإسرائيليون، فتستمر سيطرة المؤسسة العسكرية، وهذا البطل لا يعد سوى تكرار لأسطورة العجل الذهبى الذى عبده يهود موسى فى سيناء، بينما كان يتلقى الوصايا العشر من الرب..!! ففى حرب عام ١٩٤٨ كان العجل الذهبى للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية هو الجنرال "يادين" البروفيسير فى التاريخ اليهودى، وفى حرب ١٩٥٦ كان هذا المعبود هو الجنرال "موشى ديان"، وفى حرب ١٩٦٧ كان هذا البطل هو جنرال الجو "مود".. أما فى حرب أكتوبر فكان الأمر يختلف تماما، إذ رأت المؤسسة العسكرية خلق هذا المعبود الجديد ولكن لأسباب سياسية، وكان يجب أن يكون البطل هذه المرة جنرالا ليس كغيره من جنرالات إسرائيل المعروفين.. جنرالا له أكثر من شخصية.. وأكثر من ثوب.. وهذا ما انطبق على الجنرال "إرييل شارون" الذى فرض نفسه ليصبح بطلا لأول حرب تنتصر فيها إسرائيل..!!، وشارون هو بطل "الثغرة" التى كانت فى الأساس أشبه "بالتمثيلية التليفزيونية"، وكان الغرض منها خلق أو صناعة العجل الذهبى الجديد وهو شارون..

كان شارون هو المرشح لمنصب رئيس الأركان بدلا من دافيد أليعازر، وذلك قبل حرب أكتوبر، لكن جولدا مائير وبنحاس سابير زعيمي حزب العمل الموحد الحاكم رفضا هذا التعيين، واختارا الجنرال إليعازر بناء على توصية من حاييم بارليف.. وعلى الفور تقدم شارون باستقالته من الجيش لينظم - قبل الحرب - حركة ليكود، أى حركة توحيد الأحزاب اليمينية المعارضة ضد استمرار ائتلاف حزب العمل فى الحكم.. ونجح شارون فى إيجاد وحدة حقيقية بين الأحزاب اليمينية المتطرفة وعلى رأسها حزب "حيروت"الذى يرأسه "مناحم بيجين"وكان نجاح شارون يعد نجاحا لمخطط بيجين، فمناحم بيجين هو الذى شجع شارون على الثورة ضد سائر زملائه فى القيادة

العسكرية الإسرائيلية، كما شجعه على الانضمام للمعارضة السياسية، وكان وراء جهود شارون لتوحيد المعارضة فى جبهة "ليكود" القوية وكان هدف بيجين هو الحصول على شخصية شعبية قوية تزيد من شعبية حزبه فى الانتخابات التالية، وكانت الشخصيات الشعبية فى ذلك الوقت من رجال الجيش الإسرائيلى..

ومع بداية حرب أكتوبر تحتم على شارون العودة للجيش وتحت قيادة "جونين" الذى كان مرءوسا له فى القيادة الجنوبية؛ أى فى الجبهة مع مصر قبل استقالته.. ومنذ اللحظة الأولى اختلف شارون مع رئيسه المباشر الجنرال "شمويل جونين"، واشتد الخلاف بينهما حتى أدى إلى:

- انهيار جونين وإصابته بحالة "اكتئاب" لم تجد معها كل النصائح المقدمة إليه.

- قيام شارون بثلاث هجمات مضادة ضد القوات المصرية انتهت كلها بهزائم متتالية لقواته، واحتلال القوات المصرية لمقر قيادته المتقدمة، ومركز قيادة وسط سيناء فى تل "كاتب الخيل".

- بعد هذه الهزائم أصدر شارون أوامره بهجوم مركز مضاد بالمدرعات والدبابات ضد القوات المصرية فى الضفة الشرقية للقناة، وبخاصة فى منطقة القنطرة شرق.. وهو ما تسبب فى تلقى إسرائيل هزيمة ساحقة فى هذا الهجوم الذى انتهى بتدمير اللواء رقم ١٩٠ كاملاً وأسر قائده "عساف ياجورى".. وبعد هذه الهزيمة الساحقة أقيل الجنرال جونين من منصبه كقائد للجبهة، وأسندت المهمة لحاييم بارليف.. وتحت ضغط مستمر من شارون أمر بارليف بشن سلسلة من الهجمات المضادة فى محاولة لقطع القوات المصرية، والوصول إلى الضفة الشرقية للقناة، وانتهت كل هذه الهجمات بالفشل، وبتدمير القوات الإسرائيلية بدرجة لم تشهدها إسرائيل من قبل، وأسر عدد كبير من ضباط وجنود إسرائيل..وبناء على ذلك أمر شارون بالتوقف واتخاذ المواقف الدفاعية بدلا من سلسلة الهجمات الفاشلة..وتؤكد بعض التسجيلات النادرة والفريدة من نوعها والتى استمعت إليها لجنة التحقيق الخاصة بهزيمة إسرائيل فى حرب أكتوبر (أجرانات) أن شارون نفسه هو الذى أبلغ القوات الإسرائيلية المحاصرة فى بعض النقاط الحصينة بخط بارليف بأن

القوات الإسرائيلية تحت قيادته لا تستطيع أن تقدم لهم أية معونة، وأن الأمر متروك لهم ليسلموا أنفسهم للقوات المصرية، أو يحاولوا التسلل إلى الخطوط الإسرائيلية إن أمكنهم ذلك.. وعن عملية "الثغرة" أو المغامرة التى كلفت إسرائيل ثمنا باهظا من الرجال والعتاد.. أكدت القيادة العليا الإسرائيلية أنها قد أصدرت أوامرها ثلاث مرات متتالية بالانسحاب من "الجيب" الإسرائيلى فى غرب القناة، وذلك بسبب الخسائر الفادحة الناجمة عن مغامرة الجنرال شارون الذى قام بدوره بتجاهل هذا الأمر..!! وأكدت شهادة بعض العسكريين الذين شاركوا فى تلك المغامرة وذلك أمام لجنة "اجرانات"أن منطقة عبور القوات الإسرائيلية "الثغرة"كانت أشبه بجهنم، فالمصريون كانوا يدمرون كل شئ يتحرك من الجانب الإسرائيلى، وكان الجنود الإسرائيليون فى هذه المنطقة هدفا سهلا للمدفعية المصرية، كما كانوا هدفا واضحا للطائرات المصرية القاذفة والمقاتلة.. وأكدت هذه الاعترافات فشل المغامرة التليفزيونية، وأصبح رجال الجيب أو الثغرة الإسرائيلية رهائن تحت تصرف القوات المصرية، وفشلت هذه الورقة سياسيا وأسرعت إسرائيل بسحب قواتها إلى عمق سيناء، كما لم يتحقق الهدف النفسى منها ولكن برز شارون كبطل لحرب يوم السبت الأسود ليصبح بطل الهزيمة الأولى لإسرائيل..!!

(21)

كلمة النهاية

قال موشى ديان فى مذكراته (نقلا عن النص الحرفى الكامل الذى قدمه مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى إلى اللجنة الخاصة بالتحقيق، ثم إلى لجنة الدفاع بالكنيست، وأخيرا إلى رؤساء تحرير جميع الصحف الإسرائيلية لشرح الموقف العسكرى لهم - وهو ما رفضه الرقيب العسكرى على الإطلاق - وأعطى تعليمات صارمة بعدم نشر أى كلمة قالها ديان. (وذلك بعد نصر أكتوبر):

"إنى أريد أن أصرح بمنتهى الوضوح بأننا لا نملك الآن القوة الكافية لإعادة المصريين إلى الخلف عبر قناة السويس مرة أخرى..إن المصريين يملكون سلاحا متقدما، وهم يعرفون كيفية استخدام هذا السلاح ضد قواتنا، ولا أعرف مكانا آخر فى العالم كله محميا بكل هذه الصواريخ كما هو فى مصر.. إن المصريين يستخدمون الصواريخ المضادة للدبابات وللطائرات بدقة ونجاح تام.. فكل دبابة إسرائيلية تتقدم نحو المواقع المصرية تصاب وتصبح غير صالحة للحرب.

ويستطرد ديان ويقول: الموقف الآن هو أن المصريين قد نجحوا فى أن يعبروا إلى الشرق بأعداد من الدبابات والمدرعات تفوق ما لدينا فى سيناء.. والدبابات والمدرعات المصرية تؤيدها المدافع بعيدة المدى وبطاريات الصواريخ والمشاة المسلحون بالصواريخ المضادة للدبابات..

وعن السلاح الجوى الإسرائيلى يقول ديان" إن السلاح الجوى يواجه الكثير من المصاعب، وإن الخسائر فيه كانت الكثير من الطائرات والطيارين وذلك بسبب بطاريات الصواريخ والسلاح الجوى المصرى.. ويضيف ديان: إننى أقول بمنتهى الصراحة إننا لو كنا استمررنا فى محاولاتنا لدفع المصريين عبر القناة مرة أخرى لكانت الخسائر فى العتاد والرجال جسيمة لدرجة أن إسرائيل كانت ستبقى بلا أية قوة عسكرية تذكر..

ويستمر ديان فى الحديث قائلا: إن المصريين يملكون الكثير من المدرعات وهم أقوياء.. وقد ركزوا قواهم طوال السنوات الماضية فى إعداد رجالهم لحرب طويلة شاقة بأسلحة متطورة تدربوا عليها واستوعبوها تماما.. ولهذا فإننا تخلينا عن خططنا الخاصة بدفع المصريين للخلف عبر قناة السويس، كما أننا تخلينا عن خطط الهجوم فى الجبهة المصرية مركزين قواتنا فى خطوط دفاعية جديدة».. مؤكدا بذلك تخليه التام عن النقاط الحصينة فى خط بارليف الذى انتهى كخط دفاعى للإسرائيليين..

واعترف موشى ديان "ومازال الكلام هو النص الحرفى له" بالآتى:

«إن الأهم بالنسبة للإسرائيليين والعالم الاعتراف بأننا لسنا أقوى من المصريين، وأن حالة التفوق العسكرى الإسرائيلى قد زالت وانتهت إلى الأبد، وبالتالى فإن النظرية التى تؤكد هزيمة العرب (فى ساعات) إذا ما حاربوا إسرائيل فهى خاطئة.

- المعنى الأهم هو انتهاء نظرية الأمن الإسرائيلى بالنسبة لسيناء.. وعلينا أن نعيد دراساتنا، وأن نعمل على التمركز فى أماكن دفاعية جديدة، لأن التفوق العسكرى المصرى فى سيناء لا يمكن مواجهته، وأنا لا أستطيع أن أقدم صورة وردية للموقف على الجبهة المصرية، لأن الموقف بعيد كل البعد عن الصور الوردية..

- نحن أمام مهمتين "الأولى" هى بناءخطوط دفاعية جديدة، و"الثانية" هى إعادة استراتيجيتنا وبناء قوتنا العسكرية على أسس جديدة..لأننا الآن ندفع ثمنا باهظا كل يوم فى هذه الحرب.. فنحن نخسر يوميا عشرات الطائرات والطيارين والمعدات والدبابات والمدفعية بأطقمها.. ويكفى أننا على مدى الأيام الثلاثة الأولى من الحرب خسرنا أكثر من خمسين طائرة ومئات

الدبابات».. وينهى ديان كلامه بالقول "علينا أن نفهم أننا لا يمكننا الاستمرار فى الاعتقاد بأننا القوة الوحيدة العسكرية فى الشرق الأوسط.. فإن هناك حقائق جديدة علينا أن نتعايش معها».

وبتعاقب الهزائم الإسرائيلية فى بداية حرب أكتوبر، كان دايان على استعداد للإعلان عن هزيمة إسرائيل لولا منعه من قبل مائير من الإدلاء بهذا التصريح. وتكلم دايان دون تورية عن استعمال إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل فى حال احتياج إسرائيل لمثل هذه الأسلحة لدحر الهجوم العربى.

وبعد هذا كانت نهاية ديان عسكريًا..!!

(22)

رؤية بعيدة المدى!

نعـرف الشـاذلى الـرجل العـسكرى البطـل.. لكن قلة هـى من تعـرفـه كـمـحلل سياسـى واسـتراتيجى وكاتب له آراء، فيها الكثير من التنبؤ بأحداث تتوالى.. كما أشار إليها منذ سنوات بعين خبيرة وبصيرة.. وفى هذا المقال يتحدث عن الحروب الأمريكية ومصير الصدام مع إيران وقد جاء فيه:

قراءة فى الحرب الأمريكية

بعد تفكك الاتحـاد السوفيتى، وبعد أن أصبـحت الولايات المتحدة هى القطب الأوحد فى النظام العالمى الجديد، شنت الولايات المتحدة خـمس حروب ضد عدد من دول العـالم الثالث التى سـمَّتهـا بالدول الهادفة، لمجـرد أن تلك الدول رفضت الهيمنة التى كانت أمريكا تريد فرضها عليها وتلك الحروب هى ما يلى:

- حرب الخليج الثانية من ٩١/١/١٧ حتى ٩١/٢/٢٨.
- عملية ثعلب الصحراء ضد العراق من ٩٨/١٢/١٥ حتى ٩٨/١٢/١٨
- الحرب ضد يوغوسلافيا من ٢٠٠١/١٠/٢٤ حتى ٢٠٠١/١١/١٤
- الحرب ضد العراق من ٢٠٠٣/٣/١٩ حتى ٢٠٠٣/٤/٩

ورغم الاختلاف الظاهرى فى طبيعة العمليات فى كل من تلك الحروب، فإنها كـانت تتفق فى أسلوب التخطيط وإدارة الحـرب من الوجهـة السـيـاسـيـة والحـربيـة. ومن هذه الخطط يمكننا أن نكتشف نقاط القوة التى تتمتع بها

أمريكا، وكذلك نقاط الضعف التى يمكن للدول والشعوب التى ترفض الهيمنة الأمريكية أن تلجأ إليها.

وإذا كانت الاستراتيجية الأمريكية قبل تفكك الاتحاد السوفيتى مبنية على أساس قدرة الولايات المتحدة أن تقاتل فى جبهتين ضد دولتين من دول العالم الثالث، دون أن يتأثر التوازن العسكرى بينها وبين الاتحاد السوفيتى فى الجبهة الأوروبية، فقد أثبتت حرب الخليج الثانية خطأ هذه النظرية فمن أجل حشد القوات الكافية لضرب العراق، اضطرت أمريكا إلى سحب معظم قواتها التى كانت تتمركز فى الجبهة الأوروبية. وبالرغم من كل ذلك فقد كانت أمريكا فى حاجة إلى دعم عسكرى إضافى من الدول الصديقة المتحالفة معها. وعندما بدأت هجومها ضد العراق، كانت القوات الأمريكية تمثل فقط ٥٠٪ من حجم قوات التحالف. وهذا يعنى أن أمريكا لا تستطيع وحدها أن تشن حرباً ضد دولة من دول العالم الثالث المتوسطة الحجم، إلا إذا ضمنت مقدماً تأييد جميع أو غالبية دول العالم لها فى هذه الحرب سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

نقاط الضعف الأمريكية

رغم أن أمريكا تتمتع بتفوق ساحق فى مجال القتال عن بعد بواسطة الطائرات والصواريخ، فإن هذه القوة الساحقة تحمل فى طياتها نقاط ضعف خطيرة إذا تحولت الحرب إلى قتال عن قرب. ويمكن تلخيص نقاط الضعف الأمريكية فيما يلى:

- تحرص أمريكا قبل أن تقوم بحرب ضد أى دولة من دول العالم الثالث المتوسطة الحجم، على أن تحصل على تأييد دولى على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى.

- لا تميل إلى استخدام قواتها البرية إلا فى حالات الضرورة القصوى، لأن استخدامها يؤدى إلى خسائر بشرية كبيرة؛ وبالتالى فإن أكثر ما يزعج أمريكا فى الحروب هو حرب العصابات. وحربها الأخيرة فى العراق خير شاهد على ذلك. فطبقاً للأرقام المعلنة بواسطة السلطات الأمريكية، فإن خسائرها فى

الحرب النظامية التى استمرت ثلاثة أسابيع ٧٥١ قتيلا. أما خسائرها نتيجة حرب العصابات ضد قوات الاحتلال الأمريكى من١٠/٤/٢٠٠٣ وحتى ٢٠/٢/٢٠٠٦ بلغ ٢٢٧٨ قتيل وأكثر من ٨٠٠٠ جريح. ولا يدخل ضمن هذه الأرقام القتلى من غير الأمريكيين الذين يتعاونون مع سلطات الاحتلال، حيث إنهم أهداف قوات المقاومة ضد الاحتلال.

- لا تستطيع أمريكا أن تتحمل وحدها تكاليف الحرب. وعلى سبيل المثال، فإن تكاليف الاحتلال الأمريكى لأفغانستان والعراق يبلغ ٨٠ مليار دولار سنوياً ويتحمل حلفاؤها ٤٠ مليار دولار أخرى.

- أمريكا لا تتبع نظام التجنيد الإجبارى، فجميع جنودها من المتطوعين، وبالتالى فإن الجنود الذى يتطوعون للخدمة بالقوات المسلحة الأمريكية هم أكثر الفئات الأمريكية فقراً، وأقلهم حظاً فى الحصول على قدر من التعليم. وهم ينضمون إلى القوات المسلحة الأمريكية، لأن البديل المتاح أمامهم هم البطالة. ولكن لا أحد يريد أن يتطوع لكى يموت أو يصاب بعاهة مستديمة من أجل حرب غير عادلة. ونظراً لازدياد عدد القتلى والجرحى فى العراق نتيجة عمليات المقاومة، فهم يهربون من الخدمة أو لا يقومون بتجديد تطوعهم عندما يحل موعد انتهاء عقودهم. وقد خلق هذا الموقف صعوبات كبيرة أمام القيادة الأمريكية لكى تستكمل حاجتها من الجنود.

- رغم أن الألغام البحرية هى أرخص الأسلحة، إلا أن استخدامها بكثافة فى الممرات البحرية سبب إزعاجاً كبيراً للقوات البحرية الأمريكية.

إن استغلال الدول التى ترفض الهيمنة الأمريكية نقاط الضعف المذكورة، لا يعنى أنها قادرة على تحقيق نصر حاسم ضد الولايات المتحدة، ولكنه يعنى أنها ترفع ثمن انتصار الولايات المتحدة على تلك الدول، مما قد يردع الولايات المتحدة ويدفعها إلى الإقلاع عن التفكير فى غزو تلك الدول وإخضاعها بالقوة للهيمنة الأمريكية. وهذا هو ما تفعله حالياً كل من إيران وكوريا الشمالية. وهو أيضاً ما تحاول قوات المقاومة العراقية القيام به ضد الاحتلال الأمريكى للعراق.

السلاح النووى وقيود استخدامه

لم يعد إنتاج القنبلة النووية سراً منذ زمن بعيد. ففى عام ١٩٧٧ تمكن طالب من جامعة بريستون ، يدعى جون فيليبس ، وكان عمره أقل من عشرين سنة، أن يقدم لأستاذه نموذجاً لقنبلة نووية معتمداً على المعلومات غير المحظورة. كانت القنبلة فى حجم الكرة التى يلعب بها المصطافون على الشواطئ. وكانت قوتها التدميرية عشرة آلاف طن من المفرقعات التقليدية،وكانت تكاليف تصنيعها ألفين فقط من الدولارات (جاء ذلك فى التقرير السنوى المقدم لمجلس الشيوخ الأمريكى عام ٢٠٠٢) ويعتبر هذا النموذج الذى صممه فيليبس هو النموذج المثالى لما يمكن أن تنتجه الجماعات الإرهابية، أو الدول غير النووية. وإذا كان الأمر كذلك، فما الذى يمنعهم من إنتاج هذه القنبلة؟ هناك مشكلتان.

المشكلة الأولى هى أن الدول المالكة للأسلحة النووية، تفرض حصاراً شديداً على انتقال مكونات مثل هذه القنابل إلى الدول غير النووية، بل إن بعضها يلجأ إلى التدخل العسكرى لإجهاض أى محاولة لتصنيع تلك القنابل النووية. فقد قامت المخابرات الإسرائيلية بعملية تخريب معدات المفاعل النووى العراقى عندما كانت فى المخازن فى فرنسا فى انتظار شحنها إلى العراق فى أبريل ١٩٧٩، كما قامت الطائرات الإسرائيلية فى ٧ يونيو ١٩٨١ بتدمير المنشآت النووية العراقية للمرة الثانية فى بغداد. وإنه لمن المؤسف حقاً أن فرنسا التى أنتجت المفاعلين النووين لحساب العراق، هى نفسها التى ساعدت إسرائيل لكى تدمرهما!!

والمشكلة الثانية هى أن من يمتلك السلاح النووى يجب أن يكون لديه القدرة على امتصاص الضربة الأولى، وأن يكون قادراً على توجيه الضربة الثانية إلى الخصم. وهذا يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للدولة، حيث إن المنشآت النووية كبيرة ولا يمكن إخفاؤها، وتعتمد على الخبرات الأجنبية التى لا يمكن أن نضمن ولاءها. ولكن ذلك لا ينطبق على القنبلة النووية البدائية التى يمكن تصنيعها فى غرفة واحدة كما فعل فيليبس عام ١٩٧٧.

ومن هنا ظهرت مدرستان حول أسلوب استخدام الأسلحة النووية. تقول المدرسة الأولى إنه لا الدول غير النووية، ولا الجماعات الإرهابية، ولا

الجماعات التى تقاوم الاحتلال الأجنبى بقادرة على تحمل الضربة الأولى ثم تكون قادرة على توجيه الضربة الثانية للدولة التى اعتدت عليها.

أما المدرسة الثانية فهى تعارض هذا الرأى. وتقول إنه فى الإمكان تصنيع عشرات القنابل النووية البدائية التى لا يزيد وزن الواحدة منها بجميع مكوناتها عن ٢٥كيلو جراما، بطريقة سرية. ثم تهريبها إلى خارج البلاد فى حيازة خلايا نائمة يتم إيقاظها فى الوقت المناسب. فإذا تم ذلك فإن الدول أو الجماعات الحائزة تلك القنابل المنتشرة فى أماكن كثيرة قادرة على امتصاص الضربة الأولى، وأن توجه ضربات انتقامية مؤلمة للطرف الذى اعتدى عليها.

معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية

فى مايو ١٩٩٥، أصدر مؤتمر نيويورك الذى شاركت فيه ١٦٨ دولة، من بينها مصر، قرارا بحظر انتشار الأسلحة النووية. وفيما عدا إسرائيل والهند والباكستان التى أعلنت رفضها، فقد أصبحت جميع الدول التى حضرت هذا المؤتمر ملتزمة أبدياً بهذه المعاهدة. ورغم أن إسرائيل كانت تمتلك أسلحة نووية منذ عام ١٩٧٥، ورغم أن المجتمع الدولى كان يعلم ذلك، فإن أمريكا أرادت لإسرائيل أن تستمتع بموقف قانونى يحرم على الوكالة الدولية للطاقة النووية التفتيشات التى تفرضها معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية. والآن وطوال السنوات العشر الماضية، وعشرات من السنين المقبلة، فإنه كلما احتجت دولة عربية أو إسلامية لدى الأمم المتحدة أو لدى الوكالة الدولية للطاقة النووية، وتتساءل لماذا تفتشون علينا ولا تفتشون على إسرائيل، فإن الإجابة جاهزة: لأنها ليست موقعة على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.

التحالف الأمريكى - الصهيونى ضد إيران

فى خلال عام ١٩٩٣، حصلت إيران على موافقة الصين على تقديم المساعدة الفنية لبناء محطة كهربائية قوتها ٣٠٠ ميجاوات على أن تعمل بالوقود النووى. ورغم أن معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية التى صدرت فى مايو ١٩٩٥ لا تحرم استخدام الذرة فى الأغراض السلمية، فإن الرئيس الأمريكى - آنذاك - فرض المقاطعة التجارية على إيران فى أبريل ١٩٩٥، وكان تبريره لهذا القرار ما يلى:

● إن إيران تسعى لأن تتخذ من وراء اتفاقها مع الصين لتقنيات تمكنها من إنتاج الأسلحة النووية.

● وإنها تقوم بتشجيع عمليات الإرهاب الدولى.

● وإنها تعرقل التوصل إلى السلام فى منطقة الشرق الأوسط.

● وإنها تمارس ضغوطاً على أنظمة الدول المجاورة لها.

● وإنها كانت تقوم بتحديث أسلحتها التقليدية.

وازداد الموقف تدهوراً بين إيران من جانب وبين أمريكا وإسرائيل من جانب آخر بعد أن تولى أحمدى نجاد منصب الرئاسة فى إيران. ففى ٢٠٠٥/١٠/٢٦ قال الرئيس الإيرانى فى خطاب له "إن إسرائيل يجب شطبها من الخريطة. وإن إيجاد عالم خال من أمريكا وإسرائيل يمكن تحقيقه. ومنذ هذا التاريخ بدأ العد التنازلى لقيامٍ كل من أمريكا وإسرائيل - وبدعم أوروبى - بتوجيه ضربة قوية ضد إيران. والصراع الذى يدور الآن هو: كيف ستكون هذه الضربة؟!. هل تكون على شكل غزو إيران كما كانت الحالة بالنسبة لأفغانستان وبالنسبة للعراق.. أم يكون على شكل قصفات جوية وصاروخية، يتم خلالها تدمير جميع المنشآت النووية الإيرانية، بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية وفى اعتقادى فإن الحل الثانى هو المتاح.

الخطة الإيرانية للتصدى

إذا افترضنا أن الخطة الأمريكية ضد إيران ستكون على شكل ضربات جوية وقصفات صاروخية توجه إلى أهداف من بُعد، وإن هذه الهجمات قد تستمر لمدة أسبوعين تقريباً .. فإن عناصر الخطة الإيرانية سوف تعتمد على ما يلى:

● تعزيز الدفاع الجوى لإسقاط أكبر عدد ممكن من الطائرات والصواريخ.

● توجيه ضربات انتقامية ضد إسرائيل.

وإذا استعرضنا الإمكانيات الدفاعية المعروفة لدى إيران، فإننا نجد أنه ليس لديها دفاع جوى قوى يمكن أن يتصدى للطائرات والصواريخ التى تهاجمها، أما بخصوص الضربات الانتقامية ضد إسرائيل فنحن نعلم أن إيران تمتلك

صواريخ أرض ذات مدى يمكن أن تصل إلى إسرائيل. ولكن هذه الصواريخ لا تحمل رءوسا نووية، وأقصى ما يحمله كل صاروخ هو طن واحد من المفرقعات التقليدية، وهى كمية محدودة لا يمكن أن تشكل قوة ردع بالنسبة لإسرائيل.

وهذا ما يثير حيرة المحلل السياسى والمحلل العسكرى عندما يسمع التصريحات النارية التى تصدر عن الزعماء السياسيين والقادة العسكريين الإيرانيين، والتى تنذر كلا من أمريكا وإسرائيل بعظائم الأمور إذا ما فكروا فى الهجوم على إيران.

● هل توصلوا إلى إنتاج أسلحة دفاع جوى فعال يمكن أن تسقط الطائرات والصواريخ التى ستهاجمهم؟

● هل سيقومون بعمليات استشهادية ضد الأهداف البحرية والبرية؟

● هل سيقومون بعمليات استشهادية ضد أهداف أمريكية وإسرائيلية خارج إيران؟

● هل سيشعلون النيران فى حقول البترول؟

● ما مدى استجابة الشعب العربى والأمة الإسلامية إلى النداءات التى سوف تنطلق من طهران لضرب المصالح الأمريكية والإسرائيلية، وإسقاط الأنظمة الصديقة لهما؟

كل هذه الأسئلة لا يستطيع أن يتنبأ بها أحد.

(23)

صناع النصر

قادة الحرب الذين صنعوا نصر أكتوبر

ترتيب القادة

١-رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة

٢- قيادات أفرع الجيش الرئيسية

٣- قيادات الجيش الثانى الميدانى

٤- قيادات الجيش الثالث الميدانى

٥- قادة الفرق:

٦- قادة المناطق والقطاعات العسكرية

٧-قادة الألوية ومجموعات الصاعقة

(١)

رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة محمد أنور السادات

(٢)

(قيادات أفرع الجيش الرئيسية) القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية: الفريق أول أحمد إسماعيل على

رئيس هيئه أركان حرب القوات المسلحة: الفريق سعد الدين الشاذلى
رئيس هيئه العمليات: لواء محمد عبد الغنى الجمسى
رئيس عمليات الوحدات البرية: عقيد صالح أحمد عيد زين الدين
رئيس عمليات الوحدات البحرية وقائد وحدات استخبارات عسكرية سرية: مقدم محمد عبد الهادى عبد الفتاح
رئيس عمليات الوحدات الجوية: عميد فاروق صالح أحمد فاروق
قائد القوات الجوية: لواء طيار محمد حسنى مبارك
قائد القوات البحرية: لواء بحرى فؤاد ذكرى
قائد قوات الدفاع الجوى: لواء محمد على فهمى
رئيس هيئة الإمداد والتموين: لواء نوال سعيد
مدير سلاح المدفعية: لواء محمد سعيد الماحى
مدير سلاح المدرعات: لواء كمال حسن على
مدير سلاح المهندسين العسكريين: لواء جمال محمود على
مدير الاستخبارات العسكرية: لواء محمد فؤاد نصار
مدير سلاح المشاة: اللواء محمد عبد المنعم الوكيل
قائد قوات الصاعقة: لواء نبيل شكرى
قائد قوات المظلات: عميد محمود عبد الله

(٣)

قيادات الجيش الثانى

قائد الجيش: لواء سعد الدين مأمون (أصيب بنوبة قلبية يوم ١٤ أكتوبر فتولى اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش فى ١٦ أكتوبر)
رئيس أركان الجيش الثانى: لواء تيسير العقاد
قائد مدفعية الجيش: عميد محمد عبد الحليم أبو غزالة

(٤)

قيادات الجيش الثالث

قائد الجيش: لواء عبد المنعم محمد واصل

رئيس أركان الجيش الثالث: لواء مصطفى شاهين

رئيس هيئه عمليات الجيش: لواء محمد نبيه السيد

قائد مدفعيه الجيش: عميد منير شاش

(٥)

قادة الفرق

٢-مشاة: عميد حسن أبو سعدة

٣- مشاة آلية: عميد محمد نجاتى فرحات

٤-مدرعة: عميد محمد عبد العزيز قابيل

٦- مشاة آلية: عميد محمد أبو الفتح محرم

٧- مشاة: أحمد بدوى سيد أحمد

١٦- مشاة: عميد عبد رب النبى حافظ

١٨- مشاة: عميد فؤاد عزيز غالى

١٩- مشاة: عميد يوسف عفيفى

٢١-مدرعة: عميد إبراهيم العرابى

٢٣- مشاة آلية: عميد أحمد عبود الزمر

(٦)

قائد المناطق والقطاعات العسكرية

قائد المنطقة العسكرية المركزية: لواء عبد المنعم خليل

قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية: لواء إبراهيم كامل محمد

قائد قطاع بورسعيد العسكرى: لواء عمر خالد حسن

(٧)

قادة الألوية ومجموعات الصاعقة

قائد اللواء الأول المدرع: عقيد السيد محمد توفيق أبو شادى (استشهد) وحل محله العقيد سيد صالح

قائد اللواء الأول مشاة ميكانيكى: عقيد صلاح زكى

قائد اللواء الثانى المدرع: عقيد أنور خيرى

قائد اللواء الثانى مشاة ميكانيكى: عقيد محمد الفاتح كريم

قائد اللواء الثالث مدرع: عقيد نور عبدالعزيز (استشهد)

قائد اللواء الثالث مشاة آلية: عقيد شفيق مترى سيدراك

قائد اللواء الرابع مشاة: عقيد محمود على حسن المصرى

قائد اللواء السادس مشاة ميكانيكى: عقيد محمود المهدى

قائد اللواء السابع مشاة: عقيد فوزى محسن

قائد اللواء الثامن مشاة: عميد فؤاد صالح ذكى

قائد اللواء التاسع مهندسين كبارى: عقيد جمال تلمى

قائد اللواء العاشر مشاة ميكانيكى: محمود أمين نمر

قائد اللواء الحادى عشر مشاة ميكانيكى: عقيد فاروق الصياد

قائد اللواء ١٢ مشاة: عقيد عادل سليمان

قائد اللواء ١٤ مدرع: عقيد عثمان كامل

قائد اللواء ١٥ المدرع المستقل: عقيد تحسين شنن

قائد اللواء ١٦ مشاة: عقيد عبد الحميد عبدالسميع

قائد اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى: عقيد طلعت مسلم

قائد اللواء ٢٢ مدرع: عقيد مصطفى حسن (استشهد)

قائد اللواء ٢٣ مدرع: عقيد حسن عبدالحميد (أصيب)

قائد اللواء ٢٤ مدرع: عقيد جورج حبيب (أصيب)

قائد اللواء ٢٥ مدرع مستقل: عميد أحمد حلمى بدوى
قائد اللواء ٣٠ مشاة مستقل: عميد مصطفى جودت العباسى
قائد اللواء ٩٠ مشاة ميكانيكى: عقيد صالح بدر
قائد اللواء ١٠٩ مهندسين كبارى: عميد فؤاد محمد سلطان
قائد اللواء ١١٢ مشاة: اللواء عادل يسرى (أصيب)
قائد اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى: عقيد حسين رضوان (استشهد)
قائد اللواء ١١٧ مشاة ميكانيكى: اللواء محمد حمدى الحديدى (أصيب)
قائد اللواء ١٣٠ مشاة خاصة: عقيد محمود شعيب
قائد اللواء ١٣٥ مشاة: عقيد محمد صلاح الدين عبد الحليم
قائد اللواء ١٣٦ مشاة ميكانيكى: عقيد أحمد محمد عبده
قائد اللواء ٨٥ مظلات: مقدم عاطف منصف
قائد اللواء ١٨٢ مظلات: عقيد إسماعيل عزمى
قائد المجموعة ج ٣٩ قتال صاعقة خاصة: عميد أ.ح. إبراهيم الرفاعى (استشهد وحل محله العقيد محمد غالى نصر ثم الرائد محيى نوح)
قائد المجموعة ١٢٧ صاعقة: عقيد فؤاد بسيونى
قائد المجموعة ١٢٩ صاعقة: عقيد على هيكل
قائد المجموعة ١٣٦ صاعقة: عقيد كمال عطية
قائد المجموعة ١٣٩ صاعقة: عقيد أسامة إبراهيم
قائد المجموعة ١٤٥ صاعقة: عقيد السيد الشرقاوى
قائد الكتيبة ٦٠٣ مشاة ميكانيكى: مقدم إبراهيم عبدالتواب.

مشاهد ضد النسيان

الشاذلى شاباً

الاستقرار أساس الاستقامة

صانع
الأبطال

المظلى
الأول

شهدان تقفز مع أبيها

قوة
وحنان

الأبطال
معا

رجال فى الأدغال

فى الكونغو

بكل اللغات يتحدث

جاهز ومستعد

أثناء
قيادته
لمنطقة
البحر
الأحمر

مع
ناصر
وفوزى

التحدى
العظيم

الشموخ

ابتسامة
البطل

أهلا بالخبرة
من موسكو
وقبلها أمريكا

قوات
تحمل
اسمه

في رحاب الجامعة العربية
والدبلوماسية الدولية

نعم أتحدث الإنجليزية

فى
الجامعة
كل
شىء
فى
ميعاده

لكل
مقام..
مظهره

.. ويسمع وينظر مع بن راشد

ابتسامة الدبلوماسى

حاضر الكبرياء دائماً

على الطبيعة .. الأمر يختلف

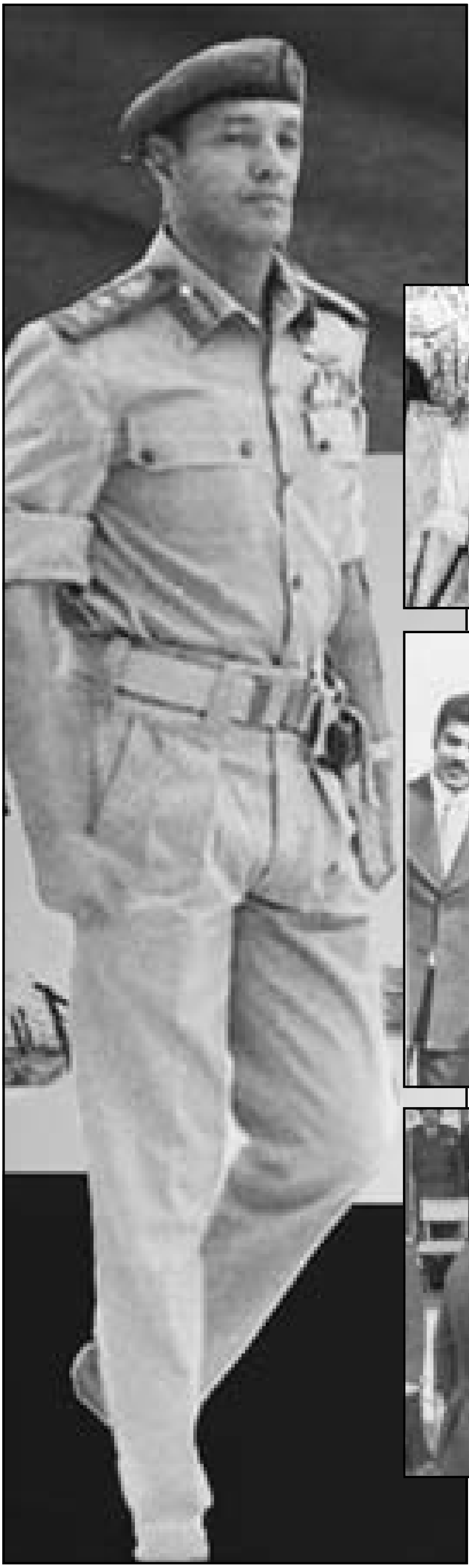

عبور الهزيمة

استعداد جاد

سيمفونية جماعية

القائد والرجال

لن نخذل شعبنا

مشاورات لا تنتهى

كل شيء يتبدل

من
الانكسار
إلى
الانتصار

البروفة
الأخيرة

العبور العظيم

الله أكبر

أحسنتم
يا رجال

مبروك

النصر بعد العسر

هكذا يكون القتال

الأرض ترحب بأهلها

كما حسبناها .. وجدناها

الخطة بالخرائط والأرقام

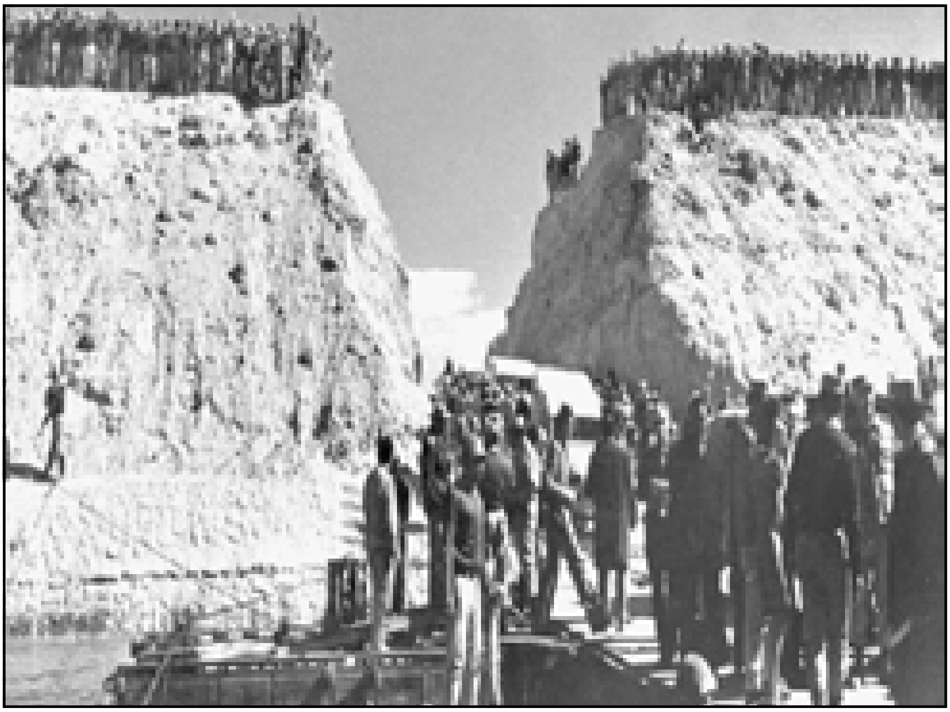

اكتب يا هيكل

أيام .. ما بعد الأيام

فى الريف .. الكرم والجدعنة

تحت الشجر
يا أولاد العم

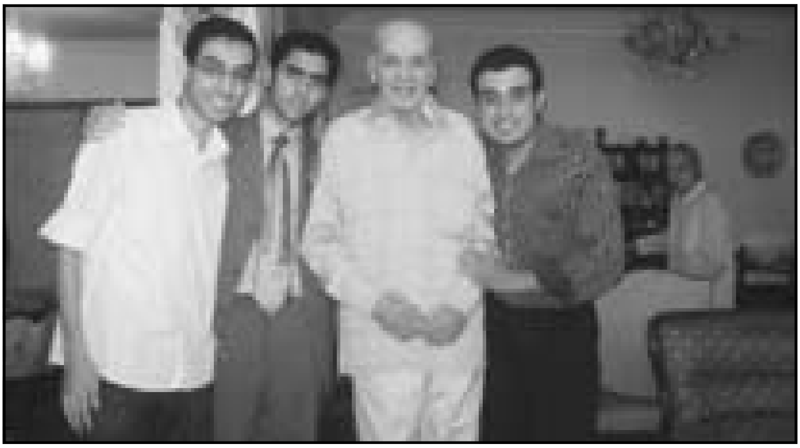

قبل
السفر

مشهد الوداع

وداعًا يا رجل الكبرياء

الفهرس

الموضوع	صفحة
إهداء	٥
منـــاورة	٧
مولود فى البدلة الميرى	٩
يعرفون الهداف ويجهلون المقاتل!!	١٩
متصوف على رقعة شطرنج!!	٢٥
مع أحمد عبدالعزيز.. إلى القدس!	٣١
تحرير فلسطين من القاهرة!!	٣٧
الأبطال يدفعون الثمن!	٤٣
الله.. الوطن.. الشرف!	٥١
انهزمنا.. وكسبنا الحرب عام ٥٦!	٥٩
سر استفزاز الطيران الفرنسى!	٦٧
لليمن.. حسابات أخرى!	٧٥
أطول ليلة فى تاريخ الشاذلى!	٨٣
وغابت القيادة عن ساحة المعركة!	٩١
مهمة خاصة إلى بيت عامر!!	٩٧
الشك يحيط بالمآذن العالية!	١٠٥
عندما اكتمل لحن الأوركسترا !!	١١٥
اليوم.. يوم الملحمة!	١٢٣
الحقائق تعلن عن نفسها!	١٣١
نعم لإسرائيل.. لا لأمريكا!!	١٣٩
تفاصيل الأخطاء الجسيمة	١٤٧
وداعا.. أيها الجيش!	١٥٥
شرفى العسكرى.. يمنعنى يا مستر!	١٦٣
آسف يا سيادة الرئيس!	١٧١
واعترف إسماعيل.. على فراش الموت!!	١٧٩
ماذا تحمل المظاريف المغلقة؟!	١٨٧
وتصرف طنطاوى بشهامة الرجال!!	١٩٥
أمتار قليلة بين الجانى والمجنى عليه!	٢٠٣

الفهرس

الموضوع	صفحة
وجوه و ملامح	٢٠٩
والله العظيم اقول الحق	٢١١
هذا هو البطل!	٢١٤
حلم العرب النووى	٢١٧
الكتابة تحت التهديد	٢٢١
أسرار الدولة وأسرار الحكومة	٢٢٤
أحمد عبد العزيز	٢٢٦
الفريق محمد أحمد صادق	٢٣١
أحمد إسماعيل بعين أخرى	٢٣٥
أسد الصاعقة	٢٣٩
هذا هو فوزى	٢٤٥
عبدالمنعم رياض	٢٤٧
لغز.. عبد الحكيم!!	٢٤٩
واصل .. نجم من أكتوبر	٢٥١
عندما تكلم فوزى	٢٥٣
اعرف عدوك	٢٥٥
إلى النائب العام	٢٥٧
بالعبرى الصريح	٢٦٠
حقائق للتاريخ	٢٦٢
الرئيس اللغز!	٢٦٤
بطل الحرب الخاسرة	٢٦٩
كلمة النهاية	٢٧٣
رؤية بعيدة المدى!	٢٧٦
صناع النصر	٢٨٣
مشاهد ضد النسيان (ملحق بالصور)	٢٨٩

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٠٣٥٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N 978-977-236-829-7

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الكاتب والكتاب

يستمد هذا الكتاب أهميته من كونه يصدر فى العام الذى سماه البعض بعام الفريق سعدالدين الشاذلى خلال احتفالات أكتوبر ٢٠١٢.

حيث تم تكريم البطل المظلوم المهندس الحقيقى لنصر أكتوبر وقام السيد رئيس الجمهورية الدكتور محمد مرسى بمنح اسمه قلادة النيل.. وكان مؤلف الكتاب سمير الجمل قد ناشد الرئيس قبلها بأسابيع ضرورة إعادة الاعتبار لهذا البطل ونشرت جريدة الجمهورية قصته التى كتبها بحسه الدرامى.. وعندما نستعرضها سنقرأ تاريخ العسكرية المصرية ممزوجًا بتاريخ الشاذلى..

وجاءت استجابة الرئيس فى توقيتها لتروى قصة الكبرياء وهى حافلة بأسرار ومواقف وشخصيات كبيرة وقد دفع الشاذلى فاتورة وطنيته راضيًا مرضيًا فى منفاه وسجنه.. وذهب من ظلمه إلى حيث ذهب.. وبقى هو فى وجدان الشعب بطلاً شامخًا يستحق الكثير مما يقال حوله وعنه فى كل وقت.

(كتاب الجمهورية)

الثمن ١٥جنيهًا